

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية الآداب و الحضارة الإسلامية.

قسم اللغة العربية.

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية. قسنطينة.

رقم التسجيل:

الرقم التسلسلي:

ظاهرة الوقف و الفاصلتة في مريع ميين

دراسة نظمية

مذكرة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في اللغة العربية تخصص لغويات.

إشراف الأستاذة الدكتورة:

ذهبية بورويس.

إعداد الطالبة:

زينة بورويسة.

لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/ رابح دوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة.	رئيسا
أ.د/ ذهبية بورويس	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة.	مشرفا و مقرا
أ.د/ صالح خديش	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس الغرور. خنشلة.	عضوا
د/ ناصر بن طناش	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة.	عضوا
د/ عبد الوهاب شيباني	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة.	عضوا
أ.د/ زين الدين بن موسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة.	عضوا

السنة الجامعية 1437-1438 هـ / 2016-2017

جامعة الأميرة
عبد القادر
اسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى حبيبي محمد رسول الله ﷺ،

وإلى كل من سار ويسير على

فهبه الطاهر.

شكر

إله الاستاذة فهدية بورويس التي
تابعت هذا البحث منذ أن كان فكرة
علمي فصاحبه ورجى إله أن يخرج أطروحة
دكتوراه.

أشكرها علمي سنوارح الرفقة الطيبة، و
قد حاصرت نفسي أن أتم من أودها
قبل أن أتم من علمها.

مفترمة

جامعة الأميرة الأميرية
القادر للعوم الإسلامية

حاز القرآن منذ نزوله على مكانة علمية و روحية كبيرة عند العرب ، بما حملته حروفه من قدرة فريدة على مخاطبة العقل و القلب، و قوة فنية لمخالفته المؤلف من الأنماط الأدبية لدى العرب و العجم، فشكّل بذلك نموذجاً متفرداً في تراكيبه و جملة، في سوره و آياته، و في نظمه و بلاغته، في وقفه و وصله، و في مطلع سوره و فواصله، و في كل ما يتعلق بمعناه و مبناه.

ولأنّ الكتاب الكريم، الذي يحمل في إعجازه سرّ وجود وجود اللغة العربية ، فقد عمد اللغويون العرب منذ القديم إلى قراءة النص القرآني لفظاً و أسلوباً بما توفر لهم من أدوات و معارف، ولعل أكثر ما حملهم على تناول النص القرآني بالدراسة هو الغيرة و الخوف على سلامة لغته من اللحن، خاصة بعد انتشار الإسلام و دخول الناس فيه أفواجا عربياً و عجمياً، فحرسوا على النقل الأصحّ، و التدوين الأدقّ للقرآن الكريم، نقلاً عمّن يوثق في عربيته، و سلامة نطقه، لاسيما مسألة الحفاظ على طرق الأوائل من صحابة الرسول ﷺ في التلاوة و التجويد. و من هنا جاء الاهتمام الواضح لعلماء العربية بالدراسات الصوتية كجزء من الدراسات اللغوية التي يعود إليها الفضل الكبير في الحفاظ على تلاوة القرآن و تجويده، فقدّموا من أجل ذلك إسهامات جلية في الدرس الصوتي، يستطيع المطّلع على بعضها أن يتأكد من دقة فكرهم، و معرفتهم لجهاز النطق و أعضائه، و وصفهم أصوات اللغة و خصائصها، و علاقتها مع بعضها، دون أن تغيب عن ذهنهم مسألة العلاقة بين الصوت و دلالاته، و ثبات دلالات بعض الآيات القرآنية و وضوحها بثبات طريقة معينة في الأداء.

و بالعودة إلى التراث الصوتي العربي نلاحظ ورود مادّة علمية ضخمة تناولت الصوت في النص القرآني وأفاضت في ترصد مظاهره و استقراء تجلياته. و سارت في العصر الحديث كثير من البحوث و الدراسات على خط رصد الملامح الصوتية في القرآن الكريم، و كلّ ذلك يتجه نحو تفسير الإعجاز اللغوي الذي يحويه، و تتبّع الظواهر الصوتية الكثيرة التي تنمو في حقله و التي من أهمها الوقف و الفاصلة. غير أنّها في مجملها ابتعدت عن التخصص، عدا بعض كتب القراءات و التجويد، و جاءت متناثرة في كتب النحو و البلاغة و التفسير. و إذا سلّمنا بأنّ التداخل خطوة منطقية في نشأة العلوم و تطورها، كان من اللازم علينا أن نعيد النظر في تراثنا الصوتي بالفرز و التحليل بما تتيحه لنا العلوم الحديثة من آليات و وسائل و نتائج، خاصة تلك المتعلقة بعلم الصوت، حيث بلغت الصوتيات الحديثة مبلغاً مهمّاً من التطوّر من حيث أدواتها التكنولوجية، و استعانتها بالعلوم الأخرى كالفيزياء و الفيزيولوجيا و الموسيقى. و بين التراث الصوتي النفيس، و المستجدات الصوتية المتطورة جاءت رغبتني في حوض هذا العلم في مرحلة الماجستير، التي ما إن أهميتها حتى وجدت نفسي راغبة في مزيد من الأبحاث

التي من شأنها أن تجيب عن بعض تساؤلاتي و تشبع فضولي العلمي، فآثرت أن أعطي لنفسي في مرحلة الدكتوراه فرصة للتعلم أكثر في الدراسات الصوتية. و اخترت في ذلك، بتوفيق من الله، أن يتناول بحثي ظاهري الوقف والفاصلة في القرآن الكريم، بعدهما من أكثر الملامح الصوتية المميّزة للنص القرآني عن غيره من النصوص. وما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع هو ميل شخصي اتجاه الدراسات الصوتية إضافة إلى جملة من الأسباب أخصها في ما يلي:

1 الرغبة في المساهمة الفعالة للنهوض بالدرس الصوتي العربي و الذي يمتاز بتراث غني ظلّ على مدى قرون منبعاً غزيراً للبحوث الجادّة و النتائج الدقيقة.

2 التقرب أكثر من معاني القرآن الكريم و تقريبها لأذهان الآخرين، و التي لا يتمّ استلهاها إلا بحسن تلاوته و استشعار الجمال الصوتي فيه الذي يبني على العديد من الظواهر الصوتية، و أيّ شرف أعظم من تدبّر و خدمة كتاب الله؟

3 محاولة الاستفادة من الصوتيات الحديثة في الدراسات القرآنية أمام تحوّف الكثير من الباحثين من استثمار المفاهيم الصوتية في النص القرآني الذي يحتاج إلى قدر عظيم من الصبر والدقة، وهو ما غيّب دراسات تفرد متونها للبحث في أصوات القرآن الكريم، وتعطيها حقها من التفصيل في جمالية نظمها وقيمها الدلالية. دون إنكار تلك النتائج القيمة التي نجدها في زوايا بعض كتب التفسير والقراءات وأحكام التجويد.

و قد آثرت أن يكون الربع الأخير من القرآن الكريم هو الحقل التطبيقي للبحث بعدما لاحظت غناه بالملامح الصوتية المميزة بما يستجيب و متطلبات البحث الصوتي، خاصة في جانبه الإيقاعي. إضافة إلى جملة من الأسباب أخصها في النقاط الآتية:

1 عدم وجود دراسة، في حدود إطلاعي، متخصصة في البحث في ظاهري الوقف و الفاصلة مجتمعين في هذا الربع ضمن بعدين جمالي ودلالي.

2 تفرد ربع يس بمنظومة صوتية عذبة، واحتوائه على السور القصار المتميزة بإيقاع صوتي معجز.

3 احتواء ربع يس على تسع وسبعين سورة أي ما يعادل 69.29% من عدد سور القرآن الكريم، لذا فدراسته تعني دراسة أكبر عدد ممكن من السور القرآنية.

حظي كل من الوقف و الفاصلة بكثير من الدراسات التي خرجت بعدد النتائج حول أهميتهما و مظاهر تجلياتهما في النص القرآني، و علاقتهما بعلم التجويد و تمام القراءة من جهة، و علم النحو و المعاني من جهة أخرى. و هما في كل ذلك ظاهرتان أدائيتان تنطلقان من علم الصوت. و عليه حاول هذا البحث التأسيس للظاهرتين صوتيا دون إغفال النظم النحوي و الدلالي في ذلك، منطلقا من تبيين التراث الصوتي، و مستفيدا من الصوتيات الحديثة. و عليه جاء البحث موسوما ب: ظاهرة الوقف و الفاصلة في ربيع يس. دراسة نظمية.

اعتمد هذا البحث على جملة من الكتب التراثية المهمة التي تناولت الوقف و الفاصلة في القرآن الكريم و بعض المباحث الصوتية المتنوعة، أذكر منها: الخصائص و سر صناعة الإعراب (لابن جني)، و النشر في القراءات العشر و التمهيد في علم التجويد (ابن الجزري)، و المكتفى في الوقف و الابتداء (أبي عمرو الداني)، و منار الهدى (الأشموني)، و الرعاية لتجويد القراء (مكي بن أبي طالب)، البرهان في علوم القرآن (الزركشي)، و علل الوقوف (السجاوندي)،... و غيرها من المصادر المذكورة في آخر البحث. أما من الدراسات الحديثة فقد استفاد هذا البحث من العديد منها أهمها: علم الأصوات (كمال بشر)، و الأصوات اللغوية (إبراهيم أنيس)، و في التنظيم الإيقاعي للغة العربية (مبارك حنون)، من أسرار التعبير القرآني (عبد الفتاح لاشين)، الفاصلة في القرآن (محمد الحسناوي)، فواصل الآيات القرآنية (سيد محضر)، ظواهر أسلوبية في القرآن (عمر عتيق)،... و غيرهم ممن أشرت إليهم في توثيق مادة البحث. و هي دراسات تتقاطع مع هذه الدراسة، مما يفتح المجال للاستفادة منها، و الوقوف على نتائجها للعمل في خط سير مشترك لإثراء المكتبة العربية بالدراسات اللغوية، غير أنني أحسب أن بحثي هذا سيمتيز بالابتعاد عن الحشو النظري، و تخصيص كل فصوله للجانب التطبيقي، و الخروج بالوقف و الفاصلة من الدرس البلاغي القديم إلى الدرس الصوتي الحديث، مع إسقاط كل الجزئيات على أمثلة من ربيع يس فقط، و هو ما يعطيني الفرصة أكثر للتعقق في البناء الصوتي لهذا الجزء.

تحاول هذه الدراسة تحقيق جملة من الأهداف:

- تقديم دراسة لغوية من شأنها المساهمة في الكشف عن وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم و سبب من أسباب خلوده و قوته ألا وهو الإعجاز اللغوي في مستواه الصوتي، و ذلك بأدلة لغوية من آياته.
- الوقف على أهمية الوقف و الفاصلة في القرآن الكريم، و رصد تجلياتهما و تفاعلها في ربيع يس، وتأثيرهما في الحصاد الدلالي للآيات القرآنية، و ذلك خدمة للقرآن الكريم و قارئه من جهة، و خدمة للغة العربية من جهة أخرى.

- تقديم دراسة تطبيقية في علم الصوت، تعتمد بالدرجة الأولى على الجهد الفردي بالجمع و الإحصاء التحليل، مساهمة في إثراء البحث العلمي.

مما لا شك فيه أن كل بحث يستمد أهميته العلمية من الإشكالية التي يطرحها و يعمل على فكها. و يحاول هذا البحث الإجابة عن إشكالية مؤدّاهما:

كيف تتجلى مساهمة الوقف و الفاصلة في التأثيث لمعمارية البناء الصوتي في القرآن الكريم؟ و ما هي سمات المؤدّي الدلالي للظاهرتين في الاستخدام القرآني؟

و لأنّ الوقف ظاهرة صوتية أدائية يُشترط على قارئ القرآن إتقانها، إلى أيّ مدى يخلّ سوء العلم بموضعه وطرقة بالمعنى المقصود للآيات؟ و هل يوجد تفاعل وظيفي بين الوقف و الفاصلة، و في أيّ مستوى يتم ذلك؟ و عملا على تحقيق أهداف البحث و الإجابة على إشكالاته، رأيت أن يقع البحث في مدخل و ثلاثة فصول؛ حيث كان المدخل مهادا نظريا مخصصا للحديث عن الظاهرتين المعنيتين بالدراسة، الوقف و الفاصلة، تناولت فيه معنى كل منهما بين القديم والحديث وأهم تقسيماتهما والمصطلحات المصاحبة لهما. أعقبت المدخل النظري مباشرة بالعمل التطبيقي المقسم على ثلاثة فصول.

يتعلق الفصل الأوّل من هذا البحث ب " الوقف و أبعاده الصوتية و الدلالية في ربع يس "، حيث يتناول المبحث الأوّل منه علاقة الوقف بالظواهر التطريزية الأخرى (التنغيم والنبر) و تفاعله معهما وظيفيا في تلاوة القرآن الكريم، ثم يفصّل المبحث الثاني في وظائف الوقف: الفيسيولوجية، و التركيبية- الدلالية، و وتحديد الفواصل، إضافة إلى الوظيفة التفسيرية المتعلقة بدفع التوهم عن دلالة الآية، وتكثير المعنى فيها، وتوجيه القراءات إلى مواضع الوقف. و خصّصت المبحث الثالث منه للتفصيل في مواضع و طرق الوقف على حروف الجواب: كلاً و بلى و نعم في ربع يس.

قسّمت الفصل الثاني من الدراسة " الفلصلة و أبعادها الصوتية و الدلالية في ربع يس " إلى ثلاثة مباحث، خصّصت المبحث الأول لدراسة الأصوات المستعملة في فواصل ربع يس من حيث خواصها النطقية و وضوحها السمعي و تقاربها في المخارج والصفات والعلاقات الصوتية الحاصلة بينها. فيما يتناول المبحث الثاني قضية الإيقاع و أهميته في القرآن الكريم و أنواعه (امتدادا بين الجمال الصوتي و التحصيل الدلالي). أمّا المبحث الثالث فخصّصته لظاهرة التكرار باعتبارها من أهم العناصر المكوّنة للإيقاع في القرآن، فتناولتها بالتعريف و الإحصاء و رصد الدلالة.

وفي المبحث الأخير من الفصل نتناول قضية الوقف على كلاً وبلى ونعم، والاختلاف الدلالي الحاصل عند الوقف عليها أو الابتداء بها من خلال رصد آراء القراء و النحويين.

يأتي الفصل الثالث ليجمع بين الوقف والفاصلة في قضية واحدة: "الوقف على الفواصل"، فتناولت في المبحث الأول الفرق بين الوقف و الظواهر الصوتية المشابهة له: القطع و السكت، ثم بيّنت في المبحث الثاني أهمية الوقف على الفواصل من حيث مفهومه وحكمه وآراء العلماء فيه وأهميته، لنتهي إلى أوجه الوقف على الفواصل الذي من شأنه أن يتعدى التأثير السمعي و النطقي إلى المستوى المقطعي.

ينتهي البحث في الأخير إلى جملة من النتائج التي حصلتها منه معروضة وفق تسلسلها فيه، مع التركيز على أهمتها.

إنّ منهج البحث في شتى العلوم منوط بموضوعه، وطبيعته وأهدافه، وتفرض هذه العناصر الثلاثة على الدراسة الانطلاق من مدخل نظري لإعطاء صورة مجملية عن الفاصلة والوقف من خلال التقصي في بعض الكتب التراثية المذكورة في نهاية البحث، ثم النحو بالدراسة منحي التطبيق في جميع فصولها، التي تتناول الظاهرتين اللغويتين المقصودتين بالدراسة في إطارين: صوتي ودلالي، بإحصاء جزئيات كلّ ظاهرة، ثم تتبّعها بالتحليل و التفسير قصد إزالة اللبس و كشف الخصائص المميّزة.

وعليه سيكون منهج الدراسة العام منهجياً وصفيًا معزّزاً بالبيتي الإحصاء والتحليل.

و تحقيقاً للمنفعة العلمية، اخترت الإدماج بين التنظير والتطبيق كفعالية تم التوصل إليها في الدراسات الحديثة، خاصة اللغوية منها، والهدف منها التعزيز المباشر للتنظير بالتطبيق والإجراء، وتجنب التكرار الذي ينقص من جمالية الدراسة.

عانى هذا البحث، كغيره من البحوث العلمية، من جملة من المشاكل أهمّها نقص الدراسات التطبيقية على النص القرآني في الصوتيات الحديثة، إضافة إلى انعدام المخابر الصوتية التي تتيح الاستفادة ممّا توصل إليه علم الأصوات الحديث.

ما كان لهذا البحث أن يستوي على سوقه، و تُثقل جوانبه، و تُحکم حلقاته لولا يد المساعدة التي امتدّت إليّ بالنصح و التوجيه، بدءاً من الأستاذة ذهبية بورويس التي أشرفت على البحث و تتبعت خطواته. و انتهاءً إلى عدد من الأساتذة و الباحثين الذين لم ييخلوا بنصحهم و علمهم.

اعتمد هذا البحث على الجهد الفردي الذي قد يضعني موضع المصيب أو موضع المخطئ، و أنا في الحالين لا أعدو أن أكون طالبة علم ترنو التقدّم أكثر في علمها، و الاستفادة من أساتذتها، و التقرب من خالقها من خلال تدبّر كتابه الحكيم، قال تعالى: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾¹

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأزهر
مُرحل
عبد القادر للعطوم الإسلامية

مدخل

كثرت البحوث و الدراسات التي حاولت أن تجمع ما انتشر من الدرس الصوتي في كتابات المتقدمين، واختلفت في ذلك مناهجها و أهدافها و نتائجها. إلا أن تلك الدراسات على اختلافها خلصت إلى نتيجتين مهمتين:

- أولاهما : أنّ انشغال العرب بالدرس الصوتي بدأ بعد مجيء الإسلام سعياً للمحافظة على النص القرآني من فشو اللحن فيه، يظهر ذلك في عنايتهم بالنطق السليم لأصوات اللغة العربية بعلمها لغة القرآن الكريم. و عليه فالصوتيات العربية نشأت في أحضان لغة القرآن و خدمة لألفاظه و معانيه.
- ثانيهما: أنّ العرب رغم انشغالهم بالدرس الصوتي فإنهم لم يفرّدوا له كتباً و مصنّفات متخصصة، و إنّما تمت معالجته في شكل متداخل مع قضايا لغوية أخرى، و بذلك جاء الدرس الصوتي متناثراً في مصنّفات علوم أخرى كالنحو، و التفسير، و البلاغة، و علم القراءات. و هو ما جعله يستفيد من جهود العلماء في شتى العلوم. و لعلّ نشوء علم الأصوات بين يدي النص القرآني، و باجتهادات مختلفة من علماء كثر جعله يصل بسرعة إلى حالة النضج المبكر الذي أسّس لتراث صوتي عظيم استفاد منه العرب و الغرب على السواء في التأصيل لعلم الأصوات الحديث و فروع المتطورة.

و من العلماء الذين كان لهم الفضل الكبير في التأسيس للدرس الصوتي العربي: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، و سيبويه (ت 180هـ)، و فطرب (ت 206هـ)، و ابن جني (ت 392هـ)، و ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ)، و ابن سينا (ت 428هـ).... و غيرهم كثير. و لعلّ أهم ما ميّز الدرس الصوتي القديم في مصنّفات العلماء العرب هو:

1. ورود ملامح في المصنّفات بشكل متناثر و متداخل مع علوم أخرى. كما جاء في معجم العين للخليل الذي وضع في مقدّمته فوائده صوتية عظيمة و جديدة عن مخارج الأصوات و سبل تحديدها بالوصف و سمات البناء اللغوي و أصنافه و كيفية الاعتماد عليه في تحيد الكلمات ذات الأصل العربي و الكلمات الدخيلة¹، و غيرها من الأفكار التي ظلت مرجعاً يستضيء به علماء اللغة على مدى قرون عديدة. و كذلك فعل سيبويه النحوي في " الكتاب " حيث أفرد جزءاً مهماً للحديث عن الأصوات اللغوية و عددها و مخارجها و صفاتها.

¹ ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد، المقدّمة، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

ومثلها فعل ابن سنان الخفاجي الذي أعطى للملح الصوتي أهمية كبيرة في حسن إئتلاف اللفظ و وقوعه موقعا حسنا على السمع، و هو ما يعتبر شرطا أساسيا في الفصاحة.

2. اعتماد العلماء القداماء باختلاف موضوعات مصنّفاتهم على الوصف الدقيق لجهاز النطق و مخارج

الأصوات، على أن هذا الوصف لم يكن يعتمد على وسائل علمية بالنظر إلى الزمن الذي نشأ فيه، بل إنها اعتمدت على التجربة الخاصة و الاجتهاد الذاتي. و لعلّ ما يميّز الدرس الصوتي العربي في هذا الإطار هو عنايته "بدراسة الظاهرة اللغوية بمعزل عن تطوّراتها التاريخية، و يخلو من الافتراضات العقلية و المتلهات الفلسفية، و يقوم على أساس من أسس البحث الصوتي اليوم و هو الملاحظة الذاتية"¹. و لعلّ أهم ما نستدل به على هذا صنيع أبي الأسود الدؤلي الذي "اختار رجلا من عبد القيس فقال له: خذ المصحح ف و صبغا يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، و إذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، فإذا كسرتها فاجعل النقطة من أسفل الحرف، فإن أتبعث شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين. فابتدأ بالمصحح حتى أتى على آخره ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك"². و في هذا تتضح ملاحظة أبي الأسود لحركة الشفاه و الاعتماد على وضعهما أساسا في تسمية الحركات: ضمة و فتحة و كسرة. و هو أساس عضوي (فيزيولوجي) يلقي اهتماما كبيرا في الدرس الصوتي الحديث.

3. اتّسام الدرس الصوتي العربي بالجدّة و الأصالة و السبق في كثير من الحقائق العلمية الصوتية الدقيقة.

وهذا ما يعترف به جورج موانان: "منذ القرن الثامن الميلادي، كان علماء اللغة في البصرة يسعون إلى وصف لغتهم وصفا صوتيا. و سواء أوجدوا تلقائيا علما للأصوات جديرا بأن يدكّرنا بالعلامة بانيني، أم أنّهم اقتبسوا هذا العلم عنه، فتلك مشكلة على حدة. و لكن لا بدّ لنا بادئ ذي بدء أن نعترف بوجود هذا العلم في الأصوات، و أنّه علم فذّ ممتاز"³.

انبرى عدد من العلماء العرب للدفاع عن الدرس الصوتي العربي، مثل كمال بشر الذي ردّ على القائلين بتأثر الصوتيات العربية ببحوث الأمم السابقة لها من الهند و اليونان. و ممّا قال: " في رأينا أنّ دراسة العرب لأصوات لغتهم، إنّما هي دراسة أصيلة، ليست منقولة في منهجها أو طريق التفكير فيها عن غيرهم من الأمم. و القول بأنّها ترجع إلى أعمال الهنود أو اليونان في دراستهم الصوتية قولٌ تعوزه الأدلة العلمية التي تستطيع أن تؤكّد هذا الزعم أو تنفيه، على أنّ النظر الدقيق في جملة ما طلع علينا

¹. عبد الفتاح المصري، الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية والمعاصرة، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب . دمشق، ع 16، 1984.

². جلال الدين السيوطي، سبب وضع العربية، تحقيق مروان عطية، دار الهجرة، دمشق، ط 1، 1988، ص: 56.

³ جورج موانان، تاريخ علم اللغة، تر: بدر الدين القاسم، دمشق، 1972، ج 1، ص: 206.

به علماء العربية في مجال الأصوات اللغوية يحملنا على الجزم بأن هؤلاء العلماء كانوا يصدرن عن عقليتهم الخاصة، و ثقافتهم العربية"¹.

و في هذا المقام أجرى محمود السعران مقارنة واسعة بين الدرس الصوتي عند كل من العرب و الهنود و اليونان و خلص إلى أنه " يلاحظ على الآراء الصوتية لقدماء اليونان و الرومان أنها تقوم في جملتها على ملاحظات الآثار السمعية التي تتركها الأصوات في الأذن، و هي بهذا تختلف عن الآراء الصوتية لقدماء الهنود و العرب الذين أدركوا الأسس الفيسيولوجية في تكوين الأصوات المختلفة"².

كما تطرّق إلى هذه القضية الدكتور التواتي بن التواتي الذي وصف أخذ العرب للدرس الصوتي عن الهنود بالافتراء، إذ ثبت في رأيه أنه " لا علاقة بين النحو العربي و النحو عند الهنود، و إن كان هناك تشابه في الصوتيات فإن الأمر لا يعدو أن هذا تشابه في الجهاز الصوتي و هو واحد بين جميع البشر سواءً كان هندياً أو عربياً أو يونانياً و غيرهم، فالمشابهة هنا طبيعية، أما بالنسبة لتصوّر اللغة كهيكل و بنية فهذا يختلف، لأن لكل لغة بنيتها و وضعها، و حتّى في الصوتيات فإننا نجد عند العرب مفاهيم لا مصدر لها في أيّ حضارة أخرى: فمفهوم الحرف المتحرّك و الحركة و السكون كمفهومين في الصوتيات لا سبيل إلى وجودهما في الصوتيات الهندية"³.

و مما استدللّ به العلماء على أصالة الدرس الصوتي العربي:

● نشأة الدرس الصوتي العربي اهتمام طبيعي للإنسان بلغته و نصوصه المقدّسة، تماماً كما نشأ عند الأمم الأخرى، و التقى معها تلقائياً في وصف جهاز النطق و آلية إصدار الأصوات. و ليس من الضروري افتراض احتمال التأثير و التأثير.

● اختلف الدرس الصوتي العربي عن نظيره اليوناني و الهندي في أساسه و أدواته، و لكن لكل أمة خصائصها في التعامل مع لغتها، مع عدم إنكار إمكانية وجود تبادل محدود للمعارف. فالدرس الصوتي العربي مثلاً نشأ على أساس نطقي فيما نشأ نظيره اليوناني على أساس سمعي، و هو كذلك يعتمد على الملاحظة و الوصف فيما يعتمد نظيره اليوناني على المنطق و التحليلات العقلية الفلسفية. و يبيّن الشكل الآتي الفروق الحاصلة بين الدرس الصوتي العربي ونظيره الهندي و اليوناني.

¹. كمال بشر، جهود العرب في الدراسات الصوتية، مجلة الثقافة العربية، مجلس الثقافة العام بالجمهورية الليبية، ع 4، 1975.

². محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت، دت، ص: 88.

³. التواتي بن التواتي، المدارس النحوية، دار الوعي، الجزائر، 2008، ص: 70.

أساس و موضوع الدراسة في الدرس الصوتي

الدرس الصوتي اليوناني



العناية بالجانب السمعي
للصوت اللغوي.



الخصائص السمعية للأصوات

الدرس الصوتي العربي



العناية بالجانب النطقي
للصوت اللغوي.



الخصائص النطقية للأصوات
و حركات أعضاء النطق.

آلية الدراسة و منهجها في الدرس الصوتي

الدرس الصوتي الهندي



- الافتراضات العقلية.
- التحليلات الفلسفية.

الدرس الصوتي العربي



- الملاحظة الذاتية.
- الوصف.

I. الوقف:

1. تعريف الوقف.

الوقف من الظواهر الصوتية فوق القطعية (فوق التركيبية) Supra segmentals التي لاقت اهتماما كبيرا لدى العلماء العرب من القراء و النحاة و البلاغيين . إلا أن أكثر من نظر له و كتب فيه هم المجوّدون و القراء بعده ظاهرة متعلقة بالنص القرآني، و فعلا أدائيا مهمّا في تجويد القرآن.

و الوقف في اللغة مصدر الفعل وَقَفَ يَقِفُ. بمعنى كَفَّ. و جاءت مادة (وقف) في القرآن الكريم في أربعة مواضع:

قال تعالى: ((وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ))¹.

قال تعالى: ((وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا))².

قال تعالى: ((وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ))³.

قال تعالى: ((وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ))⁴.

أما في الاصطلاح ف " الوقف في اللغة الحبس. و الوقف في القراءة قطع الكلمة عمّا بعدها" ⁵ فهو " قطع الصوت عن الكلمة زمنا ضئيلا يتنفس فيه القارئ، مع نية استئناف القراءة لا بنية الإعراض عنها" ⁶. وهو لأهميته "فن جليل، و به يعرف كيفية أداء القرآن و يترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة، و به تتبين معاني الآيات، و يؤمن الاحتراز من الوقوع في المشكلات" ⁷.

و يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله في الآية الكريمة: ((وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً))⁸: الترتيل معرفة الوقوف و تجويد الحروف. " و في هذا الكلام إلزامية واضحة على تعلم قواعد الوقف و الابتداء لقراءة القرآن" ⁹.

1 . الصافات/ 24.

2 . الأنعام/ 27.

3 . الأنعام/ 30.

4 . سبأ/ 31.

5 . الجرجاني، معجم التعريفات، ص: 274.

6 . صابر غانم المنكوت، لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1989م، ص: 315.

7 . الزركشي، بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن، تح محمد متولي منصور، دار التراث، مصر، ط1، 2008م، ج1، ص: 92.

8 . المزمّل/ 04.

9 . ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص: 316.

و الوقف ظاهرة صوتية تتعلق بقطع الصوت أثناء الكلام، ف - "إذا كانت القراءة تفترض تواصل الأصوات واسترسالها و تواليها من غير حاجز يحول دون انسياب الموجات الصوتية و تدفق السلسلة اللفظية فإن الوقف يعد بمثابة انقطاع الصوت و السلسلة اللفظية المتواصلة، و تقطيع السلسلة الكلامية إلى أجزاء"¹.

و خلاصة القول هو أن القراءة فعل أدائي يتكون من ألفاظ منطوقة تفصل بينها وقوف حتى تُفهم الألفاظ وتنماز التراكيب عن بعضها. و هو ما يجعل الوقف مكوناً صوتياً (فوق تركيبياً) أساسياً في عملية الكلام. و دون وقف تصبح السلسلة الكلامية أصواتاً متلاصقة لا تؤدي دلالاتها، هذا و لا يستطيع جهاز النطق أداء سلسلة كلامية غير متقطعة.

السلسلة الكلامية = سلاسل لفظية + وقوف (تتخلل السلاسل الكلامية).

غير أن الوقف ليس ظاهرة صوتية فيزيولوجية فقط، بل له شأن عظيم في تحديد التراكيب و تحقيق المعاني. وهذا ما انتبه إليه القدماء فأفردوا مباحث للتعريف بمواضع الوقف و أنواعه، و ما يجوز فيه الوقف و ما لا يجوز. فقالوا بعدم جواز الوقف على الصفة دون الموصوف، و على المضاف دون المضاف إليه.

فالوقف إذن ظاهرة صوتية تطريزية Prosodic لا يتحكم فيه انقطاع النفس فحسب، و إنما يتعلق بشكل كبير بشرطين أساسيين هما: "الدلالة و التركيب، إذ يجب أن نقف متى تمّ المعنى و حصل الفهم، و انتهى الكلام و تمّ، أي أنّ تتحقق الإفادة منه"².

و سنخصص الفصل الثاني من هذه الدراسة للتفصيل في وظائف الوقف.

و إذا أردنا اختصار ما سبق لإعطاء تعريف شامل للوقف سنقول: الوقف ظاهرة صوتية تطريزية تدخل في تكوين الكلام، و فعل أدائي يتمّ فيه قطع الصوت أو النطق في مفصل من مفاصل الكلام (الألفاظ و التراكيب)، و يأتي لتسهيل النطق حيث انقطع النفس، و توضيح المعاني حيث انتهت التراكيب و تمّت الدلالة.

2. الوقف في الدرس الصوتي العربي:

إن أهم ما يميّز الدرس الصوتي العربي هو تداخله مع علوم شتى، و لم يكن وجوده مقتصرًا على مجال معرفي واحد، فقد عني بالصوت كل من البلاغي و النحوي و المجوّد و المفسّر و المعجمي و الموسيقي... و ما كان ذلك إلا لأمرين:

¹ . مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، نموذج الوقف، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1، 2010، ص:74.

² . السابق، ص:78.

- ✓ أهمية الصوت اللغوي في الحياة باعتباره الوسيلة التواصلية الأولى.
- ✓ تداخل العلوم المختلفة و إن اختلفت زوايا نظرها و أدوات عملها.
- و على الرغم من وجود الدرس الصوتي في علوم كثير، فإن الوقف، كغيره من الظواهر التطريزية، لم ينل حظه من البحث و العناية عند علماء النحو و علماء المعاني و الخطابة، و من أهم الأسباب التي حرمت هذه الظواهر حقها من العناية ما نورده في هذه النقاط:
- ✓ إبعاد النحاة للظواهر التطريزية التي عدّوها ضرباً من اللحن أثناء توحيدهم للغة من خلال سنّ معيارية تركيبية و صوتية لا ينبغي الانحراف عنها.
- ✓ لجأ النحاة إلى تكليف الأدوات النحوية بالإنباء عن الظواهر التطريزية، بحيث اختزلت أدوارها في العلاقات النحوية الشكلية و فقدت هويتها و طبيعتها.
- ✓ أمّا في فن الخطابة فإن الخطية معدّة للإلقاء، و لم يكن هناك بدّ من الاهتمام بالمشافهة و تلوين الصوت و النغمات.
- ✓ اعتماد الشعر و الأغاني و الخطب على الموسيقى اللفظية في نصوصها المبنية على الثوابت التطريزية والبنيات الإيقاعية¹.
- ✓ اللغة العربية ذات طبيعة خطية، و قد اهتمّ اللغويون بالأصوات التركيبية لامتلاكها رموزاً يمكن تقييدها وملاحظتها، و أهملوا الأصوات فوق التركيبية التي لا تمتلك رموزاً خطية عند الكتابة.
- ✓ ضعف وسائل التحليل اللغوي و الاعتماد المطلق على الملاحظة و الوصف.
- إلا أن القول بقصور العناية بالظاهرة التطريزية لا ينفي الاعتراف بالجهود و الملاحظات المسجّلة في القضية، خاصة في مؤلفات علماء القراءات و التفسير. و إذا كان المقام لا يسمح بإيراد تلك الملاحظات فإن قول الزركشي يكفي للاستدلال على انتباه الأوائل لأهمية الظواهر التطريزية في تحقيق الدلالة: "فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المهتدّد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم، وينبغي أن يشتغل قلبه في التفكير في معنى ما يلفظ بلسانه فيعرف من كل آية معناها"².
- أما في العصر الحديث فإنّ الوقف، و إن لم يلق العناية الكافية، فإنه استفاد من اللسانيات الحديثة بمختلف فروعها و نظرياتها كاللسانيات النفسية و اللسانيات الاجتماعية، و النظريات اللسانية التوزيعية، و علم الأصوات

¹. ينظر: مبارك حنون، التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: 39/34.

². الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج 1، ص: 450.

النطقي و الفيزيائي. و لم تستطع هذه العلوم على اختلافها أن تقدّم بحثاً متكاملًا عن الوقف رغم حضور اللسانيات كعامل مشترك بينها جميعًا، و ذلك باعتبار الوقف ظاهرة لغوية.

و ما يعاب على اللسانيات الحديثة في تعاملها مع الوقف هو " وقوفها عاجزة عن إيجاد مساحة للإحاطة بكل ما أفرزته مختلف العلوم المهتمة بالوقف، و تهميشها لعلم الأصوات بقسميه الفيزيائي و الفيزيولوجي، و عدّه علما هامشيا مكملاً للفونولوجيا. إضافة إلى عدم ضبط اللسانيات الحديثة لقواعد التفاعل بين الوقف والتركيب"¹، و هو ما يعني تفعيل دوره في كافة مستويات النظام اللغوي.

و إذا كانت مختلف العلوم قد أدلت بدلوها في الدراسات الوقفية، فإنها كلها أتبعَت منهجا قاصرا يعتمد على الوصف و الإحصاء و التصنيف و الذاتية. و عليه فقد ظلت بحاجة إلى منهج علمي صارم يضبط التعامل معه، و يستفيد من كل الملاحظات و النتائج بقدر يسمح بصياغة نظرية متكاملة متماسكة تعمل وفق منهج علمي ملائم.

3. أنواع الوقف:

اختلف العلماء في أقسام الوقوف و عددها، فقد أورد السيوطي أنّ " ابن الأنباري عدّها ثلاثة أوجه: تام، و حسن، و قبيح. و أنّ السّجاوندي عدّها خمس مراتب: لازم، و مطلق، و جائز، و مجوّز لوجه، و مرخص لضرورة"².

و أورد الزركشي أنّ " الوقف عند أكثر القراء ينقسم إلى أربعة أقسام: تام مختار، و كاف جائز، و حسن مفهوم، و قبيح متروك."³ و يتفق معه ابن الجزري الذي أورد: " اعلم أن علماءنا اختلفوا في أقسام الوقف. والمختار منه بيان أربعة أقسام: تام مختار، و كاف جائز، و حسن مفهوم، و قبيح متروك."⁴ و قد أعتد في الدراسات الحديثة و في علم التجويد هذا التقسيم الأخير الذي اعتمده ابن الجزري. مع ملاحظة أن كل هذه الأنواع التي تمّ الإشارة إليها هي وقوف اختيارية، و قد ركّز عليها علماءنا لأهميتها و إمكانية ضبطها. و سنورد باختصار أقسام الوقف:

¹ . مبارك حنون، في الصوابة الزمنية، الوقف في اللسانيات الكلاسيكية، دار الأمان الرباط، 2003، ص: 40.

² . السيوطي، جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن، تح محمد متولي منصور، دار التراث، مصر، ط1، 2010م، ص: 44.

³ . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج1، ص: 394.

⁴ . ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تح فارس بن فتحي بن إبراهيم، دار ابن الهيثم، ط1، 2006، ص: 74.

أولاً . الوقف الضروري:

هو وقف غير اختياري. و يكون في مواضع ليست محلاً للوقف. و الملاحظ أنّ هذا النوع لا يتعلّق باللغة في تمام تركيبها أو اكتمال معناها، بل يتعلّق بالقارئ دائماً. و هو ثلاثة أنواع:

أ. الوقف الاضطراري: هو وقف متعلق بالقارئ و خارج عن إرادته، و يقع " بحسب انقطاع النفس " ¹ عن القراءة، كضيق التنفس، أو العطاس، أو النسيان ... فيضطرّ الضرورة إلى التوقف عند أيّ موضع في القرآن.

ب. الوقف الاختياري: و هو وقف يختبر من خلاله الطالب بالوقف على مواضع مختلفة، حيث " يمتحنه الأستاذ بقوله: كيف تقف على هذا اللفظ بعينه ليعلم مهاراته في وجوه قراءته " ². فهو وقف لذاته و ليس للتركيب و المعنى، يستفاد له لتعليم الطالب مواضع و رسوم الوقف.

ج. الوقف الانتظاري: يتعلّق هذا الوقف بالقارئ أيضاً و يهدف به إلى جمع القراءات في ختمة واحدة، و مفاده " وقف على الكلمة القرآنية بقصد استيفاء ما في الآية من أوجه الخلاف حين القراءة بجمع الروايات " ³. فالواضح انه سميّ إنتظاريّاً لانتظار المعلم طالبه أن يأتي على القراءات.

ثانياً: الوقف الاختياري:

يتعلّق هذا النوع من الوقف على تعلّق اللفظ الموقوف عليه بالتركيب مبني و معنى. و هو أكثر الوقوف التي اهتمّ بها القراء و كتبوا عنها. و الوقف الاختياري أنواع هي:

أ. التام الحسن: و هو الوقف الذي قد انفصل مما بعده لفظاً و معنى ⁴، أي أنه مستقل لا يتعلق باللفظ الذي يليه تركيباً و دلالة، و يكثر وجود هذا النوع عند تمام القصص، و في رؤوس الآي، كقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ⁵. و قبل انقضاء الفواصل كقوله تعالى: ﴿أَفَسُدُّوْهَا وَجَعَلُوْا آعْزَةَ أَهْلِهَا أَدْلَّةً﴾ ⁶، و رأس الآية: ((

¹. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج1، ص: 410.

³. حياة بن خليل، المبتكر المفيد في علم التجويد، ص: 10، نقلا عن هارون مجيد، جماليات الوقف و التنغيم في قراءات القرآن، دكتوراه، جامعة وهران، 2014م. ص: 98.

⁴. السابق، ص: 76.

⁵. آل عمران/ 104.

⁶. النمل/ 34.

الآية: ((وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ)). و بعد انقضائها كقوله **تَعَالَى: ﴿وَإِتَّكِرُوا لَتَمْرُونَّ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْيَلِّ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾**¹. فأخر الفاصلة مصبحين، و بالليل تمام المعنى.

اب **كاف جازر**: و هو منقطع في اللفظ متعلق في المعنى، فيحسن الوقف عليه و الابتداء بما بعده². أي هو ما انفصل عن الكلام الذي بعده في التركيب و لكن ارتبك معه في معناه. و مثال ذلك قوله **تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾**³.

اج **حسن مفهوم**: و هو الذي يحسن الوقوف عليه و لا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلقه به باللفظ و المعنى⁴، و يحصل حين يقف القارئ على كلام حسن مفيد، و لكن لا يحسن الابتداء بالكلام الذي بعده لارتباط لارتباط بينهما في تركيب الآية و معناه. و مثال ذلك قوله **تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٧﴾**⁵. فالوقف على "الْحَمْدُ لِلَّهِ" حسن مفهوم، و لكن الابتداء بمجرور "رَبِّ الْعَالَمِينَ" غير حسن لأن المجرور تابع.

قبيح متروك: و هو الذي لا يجوز تعمد الوقف عليه إذا غير المعنى أو أنقصه⁶. و الوقف على جزء من الآية يغير معناها أو ينقص منه لا يجوز إلا إذا انقطع النفس مع شرط الرجوع إلى ما قبله. و مثال ذلك الوقف على (الصلاة) في الآية: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴿٧٧﴾**⁷.

و أما عن علاقة الوقف بالعلوم الأخرى فقد أورد الزركشي في حاجة الوقف إلى العلوم الأخرى: "و هذا الفن معرفته تحتاج إلى علوم كثيرة، قال أبو بكر بن مجاهد: لا يقوم بالتمام في الوقف إلا نحوي عالم بالقراءات، عالم بالتفسير و القصص و تلخيص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن، و قال غير: و كذا علم الوقف"⁸. فالوقف فن يحتاج إلى أن يكون القارئ مدركا للمعاني و التراكيب حتى لا يخلّ بالمعنى، و هو ما جعل علماء التجويد لا يمنحون الإجازة في القراءة إلا لمن ثبتت معرفته للوقف.

¹ . الصافات/ 137.138

² . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج1، ص: 388.

³ . البقرة/ 127.

⁴ . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج1، ص: 396.

⁵ . الفاتحة/01..

⁶ . ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص: 82.

⁷ . النساء/43.

⁸ . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج1، ص: 388.

و سنفصل القول في علاقة الوقف بالعلوم الأخرى في مبحث وظائف الوقف.

II. الفاصلة:

1. تعريفها، و قيمتها في الدرس اللغوي العربي:

الفاصلة القرآنية قضية اختلف حولها القدماء و تضاربت آراؤهم في تعريفها، فمنهم من شبهها بقافية الشعر و منهم من ربطها بفن السجع. و ما كان ذلك إلا لوقوعهم تحت الصدمة المعرفية التي أحدثها النص القرآني المعجز، فلا هو مقفى كشعرهم، و لا هو مسجوع كشعرهم الفني.

أما في المعاجم العربية فقد تشابهت تعريفات الفاصلة إن لم نقل تطابقت، و نورد منها:

الفصل في اللغة " الحاجز بين الشيعين. و فصلت الشيء فانفصل أي قطعه فانقطع... و الفاصلة: الخزرة التي تفصل بين الخرزتين في النظام و قد فصل النظم. و عقد مفصل أي جعل بين كل لؤلؤتين خزرة" ¹. و " الفصل ترك عطف بعض الجمل على بعض حروفه" ².

و المعنى من التعريفين أنّ الفاصلة قطعة بموقعها تنماز القطع المتجاورة المتشابهة و تتباين عن بعضها.

و قد جاءت مادة فصل في القرآن الكريم على عدة صيغ بين أفعال و أسماء، و اختلفت معانيها. منها:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ³.

و قوله: ﴿الرَّكِيبَ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتُرْفُصِلْتَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ ⁴.

و قد وردت مادة فصل في القرآن الكريم في ثلاث و ثلاثين (33) موضعا، مفيدة معان مختلفة، نرصدها في

الجدول الآتي:

¹. ابن منظور، لسان العرب، تح ياسر سليمان أبو شادي و مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، 2009م، ج10، مادة (ف ص ل).

². الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، 2004م، مادة (ف ص ل).

³. الأنعام/ 55.

⁴. هود/ 01.

المعاني التي أفادتها	مقترنة بوصف الكتاب و الآيات القرآنية.	مقترنة بوم القيامة و معنى الفصل و الحكم بين الناس.	معنى القطع و الخروج و المفارقة.
أمثلة	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ ¹ .	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ² .	﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفَنِّدُونِ﴾ ³ .
مواضع ورودها	17 موضعا	9 مواضع	7 مواضع
النسبة	%51,51	%27,27	%21,21

و بملاحظة الجدول نستنتج أن مادة " فصل " و مشتقاتها في القرآن الكريم لا تشير بطريقة مباشرة و صريحة على قضية الفواصل القرآنية.

و قد انتبه القدماء ممن اشتغل بلغة القرآن الكريم إلى مصطلح الفاصلة، و حاول عدد كبير منهم تقديم تعريف لها، فجاءت التعريفات مختلفة متباينة، نرصد أهمها في الجدول الآتي:

العالم	تعريفه للفاصلة
الروماني النحوي (386،296) هـ.	الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إيفهام المعاني. و الفواصل بلاغة، و الأسجاع عيب، و ذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، و أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ⁴ .
الباقلائي	و أمّا الفواصل فهي الحروف المتشاكلة المقاطع، يقع بها إيفهام المعاني و فيها

¹ . الأنعام/ 114.

² . الحج/ 17.

³ . يوسف/ 94.

⁴ . الروماني، أبو الحسن علي بن عيسى ، النكت في إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط 3، 1976م، ص: 97.

بلاغة، و الأسجاع عيب، لأنّ السجع يتبعه المعنى و الفواصل تابعة للمعاني ¹ .	(ت403هـ)
الفاصلة كلمة آخر الجملة. و الفاصلة هي الكلام المنفصل عمّا بعده. و الكلام المنفصل قد يكون رأس آية و غير رأس. و كلّ رأس آية فاصلة و ليس كل فاصلة رأس آية ² .	أبو عمرو الداني (ت 444هـ)
و أواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر، جلّ كتاب الله عزّ و جلّ، واحدها فاصلة ³ .	ابن منظور (711،630هـ).
هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر و قرينة السجع. تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام و هي الطريقة التي يبين فيها القرآن عن سائر الكلام، و تسمّى فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلامان، و ذلك أنّ آخر الآية فصل بينها و بين ما بعدها، و لم يسمّوها أسجاعاً ⁴ .	الزركشي (794،745هـ).
الفاصلة كلمة آخر الآية، كقافية الشعر و قرينة السجع ⁵ .	السيوطي (911،849هـ)

و من تفحص التعريفات الموضوعية للفاصلة نخلص إلى النتائج الآتية:

1. تراوح عدّ الفاصلة عند العلماء بين كلمة و حروف متشاكلة.
2. شبّه بعض العلماء الفاصلة بقافية الشعر و قرينة السجع و من هؤلاء: الزركشي و ابن منظور والسيوطي. و قد استهجن كثير منهم هذا التشبيه فللرومي عدّ الفاصلة بلاغة و السجع عيباً من خلال تعريفه للفاصلة، فهي في رأيه " ألفاظها تتبع المعاني، و السجع اتّحدت حروفه دون نظر إلى المعنى، و قرآن في نظره يعلو أن يكون سجعا"⁶. و قد نفى الله تعالى صفتي الشعر و السجع عن القرآن الكريم.

¹ .الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، 1971م، ص: 270.

² . نقلا عن السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ص: 756.

³ . ابن منظور، لسان العرب، مادة (ف ص ل).

⁴ . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 92.

⁵ . السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ص: 756.

⁶ . عبد الفتاح لاشين، أسرار التعبير في القرآن الكريم، الفاصلة القرآنية، دار المريخ، الرياض، 1982م، ص: 10.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَاهُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾¹.

3. جاء مفهوم الفاصلة مقترنا بالمعنى الذي تؤديه، و بالتناسب الحاصل بينها و بين آياتها عند كل من

الروائي و الباقلائي، و من منطلق أن الفواصل تابعة للمعاني أي أن الفواصل تقتضيها معاني الآيات فتأتي تابعة لها موافقة لمضمونها.

4. ربطت معظم التعريفات الفاصلة القرآنية بأواخر الآيات في إشارة إلى انتباههم للجانب الإيقاعي للفواصل القرآنية.

5. في تعريف الزركشي للفاصلة إشارة صريحة إلى علاقة الفاصلة بالوقف، فلا يكون الوقف إلا بتمام المعنى، و قد يتم المعنى قبل نهاية الآية. و الغالب الأكبر في القرآن الكريم أن تجمع الفواصل بين تمام المعنى و نهاية الآية.

6. أشار الداني إلى قضية مهمة و هي الفرق بين الفواصل و رؤوس الآي، إذ تتحدّد الفواصل بتمام المعنى، و ليس بنهاية الآية، و هو ما يحيلها مباشرة إلى العلاقة القوية بين الفاصلة و الوقف، و هو ما سنناقشه في الفصل الأخير من البحث.

أما في العصر الحديث فقد مال الباحثون إلى رأي الزركشي و السيوطي من تشبيه الفاصلة بقافية الشعر، كإبراهيم أنيس الذي يرى أنه " ليس يعيب القرآن أن نحكم على أنّ في ألفاظه موسيقى كموسيقى الشعر أو السجع، بل تلك ناحية من نواحي الجمال"².

غير أن هناك من الباحثين من لا يميل إلى ذلك " لانعدام الشبه بين القرآن الكريم و الشعر، و قدرة مصطلح (الفاصلة) على التعبير على الإيقاع، و غياب الحاجة لاستعارة مصطلحات لا تليق بجلال القرآن الكريم"³.

و نخلص من التعريفات السابقة إلى أن الفاصلة مصطلح تفرّد به النص القرآني للدلالة على نهاية الآية⁴ التي تخدم دلالتها معنى الآية، و تحقق مقاطعها نسقا صوتيا مع الآيات المجاورة لها. و مصطلح الفاصلة يعني عن باقي المصطلحات، لأنه أشمل من السجع الذي يقتضي تماثل الحروف في المقاطع، و أقدم من القافية التي تنسب للشعر و "الشرع لمّا سلب عنه اسم الشعر و جب سلب القافية عنه لأنها منه و خاصة به في

¹ الحاققة/ 40، 41، 42، 43.

² إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، المكتبة الانجلومصرية، ط2، 1952م، ص: 363.

³ عمر عبد الهادي عتيق، ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م، ص: 328.

⁴ نهاية الآية و ليس نهاية الجملة، فقد تشتمل الآية الواحدة على جملتين أو أكثر، لأن الفاصلة تفصل بين الآية و الآية لا بين الجملة و الجملة.

الاصطلاح"¹. و بالمقابل فلا يصح مصطلح الفاصلة على ما يكتبه الإنسان شعراً أو نثرًا توازيا مع الحفاظ على قداسة مصطلحات القرآن الكريم كآية و السورة ...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

¹. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص:98.

2. ضوابط تحديد الفواصل

إذا كان العلماء قد اتفقوا على أن موقع الفاصلة هو نهاية الآية فإنهم لم يتفقوا على تحديد شكلها، و هو ما جعل تحديد الفواصل أمراً عسيراً. فالفاصلة القرآنية قد تكون حرفاً أو كلمة أو جملة أو مقطعاً صوتياً، و هو ما حدا بسيد قطب إلى التعميم في تحديد الفواصل بوصفها " إيقاعاً متشابهاً تنسجم به الآيات " ¹. و عليه فإنه يمكن تحديد الفواصل من منطلق صوتي من خلال تتبع الفواصل المتتالية و تسجيل خط (نسق) سيرها الإيقاعي.

هذا و قد انتبه القدماء إلى قضية تحديد الفواصل القرآنية و نظروا لها. فقد أورد الزركشي (ت 794هـ) في البرهان فصلاً في ضابط الفواصل، و أورد فيه نقلاً عن إبراهيم بن عمر الجعبري (ت 732هـ) قوله: " لمعرفة الفواصل طريقان: توقيفي و قياسي.

الأول: التوقيفي... فما وقف عليه ﷺ دائماً تحققنا أنه فاصلة، و ما وصله دائماً تحققنا انه ليس بفاصلة. و ما وقف عليه مرة و وصله أخرى احتمال الوقف أن يكون لتعريفهما، أو لتعريف الوقف التام، أو للاستراحة...

الثاني: القياسي، و هو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص، لمناسب، و لا محذور في ذلك، لأنه لا زيادة فيه و لا نقصان، و إنما غايته أنه محلّ فصل أو وصل، و الوقف على كل كلمة جائز، و وصل القرآن كله جائز، فاحتاج القياسي إلى طريق تعرفه " ². و لم يضيف العلماء جديداً على ما أورده الزركشي عن الجعبري، والذي يستخلص منه أن تحديد الفواصل قياساً يعتمد على المبدأ الصوتي، فإذا كان السجع يقوم على مبدأ تشابه المقاطع الصوتية، فإن الفاصلة القرآنية تقوم على مبدأ التنقل المعجز في الأصوات، " إذ لا يلتزم فيها الوقوف عند حرف معيّن في مواضع من السور، و يلتزم في مواضع أخرى، و يجمع بين الالتزام و عدمه في بعض الصور " ³. و نجد في القرآن الكريم أمثلة كثيرة للالتزام بالصوت الواحد أو الصيغة الواحدة، أو عدم الالتزام المطلق، أو المزج بين الالتزام و عدمه في السورة الواحدة. سيأتي تفصيل كل ذلك في الفصل الأول من الدراسة.

¹. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، دت، ج1، ص: 547.

². الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 134.

³. محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، دت، ص: 149.

III. الدلالة بين النظم الصوتي و النظم التركيبي:

الدلالة في اللغة مصدر للفعل دل، يدل، دلالة بمعنى هدى. قال ابن منظور: "و الدليل ما يُستدلّ به. و قد دلّه على الطريق يدلّه دلالة و دلالة و دلولة و الفتحة أعلى"¹.

و أورد صاحب مقاييس اللغة: "و الدال و اللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم دللت فلانا على الطريق. و الدليل: الأمانة في الشيء، وهو بين الدلالة والدلالة"².

ربط الجاحظ الدلالة بالبيان، إذ رأى أن الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هي البيان، ثم عرف البيان فقال: "و البيان اسم جامع لكل شيء، كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كأنما هو ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأنه مدار الأمر، و الغاية التي يجري إليها القائل و السامع، وإنما هو الفهم و الإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضح المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"³.

يربط الجاحظ الدلالة بالبيان، و المعنى، والفهم، و القصد، وهو ما سنجد معني للدلالة إن تقصيناها في مختلف الكتب و المعاجم العربية، وإن أردنا أن نضبط تعريفا للدلالة فنقول أنها "كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، و الشيء الأول هو (الدال) و الثاني هو (المدلول)"⁴، ما يعني استيعاب أمر ما (الدال) بأمر آخر (المدلول).

بدأ اعتناء اللغويين العرب بالبحث في الدلالة مع محاولات الأولى لتدوين القرآن الكريم و الحديث الشريف، وجمع متون اللغة العربية، ويمكن ملاحظة أولى ثمار هذه العناية من خلال كتب الغريب و النوادر التي اهتمت بشرح الغامض من كلام القرآن و الحديث و الشعر، ومع نهاية القرن الثاني الهجري (ق2هـ)، بدت آثار التنظيم و التخصيص أكثر وضوحاً من خلال الكتب و المعاجم التي تجمع ألفاظ العربية، وتصنفها وفق معايير معينة، مع التركيز على شرحها، و عرض معانيها ودلالاتها، ومن ذلك: معجم العين الذي صنف من خلاله الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) ألفاظ العربية بحسب مخارج حروفها، و الرسائل المتخصصة التي تجمع الألفاظ التي تصب

¹ ابن منظور، لسان العرب، مج5، مادة (د ل ل).

² أبو الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط1، 1991، مادة (دل)، ص: 259.

³ الجاحظ، البيان و التبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1954، ص: 82.

⁴ الجرجاني، التعريفات، مادة الدال مع اللام، ص: 91.

في مجال محدد، كرسائل عبد المالك بن قريب الأصبغي (ت 210هـ) في: النبات، خلق الإنسان، الشاء... و غيرهما من اللغويين.

غير أن جهود من جاؤوا بعدهم بدت أكثر اتجاها نحو وضع المعاجم الشاملة للألفاظ العربية، التي اتسمت بقدر أكبر من السعة و الشمول، والتقصي و التنظيم، ورسمت خطأ واضح المعالم لحركة، التأليف المعجمي. و يجب الاعتراف أن الدرس الدلالي العربي لم يساهم في تطوره اللغويون فقط، بل كان للبلاغيين، والفلاسفة، وعلماء أصول الفقه مباحثا مهمة في مؤلفاتهم، كعبد القاهر الجرجاني الذي ربط في " نظرية النظم " بين المستوى الدلالي للألفاظ و المستوى النحوي، كاشفا بذلك ما تحتويه البنية اللغوية من دلالات.

أما الأصوليون ففي سياق بنائهم للأحكام الشرعية من القرآن و الحديث فقد كانوا ملزمين بفهم اللغة

العلاقة بين اللفظة ومدلولها	
التقسيم	الاعتبار
خاص، عام، مشترك.	الوضع
حقيقة، مجاز، صريح، كناية.	الاستعمال
عبارة، إشارة، دلالة، اقتضاء.	القصد
ظاهر، نص، مفسر، محكم، دلالة، خفي، مشكل، مجمل، متشابه	الوضوح

ودلالات الكلام، مما أدى بهم للبحث في العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها¹، التي قسموها باعتباريات مختلفة، يمكن تلخيصهما كما يلي²:

إن اهتمام الأصوليين بدلالة الألفاظ بغرض استنباط الأحكام الشرعية خلص بهم إلى الاعتراف بأن اللفظ ليس عملية صوتية فقط بقدر ما هو معنى ودلالة، بل إن اللفظ يوضع للمعنى أولا، ثم يستعمل في المعنى الذي وضع له أو في غيره¹.

¹. ينظر: عبد الله العبيد، الدلالات عند الأصوليين، دار البشائر الإسلامية. و محمد أديب صالح، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، المكتب الإسلامي، ط4، 1993. و محمد توفيق سعد، دلالات الألفاظ على المعاني عند الأصوليين.

²- ينظر: تاج الدين السبكي، جمع الجوامع في أصول الفقه، تحقيق عبد المنعم إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2003، ابتداء من ص: 21. و محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 2، 2007، ص: 87. وهادي نحر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر و التوزيع، الأردن، ط 1: 2007، مبحث: أنواع الدلالة عند الأصوليين، ابتداء من ص: 240.

وإن عدنا إلى قضية اللفظ و المعنى عند البلاغيين² وجدنا الجاحظ، الذي يعتبر واحدا من واضعي علم البيان العربي، يعترف بلا محدودية المعنى مقابل محدودية اللفظ، فالمعاني - عنده - " مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي و البدوي و القروي، إنما الشأن في إقامة الوزن و تمييز اللفظ، و سهولة المخرج، و في صحة الطبع، و جودة السبك، فإنما الشعر صياغة، و ضرب من النسج، و جنس من التصوير"³. فالأهمية كلها للفظ من حيث: مخارج حروفه، وإقامة وزنه، وجودة سبكه، ولا يمكن الاعتراف بوجود معان طالما لا يوجد لفظ تلبسه، مع إشارته لأسبكية وجود المعنى، وأهمية العناية باللفظ .

و يبدو أنّ هذا النص قد فتح الباب أمام النقاد ليصفوا الجاحظ بالشكلية و اهتمامه بالصنعة اللفظية، غير أنّ المتمنّ في كلامه سيجد أنّ الجاحظ يرتفع بالشعر عن الصورة الخطية إلى النسج و التصوير و التعمق في كل أبعاد النفس الإنسانية، فالطرح الذي استعمله في وصف المعاني بقوله " مطروحة في الطريق" ليس طعنا و إسقاطا لها لصالح الألفاظ، فالطرح هنا كناية عن اتساع المعاني و لا محدوديتها، فهو يرى أنّ " المعاني ممتدة و لا نهائية، و لا بدّ للشاعر من بذل طاقة نفسية من ذاته المبدعة في سبيل اختيار الألفاظ و الأوزان لمعانيه المرغوبة"، تماما كما يجتهد السبّاك و النسّاج و المصوّر.

و ما استنتجته من عبارة الجاحظ أنّ الطرح الذي وصف به المعاني هو وصف للألفاظ أيضا، فالألفاظ كثيرة و يعرفها البدوي و الحضري، و لكن الشأن كله في تحيّر الألفاظ المناسبة أولا، ثمّ حسن سبكها ثانيا، لتتضافر مع المعنى في تقديم الصورة الإبداعية المكتملة.

ويمكن تلخيص قضية اللفظ و المعنى عند الجاحظ⁴ في أربع نقاط:

- 1- أهمية الثنائية اللفظ/ المعنى .
- 2- استقلالية اللفظ عن المعنى .
- 3- أسبكية وجود المعنى لوجود اللفظ .

¹ - ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاحري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية الأزاريطة، ص: 24.

² . شغلت قضية اللفظ و المعنى البلاغيين و النقاد القدماء في إطار تعرضهم لإعجاز القرآن الكريم، و نشأت بينهم اختلافات دارت حول إشكالية: هل يكمن الإعجاز في اللفظ؟ أم في المعنى؟ أم في تضافر اللفظ و المعنى؟. للتوسع في آرائهم ينظر: أبو الهلال العسكري في الصناعتين، ابن قتيبة في الشعر و الشعراء، قدامة بن جعفر في نقد الشعر، ابن رشيق القيرواني في العمدة في محاسن الشعر، ابن الأثير في المثل السائر، عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز.

³ . الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام هارون، مج 3، ص: 132.

⁴ . ينظر: محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث، دار الشروق، دت، ص: 248-252.

4- أفضلية اللفظ على المعنى، وهي أفضلية تتعلق بضرورة انتقاء ألفاظ تخدم المعاني.

و يبدو أنّ عبد القاهر الجرجاني حاول تقريب كلام الجاحظ، فوضع نظرية النظم التي تهتم بسبك الألفاظ وحسن التأليف بينها و بين المعاني.

اللغة في الشعر - عند الجرجاني- وحدة لا تتجزأ؛ فالأفكار و الأحاسيس لا تكون إلا إذا استطعنا صياغتها في ألفاظ قادرة على تجسيدها- وعليه فقد خطأ المتصنعين للشعر المفرطين في الاهتمام باللفظ وإغفال المعنى، فما الألفاظ إلا وعاء للمعاني، تنتظم بانتظامها، وتناسق بتناسقها، يقول الجرجاني: "إنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة و لا من حيث هي كلمٌ مفردة، و أنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة و خلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ. و ممّا يشهد لذلك أنّك ترى الكلمة تروك و تؤنسك في موضع، ثمّ تراها بعينها تثقل عليك و توحشك في موضع آخر"¹.

فالنظم عند الجرجاني بهذا المعنى ترتيب للألفاظ بما يوافق المعاني، و هو عنده نظير للنسج و البناء و التحبير، فيتقصى الواحد بنظم كلماته نظم المعاني في نفسه حتى تبدو الألفاظ و المعاني جزءا واحدا، يختلّ الأول منها باختلال الثاني، و هذا ما يُسقط فرضية إغفال المعاني لصالح الصنعة اللفظية، أو إغفال اللفظ لصالح المعاني العقلية، فليس النظم نظم الكلم فقط و لا نظم المعاني فقط، بل هو ما " تناسقت دلالتها و تلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"².

كما تطرق الجرجاني لقضية الأسبقية، فأكد أن كل فكرة غير مسموعة، أي في ذهن الإنسان، فلا نقول عن فكرة إنما موجودة إلا وقد قرناها باللفظ الموازي لها، إنه الميلاد الموحد زمنيا للفظ و المعنى، وعليه فإن النقد لا يمكن أن يفاضل بينهما، بأن ينسب المزية لأحدهما دون الآخر، ومن هنا خرج الجرجاني إلى القول بأنه لا يمكن الحكم على اللفظة الواحدة بالفصاحة إلا باعتبار مكانها من النظم، واتفاقها مع الألفاظ و المعاني المجاورة لها.

لقد استطاع عبد القاهر الجرجاني أن يمسك العصا من الوسط؛ فجمع بين اللفظ و المعنى، و غلق باب الأسبقية و الأفضلية بينهما؛ إذ " لم يكن اللفظ- عنده- محدودا في قيمته الصوتية، كما لم يكن المعنى قاصرا على الفكرة أو المضامين الأخلاقية و الفلسفية وغيرها، وإنما اللفظ بكل إمكاناته الصوتية و غير الصوتية في خدمة المعنى، و المعنى عنده هو كل ما نتج عن السياق من فكر، وإحساس، و صورة، و صوت"³.

¹. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد رضوان الداية و فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007، ص: 94.

². السابق، ص: 98.

³. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي، ص: 298.

يوافق ابن الأثير نظرية النظم، و يشير إلى أهمية النظم التركيبي ضاربا المثل بالقرآن الكريم الذي استعمل في آياته كلمات من لغة العرب، و خاطبهم بلسانهم، و لكنّه فاق شعرهم و تجاوز نثرهم و أعجز بلغاءهم، و ما ذلك إلا لمزية التركيب. يقول ابن الأثير: " ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملتها العرب و من بعدهم، و مع ذلك فإنّه يفوق جميع كلامهم و يعلو عليه؟ و ليس ذلك إلا لفضيلة التركيب" ¹. فالألفاظ كثيرة و متوفرة، و مسألة النظم متعلقة بحسن تأليف هذه الألفاظ بما يناسب بعضها البعض و يخدم المعنى ف "التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر ممّا يقع في مفرداتها، لأنّ التركيب أعسر و أشق" ²، و به تقاس علوم الناس و أفهامهم و بلاغتهم.

و خلاصة القول أنّ اهتمام القدماء باللغة في نشأتها و أصواتها و نحوها قد تركز حول تراكيب اللغة و المعاني التي تؤديها التراكيب، فشغلتهم في ذلك مسألة تحقيق المعاني بين النظم التركيبي و النظم الصوتي. و الحقيقة أنّ الفصل بين النظمين هو فصل معرّفي لا فصل وظيفي، فالصوت و التركيب وجهان لعملة واحدة، بحيث لا تتحقق قيمة هذه العملة إلا في صحة وجهيها و تناسقهما و تعالقيهما لتحقيق معنى واحد. و أكبر دليل على ذلك، حاجة النحو و الصرف إلى علم الصوت، و استفادة علم الصوت من بحوث النحويين و البلاغيين القدماء، و أكثر من ذلك اجتماع الصوت و التركيب في نظم واحد لتفسير إعجاز اللغة في القرآن الكريم. فعماد النحو العلامة الإعرابية، و هي ذات طبيعية صوتية (فالحركات الإعرابية رموز صوتية: الضمة و الفتحة و الكسرة. و علامة الجزم مثلا في الفعل المعتل حذف صوتٍ هو حرف العلة. و تعمل بعض الظواهر الصوتية (كالتنغيم) أحيانا عمل أداة نحوية...)، و أساس البلاغة هو التراكيب النحوية الصحيحة و الصيغ الصرفية المناسبة و الأصوات المتلائمة المخرج و الصفات. و لهذا لا يكاد يخلو مصنّف نحوي من المصنّفات القديمة من الدرس الصوتي. لأن العلاقة بينهما أخذ و عطاء و تكامل.

فالدلالة غاية النظم الصوتي و النظم التركيبي، و تحقيقها المتكامل يكون بتضافر النظمين و تألف معطياتهما. إنّهما جزءان لكل واحدٍ، و مادتا بناءٍ لبناءٍ واحدٍ هو: الدلالة.

ورغم هذا الاهتمام بالدرس الدلالي الذي بدا واضحا لدى اللغويين و البلاغيين و الأصوليين القدماء، فإننا لا نلمح ظهورا لعلم الدلالة بما تحمله كلمة علم من دلالات إلا في أواخر القرن التاسع عشر (ق 19م)، و تشير مجمل الدراسات و البحوث إلى أن حدود هذا العلم قد استثمرت مع (ماكس مولد) الذي ناقش في كتابه (علم

¹. ابن الأثير، المثل السائر، تح بدوي طبانة، دار النهضة المصرية، دط، دت، ج1، ص:166.

². السابق، ص: 166.

اللغة (1862) العلاقة القائمة بين اللفظ و المعنى، ليظهر بعد ذلك الاهتمام بالدراسات الدلالية، وكان " أول من استعمل مصطلح علم الدلالة Semantique هو اللساني الفرنسي بريال Bréal وذلك في مقاله الصادر عام 1883م، ثم ما لبث أن فصل القول في مسائل المعنى في كتابه الموسم "محاولة في علم الدلالة Essai de sémantique وذلك سنة 1897م"¹ وهو كتاب أسس به لعلم الدلالة الذي وصفه بأنه العلم الذي يدرس المعاني وتغيراتها، ومناسبتها للألفاظ، فلفت بذلك انتباه اللسانيين إلى قصور النظرية اللسانية المعتمدة على الجانبين الصوتي و النحوي فقط، و المهمات للجانب الدلالي، إلا أن هناك من نسب مصطلح " علم الدلالة" لغير ميشال بريال، إذ "يشير فيرث Firth إلى أن بلومفيلد Bloomfield قد استخدم صيغة الوصف sémantique في 1895م، كما احتوى كتابه Language الذي نشر في 1933م على مصطلح "التطور الدلالي Semantic change"²، وكان اللغويان أوقدن Ogden و ريتشارد Richard قد وضعوا كتاب " معنى المعنى" سنة 1923 الذي كان له الأثر الأكبر في منهجية البحث الدلالي، إذ تناولوا فيه جملة من القضايا المهمة كمفهوم اللفظ و المعنى، والعلاقة الموجودة بينهما، ونقد بعض الآراء الفلسفية حول المعنى، ليأتي بعدهما ديسوسير Desaussur الذي أخضع الدلالة لمنهجه الرامي إلى الدراسة الآتية للغة أي دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، فاستطاع بذلك الفصل في قضية أسبقية الدال و المدلول، بأن قال بعدم إمكانية الفصل بينهما، لأن العلاقة بينهما علاقة تداعي، فالعلامة لها طرفان: الدال و المدلول، الدال يستدعي المدلول، والمدلول يستدعي الدال بطريقة تجعلهما وجهين لعملة واحدة، لا يمكن الفصل بينهما، مع تركيز بحثه الدلالي على المدلول الذي يمثل الفكرة و المفهوم، وهذا ما أكده أولمان Ullmann في أبحاثه، إذ رأى أن العلاقة بين اللفظ والدلالة هي علاقة متبادلة " فعندما يفكر شخص ما في (شجرة) مثلا فسوف ينطق الكلمة (أي كلمة شجرة) كما أن سماعه هذه الكلمة يجعله يفكر في الشجرة"³.

واستكمالاً لمسار تراثهم، ومسايرة لمعاصريهم، أفرد الباحثون العرب بحوثاً ودراسات في علم الدلالة، كإبراهيم أنيس صاحب مؤلف (دلالة الألفاظ) الذي تناول فيه قضية نشأة اللغة، واكتساب اللفظ للمعنى، ومستويات البحث الدلالي، إضافة إلى أحمد مختار عمر في كتابه (علم الدلالة) وكمال بشر في (قضايا لغوية)، و هادي نهر (علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي)... وغيرهم.

¹ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، المكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1991، ص: 8.

² محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، ص: 89.

³ صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص: 28، 29.

الفصل الأول

الوقوف وأبعاده الصوتية والسرالية

في ربيع يس.

المبحث الأول: الوقف و الظواهر التطريزية الأخرى:

I. الوقف و التنعيم.

1. معنى التنعيم.

2. وظائف التنعيم.

أ - وظيفة نحوية تركيبية.

ب - وظيفة دلالية سياقية.

3. بين الوقف و التنعيم.

II. الوقف و النبر:

1. معنى النبر.

2. أنواع النبر و وظائفه.

أ - نبر المقطع.

ب - نبر الكلمة.

3. بين الوقف و النبر

المبحث الثاني: وظائف الوقف في فواصل بع يس.

1 - وظيفة فيزيولوجية.

2 - وظيفة تركيبية . دلالية

3 - وظيفة تفسيرية

4 - الوقف و القراءات

5 - تحديد الفواصل

المبحث الثالث: الوقف على كلاً و بلى و نعم في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الوقف على كلاً و بلى و نعم

I. الوقف على كلاً:

أ - معنى كلاً و حكم الوقف عليها.

ب - مواضع كلاً في القرآن.

ت - أقسام كلاً بحسب الوقف عليها.

.II . الوقف على بلى:

- أ - معنى بلى و موقعها في الجملة.
- ب - مواضع بلى في القرآن.
- ت - أقسام بلى و مواضعها في ربع يس.

.III . الوقف على نعم:

- أ - معنى نعم و موقعها في الجملة.
- ب - الفرق بين نعم و بلى.
- ت - مواضع نعم في ربع يس.

المبحث الأول: الوقف و الظواهر التطريزية الأخرى.

I. الوقف و التنغيم.

التنغيم ظاهرة لغوية فوق قطعية، تكتسب أهمية كبيرة في اللغة العربية و في غيرها من اللغات التي تستفيد منه وظيفياً. فاستعمال التنغيم في تراكيب لفظية تتكوّن من نفس الوحدات الصوتية الصغرى يؤدّي في غالب الأحيان إلى تحصيل دلالات مختلفة. و قد انتبه القراء و المفسّرون الأوائل إلى أهمية التنغيم في تحصيل دلالات القرآن الكريم، و ذلك بالتوازي مع الظواهر فوق القطعية الأخرى كالوقف و التنغيم، فأولوه عناية خاصة في أدائهم للنص القرآني باعتباره من العناصر الأساسية التي تشكّل الملامح الدلالية في الآيات القرآنية، ف " وجود النبر و التنغيم في الكلام المسموع دون المكتوب يجعل لهما أثراً في الكشف عن ظلال المعنى و دقائقه" ¹، و ذلك رغم انه (التنغيم) لم يحظ بالاهتمام الذي يوثقه في شكل رموز كتابية، فظلّ رغم أهميته ظاهرة صوتية أدائية غير خطيّة.

1. معنى التنغيم:

التنغيم في اللغة من النغم، و هو " الكلام الخفي" ²، و مفردة نغمة، و هي " جرس الكلمة و حسن الصوت من القراءة و غيرها" ³.

و في الاصطلاح، التنغيم ظاهرة لغوية تقابل المصطلح الأجنبي Intonation الذي يعني " تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معيّن" ⁴. و يعرف ببساطة أكثر أنه " تتابعات مضطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة، أو أجزاء متتابعة، و هو وصف للجمل و أجزاء الجمل، و ليس للكلمات المختلفة المنعزلة" ⁵، و ذلك لاقتزانه بالحدث الكلامي.

يطلق البعض مصطلح (النغمة) على (التنغيم)، كما فعل صاحب (معجم الصوتيات) الذي جمعهما في تعريف واحد: " النغمة و التنغيم في الدراسات الصوتية، تجميل الصوت أو تحسينه في القراءة و الغناء على لحن مختلفة في رفع الصوت و خفضه" ⁶.

¹ محمد مسعود علي حسن عيسى، أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي، دار السلام للطبع، مصر، ط1، 2009، ص: 57.

² الفيروزآبادي، معجم المحيط، مادة: (ن غ م).

³ ابن منظور، لسان العرب، مادة: (ن غ م).

⁴ ماريوباي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1998م، ص: 93.

⁵ أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 229.

⁶ رشيد عبد الرحمن العبيدي، معجم الصوتيات، مركز البحوث و الدراسات الإسلامية، العراق، ط1، 1995م، ص: 201.

وقد تطفن اللغويون العرب إلى ظاهرة التنغيم، ومارسوها في لغة تواصلهم اليومي، إنما الواضح أنّ ذلك لم يعتمد على التقنين و التلقين، بقدر ما كان حدثاً لغوياً يعتمد على السليقة والدربة، ومن المحدثين من أنكر معرفة العرب لموسيقى الكلام متجاهلاً بذلك ما قدّمه الخليل (ت 170هـ) من تقنين مذهل لموسيقى الشعر العربي، وما ألقاه إنيابن جني وسيبويه (ت 180هـ) وغيرهم، لغويين وقراء، من ملاحظات قيّمة، تجعل كثيراً من لغويي العصر يقرّون بـ "أنّه كان للعرب في القديم إدراك عميق بموسيقى الكلام وألحانه، يظهر ذلك على وجه الخصوص في صناعة الشّعر وإنشائه، حيث لا يتم هذا أو ذاك إلاّ بتلوينات موسيقية تؤاخي بينهما في الفكر والخيال والعاطفة والوجدان، لقد كانوا فرسان الشعر وأمراء البيان، فأثى لهذه الفروسية وذلك البيان أن يتحقّقوا والكلام ساكن صامت، لا يحرك عقلاً"¹.

فابن جني مثلاً، رغم أنه لم يوظّف مصطلح التنغيم بحروفه، و لم يشير مباشرة إلى وظائفه إلاّ أنّه "راكم في (الخصائص) و (المحتسب) إشارات عديدة عن هذه الظاهرة التطريزية، ممّا يعكس إحساسه بها، و استحضاره لها في تحليلاته"².

وتُضاف إلى جهود اللغويين جهود القراء الذين حرصوا على الأداء القرآني الذي يخدم موقفه، ويُحافظ على معانيه ودلالاته، والذي يتأتّى من معرفة قوانينه وأحكام ظواهره الصوتية.

فترتيل القرآن وفق أحكامه يضيف إليه معان كثيرة، من خلال تحقيق المدود الزائدة، و الغنة، و الإظهار والإخفاء...و يعتبر التنغيم من أهمّ الظواهر الأدائية للمعاني في القرآن، و تصويراً للدلالات التي لا تتأتّى إلاّ على لسان القارئ المتأثي، المتمعن في ألفاظه، و المتدبر لمعانيه، ف - "القراء الجيدون يستطيعون إبراز المعاني القرآنية صوتياً عن طريق التنغيم، أي رفع الصوت و خفضه و تلويحه بألوان مختلفة تعبّر عن الفرح، أو الحزن، أو الخوف، أو الدهشة، أو التعجب، أو الغضب، أو الرضا..."³.

أمّا في الدراسات اللغوية العربية الحديثة، فمصطلح (التنغيم) نقل عن اللغات الأخرى، و "على الرغم من الإجماع على هذه الترجمة إلاّ أنّ هناك ترجمات أخرى غيرها. فقد ترجمه إبراهيم أنيس بموسيقى الكلام، و الدكتور شاهين بالنبر الموسيقي، و سمّاه الدكتور فاضل السمراي النغمة الصوتية"⁴، و استعمل الباحث كمال بشر مصطلح

1 . كمال بشر: علم الأصوات، ص: 548.

2 . أحمد البايي، التنغيم عند ابن جني، مقال، مجلة آفاق الثقافة و التراث، إ ع م، س 11، ع 41، 2003، ص: 08.

3 . محمد محمد داوود، الإعجاز البياني في القرآن، دار جيا، م ع س، ط1، 2011، ص: 52.

4 . عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط2، 2007م، ص: 263.

(التنغيم) و عرّفه قائلاً: "هو موسيقى الكلام" ¹، و عدّه روح الكلام، و عاملاً أساسياً من عوامل توضيح المعنى وتمييز أنماط الكلام. و اعتبره محمد علي الخولي "فونيم فوق قطعي يصاحب الفونيمات القطعية و يؤثر في المعنى" ².

و اهتمت الدراسات الصوتية الحديثة بالتنغيم، و أفردت له بحوثاً و مخابراً مكنتها من الاستفادة من علم الصوت الحديث في دراسة نغماته و تمثيلها بمنحنيات تسهّل تحليلها، و ذلك من خلال مراقبة عمل الوترين الصوتيين و الذبذبة الناتجة عنهما خلال العملية الكلامية التي "تظهر في الرسم الطيفي على شكل منحى يعرف بمنحنى التواتر الأساسي، و كلما زادت قيمة التواتر لذبذبات الوترين كانت النغمة عالية كنغمة الاستفهام مثلاً، و كلما انخفضت كانت النغمة منخفضة، كالنغمات التي تنتهي بها الجمل التقريرية" ³. و عليه فدراسة النغمات أساسية في التنغيم، و على أساسها يحكم على نمط الجملة المنطوقة و نفسية المتكلم.

و تختلف صور التنغيم و طاقته التعبيرية باختلاف نغماته التي حصرها الدارسون في ثلاث نغمات ⁴، هي:

أ - النغمة الهابطة: Falling tone

و هي نغمة تتسم بالهبوط في نهايتها على الرغم مما قد تنتظمه من تلوينات جزئية داخلية، أي تتجه النغمة نحو الهبوط في آخر الجملة، و يتحقق ذلك عادة في الجمل الخبرية و الطلبية ذات المعنى الكامل غير المعلق.

ب - النغمة الصاعدة: Rising tone

و هي نغمة يرتفع آخرها، فتكون صاعدة قليلاً low rising أي ارتفاعاً طفيفاً، كالجمل الاستفهامية والجمل المعلقة (الشرطية مثلاً).

ت - النغمة المستوية:

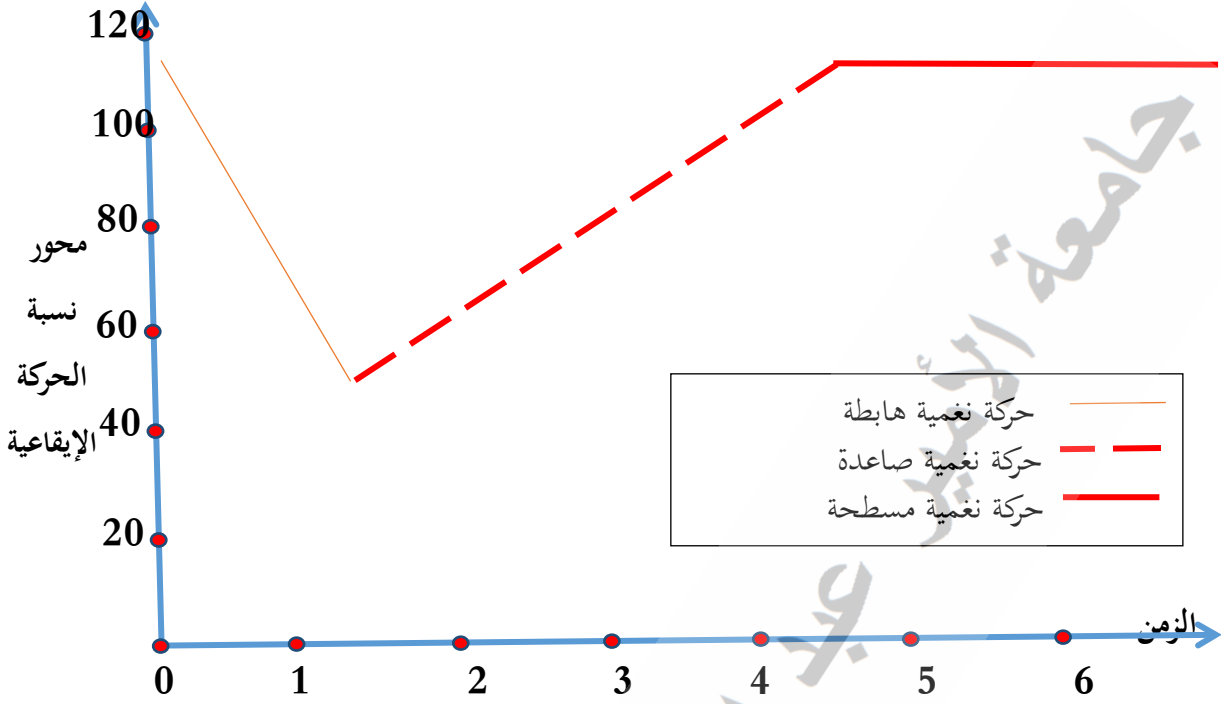
و هي النغمة المسطحة التي تحدث قبل تمام المعنى و التي تشير إلى استمرار الكلام.

¹ . كمال بشر، علم الأصوات، ص: 533.

² . معجم علم الأصوات، محمد علي الخولي، مطابع الفرزدق، ط1، 1982، ص: 175.

³ . رضا زلاقي، التنغيم رؤية فيزيائية، مقال منشور بالموقع الإلكتروني لجامعة بومرداس، ص: 08.

⁴ . ينظر كمال بشر، علم الأصوات، ص: 534. و تمام حسان، اللغة العربية مبناها و معناها، ص: 226.



تمثيل بياني لحركات التنغيم (أنواع النغمات)

و تجدر الإشارة إلى أنّ النغمات تكون في معظم الأحيان مركبة: صاعدة/نازلة، أو نازلة/صاعدة، حسب نوع الجملة و المعنى الذي تفيده، و يؤخذ بعين الاعتبار نوعها في نهاية الجملة، و على أساسه تصنّف الجمل. على أنّ العلماء جعلوا لكلّ نغمة خمسة مستويات متفاوتة، رتبت من 01 إلى 05، يكون أخفضها و أدناها (01)، و أوسطها (03،02)، و العالية (04،03،04)، و العالية (04،05،04)، و لكلّ نوع من هذه النغمات دلالة في الكلام¹.

2. وظائف التنغيم في القرآن:

التنغيم من أهم الظواهر الأدائية في القرآن الكريم خدمة للمعاني و تصويرا حسيًا للدلالات التي قد لا تتأتى إلا على لسان قارئ المتمعّن في ألفاظه، و المتدبّر لمعانيه، فيكون الجرس الصوتي بذلك عنصرا من العناصر الأساسية التي تشارك في بناء الدلالة في القرآن الكريم، و ذلك من خلال وظائف محدّدة يقوم بها:

¹. ينظر: يحيى المباركي، المدخل إلى علم الصوتيات العربي، ص: 186،187.

أ. الوظيفة النحوية (التركيبية): Grammatical

تعدّ الوظيفة النحوية أهمّ وظيفة يؤدّيها التنغيم كظاهرة صوتية، إذ يساهم بفعالية في تحديد الأنماط التركيبية للجمل و أجناسها النحوية، من ذلك تحديد هوية المتلفظ به ، حيث يكون التنغيم "عاملا أساسيا في بيان إنّ المنطوق مكتمل في معناه و مبناه أو غير مكتمل"¹، و مثال ذلك الجملة الشرطية، و الجملة المعلقة غير المكتملة.

• قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ فِإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُۥ سٰٓجِدِينَ

٧٦ ﴿٧٦﴾².

في الآية خطاب الله عزّ و جلّ للملائكة يخبرهم فيه بخلقه عبادا آخرين غيرهم و هم البشر، ثمّ يأمرهم بالوقوف ساجدين لآدم عليه السلام بعد أن ينفخ فيه الروح، ف (إذا) في الآية ظرفية شرطية متعلّقة بمعنى الجواب، والجواب (فَقَعُوا لَهُۥ سٰٓجِدِينَ). يقرأ القارئ (فِإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) بنغمة متعالية نتحسّس فيها نقصا في المعنى، ويكتمل هذا المعنى مع الصوت النازل عند مواصلة الآية (فَقَعُوا لَهُۥ سٰٓجِدِينَ)، لأنّه "عادة ما تنتهي الجمل الشرطية بنغمة صاعدة، دليلا على عدم تمام الكلام، فتمامه يحصل بجواب الشرط الذي ينتهي بنغمة هابطة دليلا على الاكتمال في المبني و المعنى معا"³. كما نستطيع القول هنا أنّ التنغيم في الأداء لعب دور علامات الترقيم في الكتابة؛ إذ تأخذ الفاصلة موضع نهاية جملة الشرط، و تأخذ النقطة موضع نهاية جملة جواب الشرط. فنكتب:

الجملة الشرطية: جملة الشرط، جملة جواب الشرط.

أي نكتب: فِإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي، فَقَعُوا لَهُۥ سٰٓجِدِينَ.

إذ تستعمل "الفاصلة دليل استمرار المنطوق، كما تعني ارتباط هذا الجزء المنطوق و تعلّقه بما يكمله، فكانت النقطة في النهاية دليلا على الاكتمال"⁴. فالفاصلة دليل الوصل بين أطراف الكلام، و عن كانت أداة فصل في السلسلة الكلامية.

لقد كان التنغيم أداة أساسية في النطق و الأداء خدمة لمعنى الآية و ذلك بتحديد نوع الجملة من خلال تحديد نوع النغمة المطبّقة، فنغمة جملة الشرط صاعدة لتعلّقها بما بعدها، و نغمة جواب الشرط هابطة لتمام معناها.

¹. كمال بشر، علم الأصوات، ص: 541.

². ص/71، 72.

³. السابق، ص: 541.

⁴. السابق، ص: 542.

و في ربع يس عدد غير قليل من الآيات التي بها جمل شرطية تقرأ بنغمة صاعدة في شرطها و هابطة في جوابها: و من أمثلة ذلك نذكر:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾¹

و قوله: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٣١﴾﴾²

و قوله أيضا: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾³

و قوله: ﴿لَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا فَظَلْتُمْ تَفَكُهُونَ ﴿٦٥﴾﴾⁴

• قال تعالى: ﴿وَكَأَنُوقِيُولُونَ أَيِّذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ

وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾⁵

في إطار وظيفته النحوية يلعب التنغيم دورا آخر يظهر بوضوح في " التفريق بين الجملة الخبرية و الجملة الاستفهامية، و كذلك الجملة التعجبية، فالتنغيم عنصر أساسي في تمييز هذه الجمل و التفريق بينها"⁶، و يظهر ذلك من خلال اتجاه النغمة: الصاعدة، أو النازلة، أو المسطحة. فإذا أخذنا مثلا الآيات المدونة أعلاه، و جدنا أنها آيات متتالية تُقرأ بنغمات مختلفة، إذ تبدأ الآية باستفهام الكافرين عن حقيقة البعث بعد أن يصبح الإنسان تراباً ((مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ))، و عن إمكانية بعث كل الخلق الذي مضى زمنه ((أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ)) فتبدأ الآيتان باستفهام أداته الهمزة (أ)، و ينتهي قارئها بنغمة صاعدة حاملة استفهام (أصحاب الشمال) في محاولة منهم لتبرير كفرهم و إقامة الحجة على المؤمنين، على معنى: هل سنبعث بعد أن تتحلل أجسادنا و تصبح ترابا و عظاما؟ و هذا "استبعادٌ منهم لأمر البعث و تكذيبٌ له"⁷. فالآية الكريمة استفهام على على لسان الكافرين، و عادة ما "تنتهي جملة الاستفهام بنغمة صاعدة دليلا على أن الكلام لم يتم، و تمامه

1. الأحقاف/ 32.

2. محمد/ 21.

3. القمر/ 02.

4. الواقعة/ 65.

5. الواقعة/ 47، 50.

6. خالد قاسم بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006م، ص: 155.

7. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص: 310.

بالإجابة التي تنتهي بنغمة هابطة" ¹، و ذلك ما جاء في جواب الله لهم في قوله: ((قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿١٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٠﴾))، فذلك تقرير منه عزّ و جلّ بأنّ كلّ الخلائق، السابقة و اللاحقة، ستُجمع و تُحشر إلى ربها في يوم الحساب المعلوم عنده. فانظر كيف فرّق التنغيم بنغمته الصاعدة أو الهابطة الجملة الاستفهامية عن الجملة الخبرية.

• قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ ².

تعتمد اللغة العربية بشكل كبير على الأداء و التنغيم، و هو ما يجعل القرينة الصوتية في بعض الحالات أقوى من القرينة اللفظية. فالتنغيم ينوب عن اللفظ إذا غاب، و يستحضر معناه. و مثال ذلك قولنا: جاء أحمد. فالقراءة بالنغمة الصاعدة يغيّرُها من جملة خبرية إلى جملة استفهامية: جاء أحمد؟ فينوب التنغيم فيها عن الأداء (هل)، على معنى: هل جاء أحمد؟

و في الآية المذكورة أعلاه، نجد أنّ التنغيم يعمل عملا عكسيا فيلغي أداة الاستفهام؛ إذ تبدأ الآية بأداة الاستفهام (هل) رسماً، و لكن التنغيم كقرينة صوتية أدائية جرّدها من عملها و أنهى الآية بنغمة هابطة على معنى الجملة التقريرية، فبالاستماع إلى القراء و بالنظر إلى سياق المعنى في الآية نجد أنّها لم تكن جملة استفهامية، ذلك أنّ (هل) في الآية أداة استفهام للتقرير و جعلها النحاة بمعنى (قد) ³. فالقرينة الصوتية المتمثلة في التنغيم تغلّبت على القرينة اللفظية، و حوّلت الجملة التي يوهّم ابتداءؤها ب (هل) أنّها استفهامية إلى جملة تقريرية، و " الاستفهام يُفهم من التراكيب و ما يصاحبها من قرائن معنوية و أدائية، لا من الأداة وحدها" ⁴، بل إن القرينة الصوتية الأدائية (التنغيم) كانت حصنا حافظ على سلامة المعنى من التحريف و سوء الفهم من خلال حفاظه على نوع الجملة: تقريرية لا استفهامية. و قد أورد القرطبي في تفسيرها أنّ " (هل) بمعنى (قد)، قاله الكسائي، و الفراء، و أبو عبيدة. قال الفراء: (هل) تكون جحدا و تكون خبرا، فهذا من الخبر. لأنك تقول: هل أعطيتك؟ تقرّره بأنك أعطيتك" ⁵، فهو تقرير من الله أنّه تعالى خلق الإنسان و أوجده بعد أن لم يكن شيئا.

و يجري ما قلناه في هذا المثال عن تحوّل الاستفهام إلى معنى التقرير بفضل التنغيم على آيات أخرى كثيرة نذكر منها على سبيل التمثيل:

¹ .كمال بشر، علم الأصوات، ص: 543.

² .الإنسان/01.

³ . ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 1، ص: 213، و زكريا الأنصاري، إعراب القرآن العظيم، تح موسى علي موسى مسعود، دار ابن الحزم، القاهرة، 2010م، ص: 487.

⁴ . سامي عوض، دور التنغيم في تحديد معنى الجملة، مقال، مجلة جامعة تشرين، ع1، 2006، ص: 06.

⁵ . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1949، ج19، ص: 117.

قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾¹.

خرج الاستفهام في هذه الآية من معنى الاستفهام إلى معنى التأكيد و الإخبار، و ذلك بفضل التنغيم الذي اتحد مع السياق في تحديد المعنى المراد.

و قوله تعالى أيضا: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَلْبُكَ أَنْتَ أَلَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾².

الاستفهام في الآية لا يحتاج إلى جواب، و إنما الغرض منه النفي، أي نفي أن يتساوى العالمون و غير العالمين. و يُدرك هذا المعنى من خلال التنغيم بقراءة الآية بنغمة هابطة.

• قال تعالى: ﴿يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾³.

رأينا في المثال السابق كيف كان التنغيم وسيلة أدائية في تحديد نمط الجملة الخبري، رغم وجود أداة استفهام. و نلاحظ في مثالنا هذا ابتداء الجملة بالنداء (يَحْسِرَةَ) و أدواته (يا)، فيتوقع المستمع أن تنتهي الجملة بنغمة نازلة لأن الجملة طلبية، و لكن السامع سيرصد نغمة صاعدة، حاملة في صعودها معاني التعجب و التحسر على العباد الكافرين الذين استهزؤوا بالرسول، لتخرج بالنداء من معناه الحقيقي إلى معناه البلاغي المتعلق بالتعجب⁴. و ذلك رغم وجود الأداة النحوية و اكتمال البنية التركيبية للنداء. ف (يا) أداة النداء، و (حسرة) منصوبة على النداء. فلولا التنغيم لأوهم التركيب أن المعنى من الجملة هو النداء وقفا على الإعراب، و لكن ضبط التنغيم حافظ على معنى التعجب و التحسر في الآية، و المناسب للتعجب و التحسر "أن تكون نغمة الأداء مرتفعة صاعدة لتؤدي إلى إيصال معنى التعجب من هؤلاء الذين يكفرون بالله"⁵.

و في ربع يس أمثلة أخرى عن الجملة التي يوحي تركيبها بالنداء، و لكن تنغيمها يوجّه الدلالة إلى معنى آخر اتفق عليه القرء و المفسرون، من ذلك:

¹ . الرحمن/60.

² . الزمر/ 09.

³ . يس/30.

⁴ . أحمد محمد فارس، النداء في اللغة و القرآن، دار الفكر اللبناني، ط1، 1989، ص: 154.

⁵ . مزاحم مطر حسين، أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية، مقال، مجلة القادسية في الآداب و العلوم التربوية، ع3، 2007، ص: 06.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَكَلِّتُنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾¹. والتي

يخرج فيها النداء إلى معني تحسّر الكافرين يوم القيامة عندما ينظرون إلى ما قدّمت أيديهم. و ذلك على عكس كثير من الآيات التي يتحد فيها التركيب و التنغيم في اتجاه واحد لتحقيق فائدة النداء الحقيقي، كقوله تعالى :

﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا بَرّهٖمُ ﴿١٣﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾².

و قوله أيضا: ﴿يَدَاؤُدُّ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾³.

• قال تعالى: ﴿يَس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾﴾⁴.

تظهر أهمية التنغيم أكثر في قدرته على أخذ دور بعض الأدوات النحوية، كأدوات النداء و الاستفهام. ويصبح بذلك هو العامل الأهم في الحكم على نمط الجملة، و قد لفتت هذه القضية انتباه المتقدمين و المحدثين، فعمدوا إلى تحليل الكلام بعد الاطلاع على هيئته الصوتية، خاصة في الخطاب القرآني الذي تغيب في بعض مواضعه الأداة صرفيًا و تحضر صوتيًا. و يشير الباحث أحمد مختار عمر إلى هذه القضية قائلاً: " لا شك أنّ الأمثلة العربية القديمة التي وردت للنداء أو للاستفهام بدون أداة استفهام كانت تعتمد على التنغيم للدلالة على هذا المعنى المعين، و يكون وجد التنغيم في هذه الحالة هو المميّز الوحيد"⁵.

و في مطلع سورة يس مثال واضح على ذلك، فالله جل جلاله ينادي رسوله الكريم محمدا ﷺ: يس. دون أداة نداء⁶، و يتمّ تعويض الأداة المحذوفة بالتنغيم باعتباره أداة صوتية قادرة على إيصال دلالة النداء من غير أداة صرفية.

و ذلك كقوله أيضا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لِيَلَا وَنَهَارًا﴾⁷. حيث لم تُذكر أداة النداء في قوله (رَبِّ)،

وتمّ تعويضها بالتنغيم. و قد لعب التنغيم في هذه الآية عدّة أدوار دلالية، نلخصها في النقاط الآتية:

¹ . النبا/40.

² . الصفات/104، 105.

³ . ص/26.

⁴ . يس/01، 03.

⁵ . أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 367.

⁶ . اختلف العلماء في معنى (يس)، فقبل حروف متقطعة كفواتح الصور: كهيحص، ألم..و قيل قسم. و الأرجح ان يكون اسما للنبي محمد لأنه متبوع بقوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. ينظر: تفسير القرطبي، مج: 15. ص: 03_04. و رأى ابن جني غير ذلك فأورد: " و يحتمل ذلك عندي وجها

آخر، و هو أن يكون أراد يا إنسان، إلا أنه اكتفى من جميع الاسم بالسين". ينظر: ابن جني، المحتسب، ج2، ص:203.

⁷ . نوح/05.

أ - بيان أنّ فاعل الفعل (قَالَ) هو النبيّ نوح عليه السلام، و أنّ جملة مقول القول هي ((رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا)). و ليس مثل ما يوحي به لون تنغمي آخر من أنّ فاعل الفعل (قال) هو (رَبِّ)، و أنّ جملة مقول القول هي: ((رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا)).

ب - أغنى التنغيم عن الترقيم الذي يرد بالشكل التالي: قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا. ذلك أن التنغيم بمستويات نغماته المتتالية يقوم بوظيفة الترقيم، بل "أنّ التنغيم يكون أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة، و ربما كان ذلك لأنّ ما يستعمله التنغيم من نغمات أكثر ممّا يستعمله الترقيم من علامات" ¹، ولعلّ ذلك عائد إلى أنّ اللغة كانت ذات طبيعة صوتية قبل أن تكون ذات طبيعة خطيّة، فكان الاتصال الأساسي يقوم على الأداة الصوتي قبل أن يُضبط البديل الخطّي.

ت - تعويض أداة النداء المحذوفة عن طريق لون نغمي محدد يوصل دلالة النداء من غير أداة. و تجدر الإشارة إلى أنّ غياب أداة النداء في بعض الآيات القرآنية بلاغة في حدّ ذاته، و له أبعاد دلالية عميقة، كالدلالة على قرب المنادى من المنادي، إنّ قربا مكانيا حقيقيا، أو قربا معنوية متعلّقا بالمكانة التي يحظى بها المنادى.

• قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي مَرْصَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ².

رأينا في المثال السابق أنّ التنغيم غطّى غياب أداة النداء و حقّق الدلالة المقصودة عن طريق لون نغمي محدد، و في هذه الآية سنكتشف إمكانية تعويض أداة نحوية أخرى. تبتدئ الآية بنداء ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ))، و يعقبه استفهام إنكاري ((لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ))، تتبعها جملة ((تَبَتَّغِي مَرْصَاتَ أَزْوَاجِكَ)). فإذا قرأنا هذا الجزء من الآية بنغمة هابطة كان المعنى: لما تحرّم ما أحلّ الله لك ابتغاء مرضاة أزواجك. فتكون بذلك (ابتغاء) مفعولا لأجله، و يكون المعنى أنّ الرسول يحرم ما أحلّ الله له إرضاءً لزوجاته. و لكنّ التنغيم الذي يوجّه القراءة للآية بنغمة صاعدة تشير إلى الاستفهام بأداة محذوفة على معنى: أتبتغي مرضاة زوجاتك؟ أب: لا تحرّم على نفسك الحلال مرضاةً لأزواجك ³.

فالملاحظ أنّ التنغيم كان فيصلا في تحديد معنى الجملة و وجه دلالتها بوجه لم يكن ممكنا فيه الاعتماد على التركيب فقط، مقابل إهمال طريقة نطق هذه التراكيب.

¹. ليلي سهل، التنغيم و أثره في اختلاف المعنى و دلالة السياق، مقال، مجلة كلية الآداب، بسكرة، ع07، 2010، ص: 04.

². التحريم/01.

³. ينظر: يوسف عبد الله الجوارنة، التنغيم و دلالاته في العربية، مقال، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع 369، 2002، ص: 03.

يظهر من خلال استعراض بعض الأمثلة من ربع يس حول الدور التركيبي للتنغيم أنه يقوم بوظائف كثيرة متفاوتة الأهمية، نحاول تلخيصها في النقاط الآتية:

1. يمكن التنغيم من الكشف الصوتي عن اكتمال الجمل من عدمه، حيث تنتهي الجمل الشرطية مثلا في جزئها الأول (جملة الشرط) بنغمة صاعدة تلفت الانتباه إلى تعلق المعنى و عدم اكتمال المبنى، و اللذان يكتملان بالنغمة الهابطة في جزئها الثاني (جملة جواب الشرط).

2. يعطي التنغيم لكل نوع من الجمل نمطا تنغيميا معينا في نهايتها، ما يجعله أداة أساسية في التفريق بين الجمل التقريرية و الاستفهامية و التعجبية.

3. يقدم التنغيم للمتكلم الأهمية الكبيرة في تحديد معاني الجمل من خلال وضع الجمل في قالب و الإطار الصوتي الملائم، فقد يجعل الجملة الاستفهامية التركيب خبرية المعنى، و ذلك من خلال إخراج أداة الاستفهام من معناها الأساسي إلى أخرى كالتأكيد.

4. يكون التنغيم في بعض الحالات هو محدد نمط بعض الجمل بنيابته عن بعض الأدوات التركيبية صوتيا، فأداة الاستفهام أو التعجب أو النداء قد تغيب في بعض التراكيب، و لكن التنغيم يقوم مقامها و يحقق الدلالة المقصودة التراكيب.

5. ينوب التنغيم عن علامات التقييم في بعض التراكيب، كالنقطة و الفاصلة من خلال التمثيل الصوتي لها. بل إن التنغيم أوفر في دلالاته الصوتية من علامات التقييم.

ب. الوظيفة الدلالية السياقية:

يستخدم التنغيم في هذه الوظيفة لـ "الدلالة على المعاني الإضافية كالتأكيد و الانفعال و الدهشة والغضب"¹، و الزجر و التهكم و الدعاء و الاستنكار... و غيرها من المعاني و الدلالات التي يهدف المتكلم إلى تحقيقها خلال الموقف التواصلية، و التي تتم له وفق ألوان موسيقية إرادية مختلفة "حيث ينبىء اختلاف النغمات، وفقا لاختلاف المواقف الاجتماعية عن وجهات نظر شخصية في عملية الاتصال بين الأفراد، و هذه النغمات تؤدي دورها في هذا الشأن بمصاحبة ظواهر صوتية أخرى من ظواهر التطريز الصوتي، و ظواهر خارجية غير لغوية"²، كحركات اليد، و الرأس، و الوجه، و غيرها، منها تقطيب الحاجبين عند التعجب، و تقطيبهما عند الغضب، وتحريكهما عند اللامبالاة، و ما إلى ذلك. و كل "هذه الحركات مع أنماط التنغيم المختلفة تقود إلى الاختلاف أو التباين في المعنى السياقي CONTEXTUAL_MEANING للعبارة الواحدة حسب مقتضيات المقام أو

¹. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 366.

². كمال بشر، علم الأصوات، ص: 539.

السياق الاجتماعي SOCIAL CONTEXT¹. بل و ذهب البعض إلى أنّ التنغيم يمتلك معايير صوتية قادرة على كشف ما وراء الكلام الإرادي و خلفية الناطق الانفعالية اللاإرادية؛ إذ "يكشف عن نوايا المتكلم و عن حالته النفسية من خلال انفعالاته التي تفلت منه بطريقة لاواعية في صورة نطاقات تنغيمية و التي تشكل ما سمي بـ(لحن الكلام)"²، كالفرح و الخوف و المبالغة...

و على هذا الأساس أولى القراء التنغيم، في وظيفته الدلالية السياقية، أهمية خاصة، فاتخذوا من الجرس الموسيقي وسيلة فعّالة في التعبير عن معاني القرآن، بل وأداة تعبيرية يرجع الفضل إليها في أخذ خلاصة المعاني من المباني، ونقل مختلف المشاعر والانفعالات التي يحويها القرآن بين آياته في القصص، والحوارات، والوعيد، والتبشير، وقد جاء في البرهان عن التنغيم الذي يجعل القراءة تعبيرية: "فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ الم بهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم، و ينبغي أن يشتغل قلبه في التفكير في معنى ما يلفظ بلسانه فيعرف من كل آية معناها"³.

فقارئ القرآن هو متلقظ بألفاظ القرآن، معبر عن دلالاته، ومستنطق للمشاعر والهواجس والانفعالات، يعبر عن كل ذلك بنطاقات و ألوان تنغيمية مختلفة، و "كلّ تشكيل تنغيمي متميز يسند إلى القول و وظيفة انفعالية أو تعبيرية متفرّدة"⁴، و ذلك من خلال التغيّرات في طبقة الصوت و مدّه و علوّه حسب ما يناسب سياق الكلام. و باستماعنا إلى بعض القراء يقرؤون سورا من ربع يس، استطعنا أن نسجل بعض الملاحظات على مستوى التنغيم، منها:

1) قرأ عبد الباسط عبد الصمد⁵ مطلع سورة الفجر: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١﴾ و﴿لَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ و﴿الشَّفَعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ و﴿الَّيْلِ إِذَا يَسِر ۝٤﴾ بطريقتين متتاليتين تختلف فيهما الأولى عن الثانية؛ ففي الأولى قرأ قراءة هادئة مسترسلة تتناسب مع القسم و أسلوب التقرير بما يحدث من ظواهر كونية (الفجر، الليل...) اعتماداً على تنغيم هادئٍ منظم، قطع من خلاله

¹ . السابق، ص:540.

² . أحمد البايي، دور التنغيم في التواصل اللساني، مقال، مجلة علامات ، ع36، 2011، ص: 04.

³ . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج1، ص:450.

⁴ . مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: 43.

⁵ . عبد الباسط محمد عبد الصمد سليم داود (1927- 1988)م مصر، أحد أشهر قراء القرآن الكريم في العالم الإسلامي تميّز بجمال صوته وأسلوبه الفريد. لُقّب بالحنجرة الذهبية . حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد الأمير شيخ كتاب قرينه. أخذ القراءات على يد الشيخ المتقن محمد سليم حمادة.

⁶ . الفجر/ 01، 04.

1 " الآيات بإيقاعات متوالية بطيئة. ثم أعاد قراءة الآيات من بدايتها ببطقة صوتية أعلى عن طريق التجريد مصحوبة بتقطيع إيقاعي أسرع من الأولى، يمهّد فيها إلى تحوّل جديد في قراءته التعبيرية بما ينسجم مع مضمون السورة و مشاهدتها المختلفة تماماً، التي تحمل في معانيها شداً و قصفاً بحسب متطلبات الآية الكريمة و إيجاءاتها" 2 في قوله تعالى في الآيات التالية لها: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا ﴿١٦﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿١٧﴾ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿١٨﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿١٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا ﴿٢١﴾ 3.

اعتمد القارئ عبد الباسط عبد الصمد في قراءته لسورة الفجر على أن يلبسها حلّة صوتية فريدة من نوعها، تعكس شخصيته هو، و تترجم تأثره بالآيات القرآنية من خلال التحوّلات النغمية و سرعتها و حدّة صوته فيها تماشياً مع المشاهد التي تصوّرها آيات السورة، ناهيك عن إتقانه لطرق التجويد، و الجمال الرباني الذي يتمتّع به صوته.

2) قرأ محمد صديق المنشاوي 4 مطلع سورة البروج: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ وَمَشْهُودٍ ﴿٤﴾ 5 دون تقطيع في الآيات و بطريقة متأنية و بصوت مرتفع. ثم أعاد قراءة الآيتين الثانية و الثالثة بنغمة أخفض و ببطقة صوتية أقل، و هو ما ساهم في الإحساس بالفرق الحاصل عند بداية قوله تعالى ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُحْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ 6، التي عاد فيها إلى النغمة العالية و الصوت الحاد دون توقّف، أي في نفس واحد، مع ارتفاع محسوس في الصوت في الآية السابعة و تنعيمها بنغمة حزن مميّزة، و ذلك خدمة لمعنى الآية المتعلّق بالتعبير عن قسوة الكفّر في تعذيبهم المؤمنين (أصحاب الأحدود) و شهادتهم على جرمهم بأعينهم حين حضروا تعذيب المؤمنين. ثم واصل القراءة من قوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ 7 بنفس الوتيرة المنظّمة الهادئة مع إحداث تغييرات نغمية دالة، نسجّل منها:

1. التجريد: هو الانتقال من صوت قوي إلى صوت ضعيف و العكس بالعكس.

2. علي عبد الله، التعبير الدرامي و التنعيم في ترتيل القرآن، المجلة الأردنية للفنون، ع1، 2013، ص: 17.

3. الفجر/21، 26.

4. محمد صديق المنشاوي (1919-1969) مصر. واحد من رواد التلاوة، تميّز بأسلوب متميز و حزين بتلاواته، و صوته الخاشع، و لُقّب ب"الصوت الباكي"، و أتم حفظ القرآن الكريم وهو في الثامنة من عمره، حيث نشأ في أسرة قرآنية عريقة، فأخذ منها الشيخ محمد أسلوبه و طوره بما يناسبه فصار علماً من أعلام خدام القرآن.

5. البروج/01، 03.

6. البروج/04، 07.

7. البروج/08، 09.

- اعتماده على التكرار في قراءة آية أو آيات، ليلفت الانتباه إليها و يُعْمَل المستمع فكره فيها. كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾¹ التي كررها ثلاث مرّات، و سبقها بتكرار الآيات: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾² إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ³ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ⁴ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ⁵ فَعَالٌ لِّمَآئِدٍ⁶.
- عمد القارئ إلى تفصيل بعض الآيات؛ فوقف على فواصلها آية آية، كوقفه على فواصل الآيات الممتدة من الآية السابعة عشر إلى الثانية و العشرين، كأنه يدعو المستمع إلى تدبّرها، و إعمال الفكر فيها، و يمنحه الوقت لذلك.
- و بالمقابل عمد إلى قراءة بعض الآيات في نفس واحد؛ أي دون الوقف على رؤوسها، كوصله للآيات الممتدة بين الثانية عشر و السادسة عشر، و عند ملاحظة هذه الآيات سنجد أنها كلها أوصاف إلهية، تتعلّق ببطشه بالظالمين، و غفرانه للمؤمنين، و لعلّ القارئ على هذا الأساس (التحام معنى الآيات) لم يفصل الآيات في قراءته تعظيماً لله و صفاته.
- لاحظنا تعدّد القارئ تمييز بعض الألفاظ في السورة عن غيرها تنغيماً، إمّا عن طريق الإطالة والاسترسال³ في النطق، و مدّه بزيادة تلفت الانتباه إليه و إحداث الترتّم، كمدّ الياء مدّاً زائداً في (شهيدي) في قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁴. أو عن طريق تفخيم الأصوات⁵، حتى لتبدو أنها قد ملأت فم القارئ، و قد يكون ذلك تعبيراً عن فخامة المعنى بفخامة النطق، و ذلك أسلوب تنغيمة معبر عن المرجعية الفكرية أو القاعدة الذهنية للقارئ، و من ذلك ملاحظتنا تفخيمه لكلمة (الكبير) في قول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾⁶. كذلك تفخيمه جملة ﴿فَعَالٌ لِّمَآئِدٍ﴾⁷.
- (3) قرأ عبد الباسط عبد الصمد سورة الرحمن بجمال منقطع النظير، بحقق الهدف الأسمى من تجويد القرآن والمتمثل في التأثير بالمستمع و إحداث اللذة السمعية التي تقود إلى الخشوع و التدبّر، و نسوق فيما يلي بعض الملاحظات عن المظاهر التنغيمية الانفعالية التي سجّلناها من قراءته هذه :

1. البروج/17.

2. البروج/ 12، 16.

3. الاسترسال: هو تمديد الصوت دون انخفاضه.

4. البروج/09.

5. التفخيم: هو تسمين الصوت.

6. البروج/11.

7. البروج/16.

- قرأ السورة بنغمة حزينة جسدها من خلال تحقيق الغنة التي ميّزت السورة، بتكرّر صوتي الميم و النون خاصة في الفواصل.
 - قرأ الآيات الأولى من السورة: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾¹ في نفس واحد مع ملاحظة زيادة المدّ بشكل واضح و بصوت مرتفع في كلمة (البيان). و بالرجوع إلى البنية التركيبية للآيات نلاحظ وجود تعلق معنوي بينها، لأنّ فاعل الأفعال (علّم، خلق، علّمه) ضمير يعود إلى (الرحمن) في الآية الأولى. فنعتقد أنّ الوصل كان مناسباً لوجود تعلق بين هذه الآيات.
 - استعمل نغمة الانتقال من صوت لأخر في قراءة الآية الخامسة ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُحْسَبَانِ ۝﴾² التي بدا الصوت فيها غليظاً و بنغمة هادئة، فاصلاً إيّاها عمّا سبقها من الآيات السابقة و اللاحقة لها، عن طريق الوقف على الفاصلة، و كذلك فعل في الآيتين السادسة و السابعة ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝﴾³.
 - استعمل التكرار بعودته على الآيات: الخامسة و السادسة و السابعة و قرأها متّصلة دون وقف، و بنغمة أعلى من الأولى و في نفس واحد، ملحقاً إيّاها بالآية السابعة ﴿أَلَا تَطَّعُونَا فِي الْمِيزَانِ ۝﴾⁴.
 - استعمل التكرار في الآية ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝﴾⁵ أربع مرّات كأداة تنغيمية منه للفت الانتباه إلى الآية. فإذا كانت الشمس و القمر بعيدين معلّقين في السماء، فإنّ الأرض تحت أقدام الإنسان و حوله، و فيها من الآيات ما يمكن للإنسان ان يلاحظها و يتدبّرها عن قرب حتّى لا تكون له حجة، و في الأرض مأكله ومشربه و مسكنه.
 - استعمل القارئ المدّ الزائد أو التطويل في زمن نطق كلمة (تكذّبان) من قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيءَ الْآيَةَ رِيكُمَا تُكذِّبَانِ ۝﴾⁶ كأداة تنغيمية دالّة على مشاعر داخلية قد تكون تهويلاً و تخويفاً من التكذيب و تعجبا منه بعد ما رأى الإنسان من نعم ربّه.
- خلاصة الحديث عن الوظيفة الانفعالية للتنغيم أنّها وظيفة تتعلّق بالسياق الذي يصدر فيه الحدث الكلامي، ومن شأنه أن يعكس الخلفية النفسية و الفكرية للمتكلّم. و قد انتبه علماء الدراسات القرآنية إلى ذلك و تحدّثوا

1. الرحمن/01، 04.

2. الرحمن/05.

3. الرحمن/06، 07.

4. الرحمن/08.

5. الرحمن/10.

6. الرحمن/13.

عن قراءة الآية بنغمتها، فأيات التهويل تُقرأ بالتهويل، و آيات الرحمة تُقرأ باللين. و لعلّ هذا ما كان عاملاً فاعلاً في أنّ بعض القراء ذاع صيتهم مقارنةً بآخرين، و ذلك لما أتقنوه من أحكام التجويد، و ما امتلكوه من الحس التنغمي الذي يُحدث التأثير في المستمع، و قد رُوي أكثر من حديث عن ضرورة الخشوع و التدبّر في القرآن و تزيين الصوت و حسن القراءة، من ذلك ما أورد السيوطي (ت 911هـ) من "قوله ﷺ عند الطبراني: (أحسن الناس من إذا قرأ القرآن يتحرّج به). و عند الدارمي: (حسنوا القرآن بأصواتكم، فإنّ الصوت الحسن يزيد القرآن حُسناً)"¹.

الوظائف الدلالية للتنغم	
الوظيفة النحوية	الوظيفة الدلالية السياقية
<p>و تتمثل في تحديد الأنماط التركيبية للعمل وأجناسها النحوية من خلال:</p> <p>1- الدلالة على اكتمال المبنى والمعنى، وعدم اكتمالها .</p> <p>2- التفريق بين أنماط الجمل الخبرية والاستفهامية و التعجبية .</p> <p>3- تأدية دور علامات الترقيم .</p> <p>4- النيابة عن بعض الأدوات النحوية عند غيابها لفظاً و ثبوتها معنى. كأدوات الاستفهام و النداء.</p>	<p>و تتمثل في الدلالة على المعاني الإضافية للجمل مثل: التأكيد، و الانفعال، و الدهشة، والغضب، و الزجر، و التهكم و الدعاء، و الاستنكار... و ذلك بمساعد ظواهرها خارجية غير لغوية كحركات الوجه و الرأس و اليدين .</p>

3. بين الوقف و التنغم:

حاولنا في المراحل السابقة من هذا البحث أن نقف على ماهية كل من الوقف و التنغم، و ندرك أهمية كل منهما في الدرس اللغوي، و خاصة في الخطاب القرآني، من خلال عرض الوظائف التي يقوم بها كلٌّ منهما. وكان من اللازم الآن أن ندرك العلاقة القائمة بينهما (الوقف و التنغم).

هل هي علاقة تكامل و تضافر لخدمة المنطوق اللغوي؟

أم لا علاقة بينهما؟ و لكلّ ظاهرة مستواها الوظيفي؟

نحاول في النقاط الآتية توضيح هذه القضية و تقريب معالمها في ما يلي:

¹. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 297.

- يعمل الوقف و التنغيم في المستوى فوق التركيبي (فوق القطعي) للغة، كملامح صوتية إضافية مساعدة، تعمل إلى جانب الملامح الصوتية الأولية، و ما يميّزها عنها أنّ التركيبية ذات طبيعة خطيّة، أمّا فوق التركيبية فهي في معظمها ذات طبيعة أدائية، و لا تمتلك نظاماً خطيّاً (رموزاً).
- يعمل الوقف و التنغيم في إطار النظام الصوتي للغة، و هو ما يفرض حقيقتين: تتعلّق الأولى باختلاف العادات النطقية، الوقفية و التنغيمية، في كلّ لغة تماشياً مع تباين النظام الصوتي لها. أما الثانية فتتعلّق باختلاف المعطيات الأدائية للأشخاص داخل اللغة الواحدة، و الذي يتعلّق بالمستوى الثقافي و التعليمي و الأبعاد الشخصية، و الخلفيات الفكرية و اللهجية لكلّ شخص.
- الكلام في حقيقته سلسلة صوتية متقطّعة، تتكوّن من تتابع النطق و الوقف. و التنغيم هو إكساب هذه السلسلة تتابعات نغمية مميّزة، و هذا ما يضعنا أمام نتيجة أنّ المركّبات النغمية تكون مرتبطة بالوقف. بل إنّ هناك من اللسانيين من ذهب إلى أبعد من ذلك حيث "عرّف الوقف باعتباره الحدود الموجودة بين النطاقات النغمية"¹، فالوقف من هذا المنطلق أداة صوتية لتحديد الوحدات النغمية في الحدث الكلامي. و لتوضّح ذلك نورد المثال الآتي:

(أحمد، أنا في ضائقة مادية، هل يمكنك مساعدتي؟)

فهذا الحدث الكلامي يمكن تقسيمه إلى ثلاث مركّبات نغمية كبرى و هي:

(أحمد) و تُقرأ بنغمة النداء.

(أنا في ضائقة مادية) و تُقرأ بنغمة التقرير و الإخبار.

(هل يمكنك مساعدتي؟) و تُقرأ بنغمة الاستفهام الطلبي.

يُقرأ هذا الكلام بنغمات أساسية متباينة تماشى مع الدلالة المرجوة، و لولا الوقف لما أمكن تحصيل التنغيم والفصل بين أجزائه، لأنّ أساس التنغيم أن يرافق جزءاً كلامياً يتحدّد بالابتداء و الوقف.

- يرتبط الحدث الكلامي في أساسه بالزمن، و الذي نقصد به هنا مدّة النطق التي تنتهي بحدوث الوقف، و التنغيم يشغل مساحات زمنية متفاوتة يكون لكلّ مساحة زمنية دلالة خاصّة، و لإبراز هذه التنغيمات الدالة يكون التركيز في كثير من الأحيان على مواضع الوقف. نلمح ذلك بشدّة في القرآن الكريم حين الوقف على الفواصل، أين يكون " التنغيم فيها عبارة عن تطويل أو تمطيط للأصوات و خاصة المصوّتات الطويلة"² : الياء

¹ هو اللساني بيتر ستوكويل Peter Stockwell. ينظر، مبارك حنون، في الصوارة الزمنية، ص: 141.

² أحمد البايبي، القضايا النظرية في القراءات القرآنية، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2012، ج2، ص: 299.

المسبوقة بكسر، و الواو المسبوقة بضم، و الألف المسبوقة بفتح. و هو ما يوقفنا أمام وظيفة أخرى للتنعيم تتمثل في بيان مواضع الوقف من خلال التطويل الذي يكون أشبه بصقارة الإنذار التي تُسمع عند اقتراب القطار من المحطة. و لعلّ ذلك ما حدا ببعضهم إلى القول بوجود **نغم الوقف Pause-Pitch** و الذي يعني "ارتفاع نغم الكلام داخل الجملة قبل الفاصل في آخرها"¹. و مثال ذلك من القرآن الكريم كثير جدّا، فإذا أخذنا مثلاً قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾² وجدنا أنّ الآيات الأربعة تنتهي بنون مسبوقة بصائت طويل هو الألف، فنفترض أنّ تشابه الأصوات التركيبية لهذه الفواصل سيؤدّي إلى تطابق زمن النطق فيها، إلّا أنّ الاستماع لقراءة عبد الباسط عبد الصمد و محمد صديق المنشاوي سيضعنا أمام ملاحظتين:

✓ قرأ القارئان المدّ في فاصلة الآية الرابعة (البيان) بمدّ زائد مقارنة بالآيات الثلاثة السابقة لها.

✓ قرأ عبد الصمد المدّ في (البيان) بتطويل يزيد على تطويل المنشاوي زمنياً.

و نتيجة ذلك أنّ تشابه البنية التركيبية لا يؤدّي بالضرورة إلى تشابه البنية فوق التركيبية، لأنّ الأولى حاملة لدلالة أساسية، و الثانية حاملة لدلالة ثانوية مساعدة بإمكانها إحداث الفرق. و قد تتعلّق في بعض الأحيان بالقدرة الفردية للقارئ في تنعيم الكلام وفق طاقته الصوتية و ميوله الأدائي.

• يرافق التنعيم الوقف في أداء مهامّه الدلالية-التركيبية، و ذلك بتمييز البنيات التركيبية عن غيرها في القرآن الكريم، عن طريق إرفاق المقطع الأخير من المنطوق الموقوف عليه لونا نغمياً يوافق الدلالة التركيبية، و من هذه الألوان: التطويل أو إطالة مدّة النطق، تحديد اتجاه النغمة (صاعدة، نازلة، مستوية)، فعادة ما يستشعر المستمع نهاية آية قرآنية بتطويل القارئ لحرف المديد الذي يمهد للوقف، فباستماعنا لتطويل زائد في ياء (شهيد) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٣﴾³، نستشعر بوقفها حدوث الوقف الذي ينبئ باكتمال التركيب، و في أغلب الأحيان بنهاية الآية أيضاً. كذلك فإن النغمات الصاعدة ستساعد القارئ في اكتشاف استمرار النطق و عدم حدوث الوقف، لعدم اكتمال التراكيب في بعض الجمل كالشرطية مثلاً. و ذلك ما حاولنا توضيحه في وظائف التنعيم، و التي تكتمل لا محالة بتضارفا مع وظائف التنعيم.

• اللغة نظام من الرموز الدالة، و هي في أصلها أدائية قبل أن تكون خطيّة، و عليه فهي منظمة تنظيمًا إيقاعياً مرتبطاً بالزمن، حيث "تشغل في هذا التنظيم الوحدات الإيقاعية الأحياء الزمنية بنوع من التساوي"، من

¹. مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، ط1، 1995، مادة pause.

². الرحمن/01، 04.

³. المجادلة/06.

منطلق أنّ الإيقاع مرتبط في أساس تشكّله بالزمن. و الوقف و التنغيم، كغيرهما من أجزاء اللغة، يساهمان في تشكيل أبعادهما الزمنية، و قد وردت هذه الفكرة بكثرة في أشعار العرب من خلال تقنية العروض و القوافي، ففكرة تكرار بنيات تركيبية متشابهة على نفس الطول هو في الأصل توزيع للتركيب اللغوية على الخط الزمني للأداء، بما يخدم السمع و التوقّع الزمني للسمع. و في القرآن الكريم يجد القارئ استثمارة معجزا لفكرة التوزيع الزمني بشكل يخالف ذلك الشعر و النثر. و ما فكرة تقارب بعض الآيات طولا، و تشابه فواصلها في قالبها الصوتي و الصربي إلا ترجمة لفكرة التوزيع الزمني التي تنبني على الوقف و التنغيم. فتوزيع البنيات التركيبية وفق أحياس زمنية يحتاج إلى الوقف و التنغيم في أداء متشابك يضع لها حدودا للبداية و النهاية، و يسمح بتحقيق التوازن بينها. فلاحظ مثلا قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۝٢ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۝٣ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَدَهَا ۝٥ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَلَهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠ ۱. نلاحظ عند قراءة السورة أو الاستماع إليها أنها بُنيت على أساس توزيع زمني معجز، من خلال ظواهر صوتية كالترداد الذي مسّ واو القسم، و أصوات الفواصل التي جاءت كلّها منتهية بمدّ مسبق بمدّ و هاء، إضافة إلى تكرار القالب الصوتي العام المتقابل، كتقابل بعض الآيات المبينة في الجدول:

وَ	الْقَمَرِ	إِذَا	تَلَّهَا
وَ	النَّهَارِ	إِذَا	جَلَّهَا
وَ	اللَّيْلِ	إِذَا	يَغْشَاهَا

و كذلك تقابل الآيات الآتية:

وَ	السَّمَاءِ	وَ	مَا	بَنَدَهَا
وَ	الأَرْضِ	وَ	مَا	طَحَلَهَا
وَ	نَفْسٍ	وَ	مَا	سَوَّاهَا

و تقابل الآيات أيضا في :

قَدْ	أَفْلَحَ	مَنْ	زَكَّاهَا
قَدْ	خَابَ	مَنْ	دَسَّاهَا

و لو أردنا الذهاب أبعد من ذلك بإحصاء الحركات و السواكن المنطوقة في الآيات لوجدنا تقاربا كبيرا في

ذلك. نورد بعضا منه في الجدول الآتي:

¹. الشمس/01، 10.

عدد السواكن	عدد الحركات	الآية	رقم الآية	الأحياز الصوتية المتقاربة
04	09	وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّاهَا	02	الحيز الأول
06	09	وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا	03	
06	08	وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا	04	
05	09	وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا	05	الحيز الثاني
05	08	وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا	06	
06	08	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا	07	
06	08	قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا	09	الحيز الثالث
06	08	وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا	10	

نلاحظ من خلال الجدول التساوي الكمي في المنطوق، و تشابه البنية التركيبية، و إذا افترضنا تطبيق الوقف على كل فاصلة في الآية، فإن الوقف و التنعيم سيكونان محددين أساسيين للبنية الإيقاعية للسورة، و هذا ليس مجرد تنظيم فيزيائي للأصوات اللغوية في مستويها التركيبي و فوق التركيبي، بل هو أبعد من ذلك، إنه تصوير للعناصر الكونية المتقابلة: الشمس و القمر، الليل و النهار، السماء و الأرض... و ما تحدته من ظواهر كونية متعاقبة: كتناوب الشمس و القمر، و تعاقب الليل و النهار، و تقابل الأرض و السماء، و كل ذلك يتم وفق إيقاعي فلكي معجز، و تنظيم كوني محكم. فالكواكب تتحرك و الظواهر تتعاقب في أحياز زمنية منظمّة و محدّدة محدثة إيقاع الحياة التي يصنعها جمالها و تنظيمها، و الذي قابله الخطاب القرآني بتنظيم إيقاعي لأصوات السورة بتقابل القوالب التركيبية و تكرار المعطيات الصوتية في اتساق بديع مع المعنى.

II. الوقف و النبر

1. تعريف النبر:

في اللغة "النبر بالكلام الهمز، وكل شيء رفع شيئاً فقد نبره ... ابن الأنباري : والنبر عند العرب ارتفاع الصوت، يقال : نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علواً و أنشد:

إني لأسمع نبرةً من قولها فأكاد أن يُغشى عليّ سرورا

فالنبر صيحة الفزع، ونبرة المغني : رفع صوته عن خفض" ¹ . و أورد الفيروزآبادي(ت817هـ): "نبر الحرف همزه، و نبر الشيء رفعه، و منه المنبر. و النبرة: وسط النقرة في ظاهر الشفة، و الهمزة، و الورم في الجسد، و صيحة الفزع، و نبرة من المغني: رفع صوته عن خفض" ².

فالنبر عند العرب ليس الصوت المرتفع مطلقاً، إنما هو الارتفاع الذي يسبقه خفض أو يتلوه .

أما في الاصطلاح، فالنبر يقابل المصطلح الأجنبي (Accent) و الذي يعني "قوة التلغظ التي تُعطى للحركة في كل مقطع من مقاطع الكلمة" ³، و "تؤثر درجة النبرة في طول الصائت و علو الصوت" ⁴.

و تسمى عملية أداء النبر بالتنبير Accentuation، و يسمى المقطع الذي يحمل النبر بالمنبور Stressed.

ظاهرة تتعلق بالأداء الصوتي للمتكلم الذي يضغط أثناء كلامه على بعض المقاطع الصوتية إبرازاً منه لمعاني نفسية معينة، لذا عرفه بعض اللغويين بأنه "البروز المعطي لمقطع واحد، داخل ما يشكل الوحدة البروزية التي تطابق في معظم اللغات ما يسمى بالكلمة" ⁵، و يوضح وليام جونز william jones الظاهرة أكثر فيقول: "المقطع المنبور بقوة ينطقه المتكلم بجهد أعظم من المقاطع المجاورة له في الكلمة أو الجملة . فالنبر إذن نشاط ذاتي للمتكلم ينتج منه نوع من البروز prominence لأحد الأصوات أو المقاطع بالنسبة لما يحيط به" ⁶.

¹ . ابن منظور ، لسان العرب ، مج 6، مادة (ن ب ر) ، ص:127.

² . الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (ن ب ر).

³ . مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، مادة (accent).

⁴ . معجم علم الأصوات، محمد علي الخولي، ص: 175.

⁵ . أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي، ص:221.

⁶ . السابق، ص: 221.

أما عن أهميته في اللغات البشرية، فإنّ البعض يرى أنّ النبر ليس ظاهرة مطّردة التأثير في اللغات الإنسانية، وإن كان تأثيره واضحا في بعض المواضيع، فإنه " غير مؤثر البتة في تغيير المعنى في بعض الحالات " ¹، خاصة اللغة الإنجليزية، و مواضيع كثيرة في العربية. و في نفس الوقت يرى البعض أنّه ملمح صوتي بالغ الأهمية في تحقيق الدلالة، من مبدأ أنّ "نطق اللغة لا يكون صحيحا إلاّ إذا رُوِيَ فيه موضع النبر" ².

ولنا أن نقف من هذين التعريفين، وغيرهما، عند نقاط مهمة :

1. النبر ظاهرة صوتية يمكن أن تبرز في أي لغة بشرية، على أنه يكون ملمحا تمييزيا في اللغات النبرية، وغير تمييزي في اللغات غير النبرية .
 2. يمكن أن يقع النبر في مقطع ما من مقاطع الكلمة الواحدة فيسمى بذلك نبر المقطع، ويمكن أن يقع على مستوى كلمة ما في الجملة فيسمى نبر الكلمة ³.
 3. يتضمن النبر أن يبرز المتكلم مقاطع صوتية معينة مقارنة بالمقاطع المجاورة لها لهدف دلالي محدد.
 4. يعتبر النبر عنصرا مهما من عناصر تحديد الدلالة التي يرمي المتكلم إلى تحقيقها. ⁴
- و تجدر الإشارة إلى أنّ هناك اختلاف بين اللغات من حيث وظيفة النبر، فبعض اللغات كالإنجليزية و الألمانية و الروسية و الإسبانية يؤدّي فيها النبر وظيفة فونولوجية صرفية، و تسمّى باللغات النبرية Stress languages، و ذلك بالمقابل مع اللغات غير النبرية Non stress languages التي لا يتعدّى دور النبر فيها تحقيق دلالات ثانوية سياقية ⁵. و يحكم البعض أن النبر لم يكن موجودا في فصول الدراسات التراثية القديمة، القديمة، و أنّه "ليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية، كما كان يُنطق بها في العصور الإسلامية الأولى" ⁶.

¹ . ماريو باي، أسس علم اللغة، ص: 93.

² . إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 98.

³ . ينظر، محمد علي عبد الكريم الرديني : فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، 2007، ص: 183، 188.

⁴ . ينظر ، هادي نحر : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص: 74، 72.

⁵ . ينظر: وليد حسن، الظواهر فوق التركيبية في العربية، مقال، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، ع3، 2009، ص: 05.

⁶ . إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 99.

2. أنواع النبر و وظائفه:

أ - نبر المقطع:

سمي هذا النوع كذلك لأنه يتعلّق بنبر مقطع و إبرازه في الكلمة الواحدة مقارنة بباقي المقاطع فيها، غير أنّه غير مطّرد في اللغة العربية، و لم يحظ بإجماع اللغويين بعد، و هؤلاء الباحث العربي إبراهيم أنيس الذي أورد: "و لحسن الحظ لا تختلف معاني الكلمات العربية باختلاف مواضع النبر فيها"¹. و رغم ذلك، فإنّه هناك من يقرّ بأهمية النبر، و يرى أنّ "وظيفته تتمثّل في كشف دلالة الكلمة و إظهار التباين الدلالي فيها و ذلك حسب المقطع المنبور"². و قد حاولنا من خلال هذا العنصر من البحث أن نرصد بعض الأمثلة من ربع يس و التي من شأنها أن توضح أهمية المقطع المنبور:

1. قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاْسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَدْرِكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً

لِلنَّسَائِلِ﴾³. لو نبر القارئ المقطع الأوّل من (فيها) أي المقطع (في) لتوهّم السامع أم معنى (فيها) هو (فمها)، و أنّها واقعة مفعولا به للفعل (جعل)، و أنّ (رواسي) مفعول به ثان. في حين أنّ نبر المقطع الثاني (ها) يجعل (في) حرف جرّ، و (ها) ضميرا متصلا في محلّ جرّ، يعود على (الأرض) المذكورة في الآية السابقة لها: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ إِندَادًا﴾.

2. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾⁴.

تُقرأ كلمة (ربّك) بالنبر على الباء، فلو نبر القارئ المقطع الأخير، أي على حركة الكاف، لأوهم ذلك السامع أنّ كلمة (ربّ) مضافة إلى ياء المتكلم، و أنّ الكاف متصلة ب (ذي)، أي يوهّم بالقراءة التالية: ربّي كذي الجلال، التي بمعنى: تبارك اسم ربي الذي يشبه ذا الجلال. و هو معنى خاطئ، لأنّه الله الواحد الأحد الذي لا يشبه أحدا، و لا يتّصف ب (ذي الجلال) غيره.

لاحظنا في هذا المثال كيف أنّ الاستعمال غير السليم للنبر أثر على المستوى التركيبي و نقل الكاف من ضمير متّصل ب (ربّ) إلى حرف اتّصل ب (ذي)، و هو ما غير المعنى تماما.

3. قال تعالى: ﴿وَيَلِّ الْمُطَفِّفِينَ﴾⁵ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَانُوا لَهُمْ أَوْزَارُهُمْ خُسْرُونَ ﴿٣﴾

¹ . السابق، ص: 102.

² . خالد قاسم بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن، ص: 144.

³ . فضّلت/10.

⁴ . الرحمن/78.

⁵ . المطففين/1-2-3.

لنلاحظ الفعل (كالوهم)، يُقرأ بنبر المقطع الأول، و يُفهم منه أنه تصريف للفعل (كال) مع الضمير (هم) الغائب الذي يعود على (المطّفين). أما (هم) الضمير الظاهر المتصل بالفعل فهو في محلّ نصب مفعول به. و أمّا القراءة بنبر المقطع الأخير (هم) فيفهم منه أنّ الكتابة كما يلي: كالواهم. فيكون بذلك (هم) ضمير توكيد للفاعل على معنى: هم إذا كالوا يُنقصون. و قد وقع اختلاف في الآراء حول هذه الآية بسبب اختلاف النبر، فقال حمزة الكوفي بنبر (هم) بما هو بمعنى: كالواهم. و قال الكسائي و أبو عبيدة بعدم نبر (هم) بما هو بمعنى: كالوهم. و كان الفيصل بينهم أنّها دُوّنت في المصاحف بغير ألف¹. فالأصح بذلك هو: كالوهم.

4. قال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيُّنَ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾﴾ من دُونَ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾².

تُقرأ (أين ما كنتم) بنبر (ما) ليكون معنى الآية سؤال للكفار و أدواته (أين)، و (ما) تكون المستفهم عنه ووظيفتها الإعرابية: اسم موصول في محمل رفع مبتدأ خبره (تشركون). و لو قُرأت الآية دون نبر (ما) لفهم السامع أنّها بمعنى: أينما، و التي تعني ظرف مكان أو اسم شرط و جزاء. و بالعودة إلى سياق الآية سنجد أنّ ذلك لا يناسب المعنى. فنبر الميم (ما) في هذه الآية واجب، و تركه صوتيا يغيّر البنية التركيبية للحملة، و بالتالي يغيّر دلالتها.

5. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾³.

تُقرأ الآية بنبر حركة الحاء في (أحد) على معنى أنّه واحد لا شريك له. و لو قرأنا بتغيير موضع النبر إلى حركة الدال لأوهم للسامع أنّ القصد (أحد) التي بمعنى: أشدّ غضبا و أكثر عقوبة للمذنب و هذا معنى خاطئ و غير مقصود، فالصواب أن نقرأ: أحد، و ليس أحد.

في الأمثلة الخمسة السابقة لاحظنا أنّ موضع النبر يغيّر بنية الكلمة و معناها، و لهذا يسمّى النبر الذي أحدث هذا التغيير بالنبر الوظيفي Phonemic accent، و حدّها " النبرة التي لها وظيفة الصوت اللغوي المجرّد، بحيث إذا تغيّرت درجتها و انتقلت من مقطع لآخر في نفس الكلمة، يغيّر ذلك في معنى الكلمة"⁴، و إن كانت في العربية غير مطّردة، فإنّها أساسية في اللغات الهندوأوروبية.

¹ . ينظر: حمدان رضوان أبو عاصي، الأداءات المصاحبة و أثرها على المعنى، مجلة الجامعة الإسلامية، فلسطين، 2009، ص: 17.

² . غافر/73، 74.

³ . الإخلاص/ 01.

⁴ . مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، مادة accent.

6. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَتَقَلَّبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾¹.

تُقرأ هذه السورة، كغيرها من السور، بمواضع محدّدة للنبر، و إذا حدث استعمال للنبر فيغير موضعه فإن ذلك لا يؤدي بالضرورة إلى تشويه المعنى، لأنّ الخلل الأدائي للنبر قد لا يتعدى المستوى الصوتي فقط (أي لا يؤثر في باقي المستويات اللغوية)، فلا يؤدي إلى فقدان الكلمة لبنيتها الصرفية أو مكانتها النحوية، و لكنّه يؤدي إلى الإخلال بفصاحة بسبب عيب النطق غير السليم، و ليس كل ما هو غير فصيح خاطئ، فمثلا في الآيات المذكورة نقرأ:

(أما) بنبر حركة الألف و ليس بنبر حركة الميم. فتكون أما و ليس أما.

إذ لا يغيّر ذلك في معنى (أما) و لكنّه يشوّه النطق السليم، و قد يؤدي هذا النوع من اللحن بمرور الوقت إلى نتائج وخيمة تتمثل في ضياع النظام الصوتي للغة العربية.

و كذلك الحال في نبر كلمات أخرى من الآية، و التي تكون كما يلي:

من و ليس من.
كتابه و ليس كتابه.
وراء و ليس وراء.
فسوف و ليس فسوف.

ب - نبر الكلمة:

يُعرف هذا النوع عند البعض بنبر الجملة Sentence stress نسبة إلى مستوى وقوعه، إذ يكون هذا النوع من النبر في مستوى أعلى من السابق؛ فإذا كان نبر المقطع يحدث على مستوى اللفظ الواحد، فإن نبر الكلمة يكون على مستوى الجملة، و حدّه أن "يعمد المتكلم إلى كلمة في جملته فيزيد من نبرها، و يميّزها عن غيرها من كلمات الجملة"²، و وظيفة هذا النوع من النبر واضحة في اللغة العربية، و تتمثل في "كشف الدلالة السياقية، و إظهار التباين الدلالي في السياق و ذلك حسب الكلمة المنبورة"³. و عادة ما تتعلّق دلالة النبر في هذا المستوى بالتأكيد و التلميح و التركيز و المفارقة، بل هناك من ذهب إلى حصر دلالة النبر في ذلك، معتبرا أنّ للنبر دورا وظيفيا في التأكيد على المعنى، و لكنّه يقتصر على لفت انتباه السامع إلى أهمية كلمة في سياق ما "فيوليها عناية خاصة، و لكن ليس له دور تمييزي، أي ليس له دور في اختلاف المعنى أو نقل الكلمة من دلالة إلى دلالة أخرى، و على الناظر إلى تحقيق الدلالة أن ينظر إلى ما قد يؤدي إلى إبراز المعنى و إظهاره بشكل جلي

¹. الانشقاق/ 7-8-9.

². إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 102.

³. خالد قاسم بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية، ص: 145.

و واضح"، و يكون بذلك دور النبر في هذا المستوى متعلّقًا بالتوضيح السمعي للكلمة التي يهتمّ بها المتكلّم والتي يريد أن يلفت الانتباه إليها.

3. بين الوقف و النبر:

بين الوقف و النبر علاقة عميقة نترصدّ بعض ملاحظها في النقاط الآتية:

- النبر ظاهرة تطورية؛ تعمل في المستوى فوق التركيبي، و تتعلّق بالأداء الصوتي للغة، و تتداخل وظيفتها مع الظواهر الأخرى للغة: الوقف و التنعيم و المقطع.
- لا يعترف عدد كبير من الباحثين بدور النبر في اللغة العربية، و ذلك تعميما منهم لقلّة المواضع التي يكون فيها التأثير.
- إذا لم يُطبّق نبر المقطع في موضعه أحلّ بفصاحة أداء الكلمة و الجملة، بمعنى أنّ دلالتها لا تتغيّر، و لكنّ أداءها لا يكون صحيحا بالطريقة التي تقتضيها الفصاحة، و تُلحق الاعوجاج بالكلمة، و ذلك مكروه خاصة في القرآن الكريم الذي قال في ه تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾¹. و النطق غير السليم هو تشويه للبنية الصوتية التي تُعتبر مهمة في البنية اللغوية.
- في بعض المواضع، يودّي تغيير موضع نبر المقطع إلى الإخلال بالبنية الصرفية و النحوية، و بالتالي الإخلال بالمعنى، و متعدّدًا بذلك المستوى الصرفي الذي انطلق منه.
- يرتبط نبر الكلمة في الجملة عادةً بوظائف ثانوية كلفت الانتباه، و التحذير، و التلميح... و غيرها من الدلالات السياقية التي ترتبط بالدرجة الأولى بالمتكلّم و المستمع، و لكن تبقى ذات علاقة قويّة بالنص و المعنى، و من ذلك نبرّ القراء لبعض الكلمات في القرآن الكريم.
- يحضّر النبر بوظائفه في لغتنا التواصلية بشكل قويّ، و لكنّه يغيب نسبيًا حين يتعلّق الأمر باللغة الفصحى، و السبب في ذلك هو عدم وضع نظام خطي له، و إهماله في مبادئ تعليم اللغة في المدارس.
- ترتبط وظيفة النبر في نهاية القول بالوقف من مبدأ أنّ "المقطع الأخير يكون منبورا و أشدّ بروزا من مقاطع المجموعة القولية"²، فنبرة الوقف تقوم بفصل قولٍ عن قولٍ، خاصة إذا كان القول قصيرا. أمّا إذا كان القول طويلا فإنّها "قلّما تنبر نبرات تنغيمية، لأنّ النبرات المستعملة هنا لا تعدو كونها نبرات تتوخى المهلة التي قد يراد منها إمّا إمهال المتكلّم ليتنفس، و إمّا إمهال المستمع ليدرك فحوى الخطاب"³. فنبرات الوقف بذلك متنوعة بين التنغيمية

¹. الزمر/28.

². مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: 106.

³. السابق، ص: 53.

3) . إذا لم يكن المقطع الأخير من نوع الطويل المغلق: (ص ح خ ص) أو (ص ح ص ص)، و كان ما قبل الأخير من نوع (ص ح)، فإننا ننظر إلى المقطع الثني قبل الأخير، فإن كان مثله أي (ص ح) نبرنا الكلام عليه، أي على الثالث عدّا من الأخير. مثال ذلك:

قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾¹.
آخر مقاطع الآية هو:

ص ح / ص ح ص / ص ح خ / ص ح / صح / ص ح خ.

النبر في فاصلة هذه الآية هو المقطع الثالث عدّا من الأخير (ص ح)، و هو قصير مغلق. و معظم فواصل سورة الجن على نفس التوزيع المقطعي.

4) . يكون النبر على المقطع الرابع عدّا من الأخير إذا كان من نوع (ص ح) و لم يكن المقطع الأخير من نوع (ص ح ص ص) أو (ص ح خ ص)، و كان المقطعان الثاني و الثالث عدّا من الأخير من نوع (ص ح) كذلك. و لا نعتز على هذا النوع من الوقف بالتسكين لأنّ الحركة الأخيرة ستزول، و يمكن أن نجد في الوقف بالروم و الإثم، و سنبيّن ذلك في الفصل الأخير من الدراسة، أين سنجد أنّ هذا النوع من الوقف يؤثّر على تحديد موضع النبر. مثال ذلك قوله تعالى: ((فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ))².

آخر مقاطع هذه الآية إذا قرئت محرّكة الآخر: ص ح ص / ص ح خ / صح / ص ح / صح.
موضع النبر في فاصلة هذه الآية هو المقطع: (ص ح خ) المتوسط المفتوح.

• يرتبط الوقف بالنبر في بعض الحالات التي يكون فيها ترك النبر عند الوقف مؤدّياً إلى التلاشي الصوتي للحرف المنبور، و قد انتبه علماء التجويد إلى هذا الموضوع، و يتعلّق الأمر باللفظ المشدّد الآخر، حيث يجب الوقف عليه بنبر ما قبله، لأنّ ترك النبر فيه يوهم بتلاشي الصوت المشدّد، و في هذا يقول ابن الجزري: "إعلم أنّ الوقف على الحرف المشدّد فيه صعوبة على اللسان، فلا بدّ من إظهار التشديد في الوقف في اللفظ و تمكين ذلك حتّى يُسمع"³. و يقصد بالتمكين و الإظهار الضغط على الصوت و نبره حتّى يحدث كمال التشديد. و مثال ذلك قوله تعالى: ((وَالشَّمْسُ بَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۖ ذُلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ))⁴. فكلمة (مستقرّ) تُنطق بالنبر على حركة القاف عند الوقف عليها، لأنّ الوقف عليها بالتخفيف يوهم بضياح الراء الثانية المدغمة في الأولى.

¹ . الجن/01.

² . الوقعة/15.

³ . ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص: 100.

⁴ . يس/38.

يُستثنى من ذلك النون و الميم لأنَّ غنَّتْهُمَا المطوَّلة حين الوقف تُغني عن النبر، مثل قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصْرَاتُ
الظَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنَّهُنَّ فَتَاهُهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾¹.

و كذلك الحروف المقلقلة، لأنها متبوعة بصوتٍ يبيِّن تضعيفها. كقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾².
و هو ما جعل الوقف هنا ذا دور وظيفي يتمثّل في الحفاظ على صوتٍ لغويٍّ، و بذلك الحفاظ على البنية
الصوتية و النحوية³.

• يتضافر الوقف و النبر في تشكيل المميّزات الصوتية للغة و تنظيمها وفق أحياز إيقاعية يحكمها الزمن،
ويلخصّ الباحث مبارك حنون ذلك بقوله: " إنّ ما يجعل الكلام موزوناً مقوّمات ثلاث هي: النبرات و الوقفات
و العدد"⁴. لذلك كان من الضروري على المتكلّم أن يحاول معرفة المواضع الصحيحة للوقف و النبر في كلامه،
ليس حفاظاً على الإيقاع صوتياً، و إنّما حفاظاً على لذة المستمع و تنظيمه للدلالة في ذهنه.

¹. الرحمن/56.

². المسد/01.

³. تمّت الاستفادة في هذا العنصر من محاضرات صوتية للدكتور أمين رشدي سويد. ForsanHaq.com

⁴. مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: 57.



مخطط لأنواع النبر و وظائفه.

المبحث الثاني: وظائف الوقف في ربع يس.

1. وظيفة فيسيولوجية:

إنته القدامى إلى وظيفة الوقف الفيسيولوجية، و جعلوها أساسًا في تقسيم الوقف إلى اختياري و إضطراري. فأما الإضطراري "فوقف عند أي كلمة كانت الأسباب خارجة عن إرادة القارئ، كضيق النفس، أو العطاس، أو الفيء أو النسيان، أو ما شابه ذلك"¹.

على أن يبتدئ بالكلمة التي وقف عندها بعد زوال الغدر، و أما الإختياري، فما يكون عند تمام الكلام، وعليه فقد يكون الوقف من غير (نقط) في النفس، و لكن لا يكون "شيء من انقطاع النفس إلاّ و معه الوقف"².

و معظم التعريفات التي قدّمت عن الوقف تربطه في الأساس بوظيفته الفيسيولوجية. من ذلك ما أورده ابن الجزري (ت 833هـ) " لما لم يكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد، و لم يجر التنفس بين كلمتين في حالة الوصل، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة، وحب حينئذٍ إختيار وقف للتنفس و الإستراحة و تحتمّ ألاّ يكون ارتضاء ابتداء بعد التنفس و الإستراحة، و تحتمّ ألاّ يكون ذلك مما يخل بالمعنى، و لا يخل بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز و يحصل القصد، و لذلك حضّ الأئمة على تعلمه و معرفته"³.

فالوقف الإضطراري بسبب ضيق النفس يجب أن لا يخلّ بمعنى الكلام فيكون في موضع لا يحسن فيه قطع السلسلة الكلامية، و يكون إضطراري لأن القارئ في حاجة إلى وقف يستريح فيه و يحدد مخزونه من الهواء لمواصلة الكلام، فيؤدي الوقف بذلك وظيفته الفيسيولوجية المتعلقة بجهاز النطق، إذ يمنحه الفرصة لتحديد الطاقة (الهواء) من جهة و إرتخاء الأعضاء (الرئتين و البلعوم و الحنجرة) من جهة أخرى، وعليه فالوقف ظاهرة صوتية أدائية يطبقها القارئ لتكون بمثابة " تخفيف على القارئ من العبء الذي لحق به، كما أنه يعد بمثابة مهلة تعطى للقارئ لكي يسترد أنفاسه و يجتلب الهواء مرة ثانية استعدادًا لمواصلة الكلام"⁴.

فالوقف الإضطراري ليس عيبًا و لا عتبًا على القارئ لأنه متعلق بفيسيولوجية جهاز التنفس، و لكن يشترط على القارئ إذا وقف مضطرًا أن "يستأنف و يحسن الإبتداء و يتخيّر حسن الوقف، فبذلك تظهر المعاني"⁵، و لا

1. محمد محمود عبد الله، علم التجويد، رياض السالكين في أحكام تلاوة الكتاب المبين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دط، 2001، ص: 89.

2. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 410.

3. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص: 316.

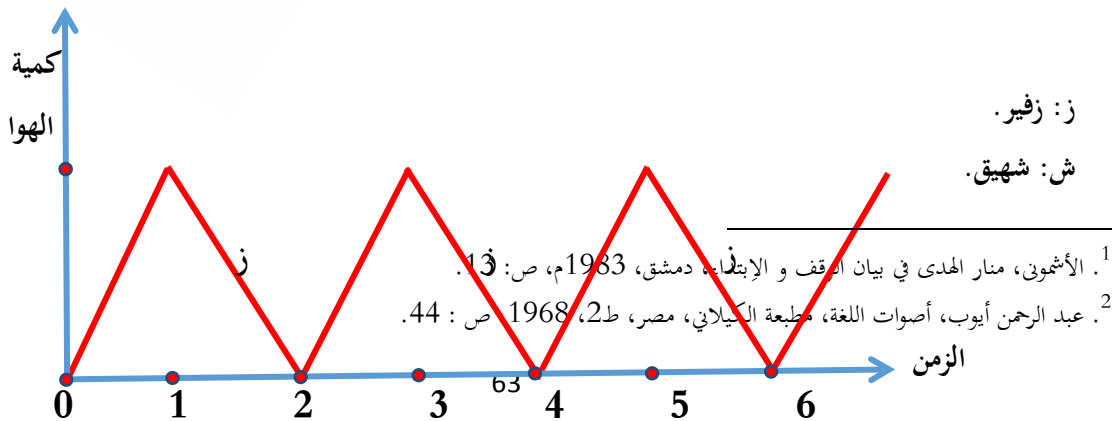
4. مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: 77.

5. عبد الله علي الميموني، فضل علم الوقف و الإبتداء، دار القاسم، الرياض، ط1، 2003، ص: 10.

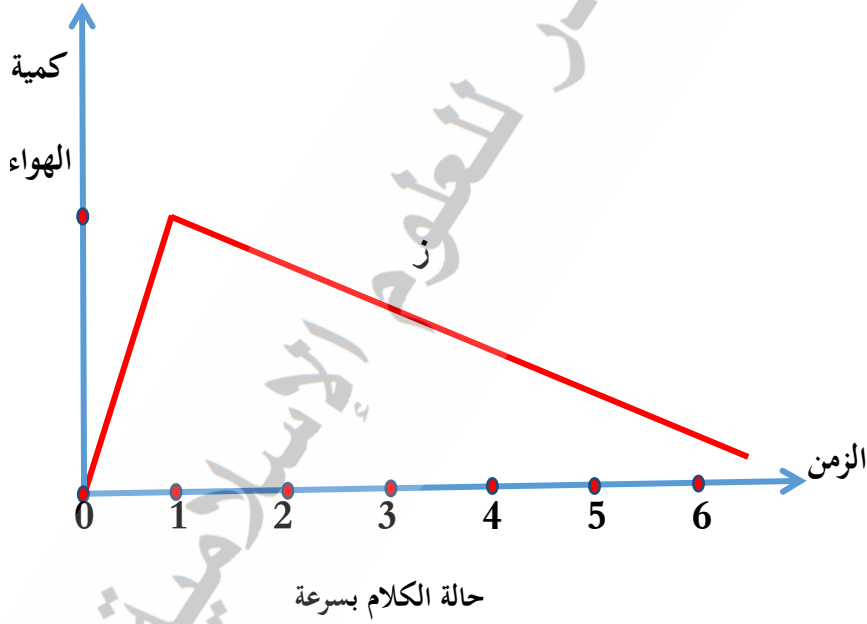
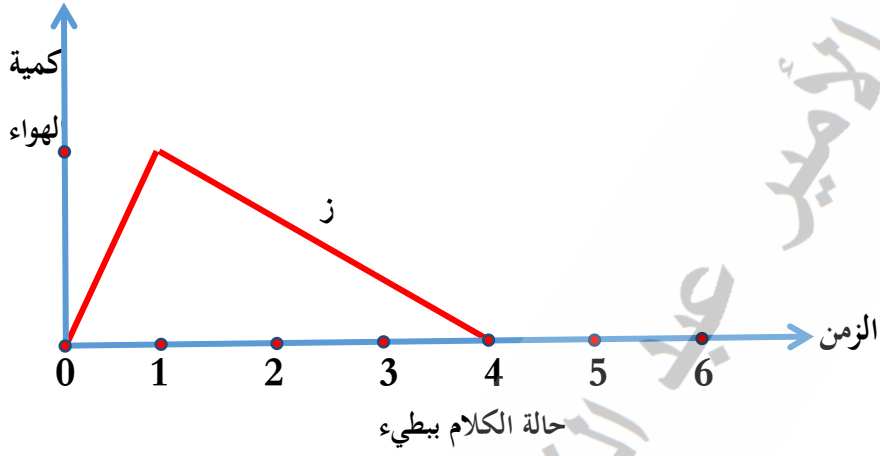
تلتبس على القارئ و المستمع. و معنى أن يحسّن الإبتداء أن يتخيّر الكلمة التي يبتدئ بها للمحافظة على مبنى ومعنى الجملة ف "يبتدئ بالكلمة الموقوف عليها، إن كان ذلك لا يغير المعنى. فإن غير فليبتدئ بما قبلها ليصحّ المعنى المراد"¹.

يقتضي النطق و الكلام حدوث عملية التنفس، و كلّما تكلم الإنسان أكثر اضطرّ إلى التنفس أكثر، أي اضطرّ إلى القيام بعدد أكبر من حركات الشهيق و الزفير. ذلك أنّ جميع أصوات الكلام تحدث أثناء خروج هواء الزفير و بعد استهلاكه في نطق كمية معينة من الأصوات يتمّ تجديده بواسطة الشهيق الذي يعيد إدخال كمية أخرى من الهواء إلى الرئتين. مع الإشارة إلى أنّ عمليتي الزفير/ الشهيق أثناء الكلام أبطأ منها أثناء ممارسة نشاط رياضي، و لا يكون في كلّ الحالات زمن إدخال الهواء مساويا لزمن إخراجة إلّا في حالة الراحة و الاسترخاء، حيث "تقتضي عملية الكلام إطالة الزمن الذي تتمّ فيه عملية الزفير بالنسبة لعملية الشهيق، حتّى تصبح الفترة التي يستغرقها الزفير من ثلاثة إلى عشرة أمثال فترة الشهيق. هذا في الكلام العادي، أمّا عندما يسترسل المتكلم في حديث سريع طويل فقد يصبح طول فترة الزفير ثلاثين مثلا لطول فترة الشهيق"². و لك أن تجرّب ذلك بنفسك بأخذ تركيب لغوي و تقرأه ببطيء و إطالة في المرة الأولى، و بسرعة في المرة الثانية، فتجد نفسك قد قرأت بنفس كمية الشهيق في المرة الثانية، ثلاث أضعاف أو يزيد مما قرأت في المرة الأولى. و يضاف إلى السرعة في النطق سن القارئ و جنسه إذ تكون سعة جهاز التنفس عند البالغ أكبر منها عند الطفل، و يكون عند الرجل أكبر منه عند المرأة.

و يمكن تمثيل إستهلاك الهواء خلال التنفس باختلاف الحالة التي يكون عليها الناطق بالمخططات الآتية:



حالة الاسترخاء



مخطط استهلاك الهواء خلال الكلام

و لنا أن نقف عند بعض النقاط السابقة:

• ترتيل القرآن واجب، و يعتمد على حالة الكلام ببطء، و"حدّه ترتيب الحروف على حقها في تلاوتها، بتثبت فيها"¹. فالهدوء و الترسل من شروط قراءة القرآن، وذلك لتحقيق التدبر، و التمعن في معانيه، و أورد ابن الجزري: " قال تعالى: ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرِزْلَ الْقُرْآنِ تَرْتِيلًا﴾"² روى ابن جريح، عن جاهد أنه قال: أي ترسل فيه ترسلًا..

و قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾³. أي أنزلناه على الترسل، و هو المكث، و هو صدّ العجلة"⁴.

و قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَنُزِّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾⁵. أي: على تودة و ترسل"⁶.

و قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾⁷.

و هي دعوة لقراءة القرآن و التمعن في آياته لفهم مواظمه.

• ترتيل القرآن الكريم يستهلك كمية هواء أكبر من الكلام العادي لأنه يتم بالنطق البطيء لتحقيق الحروف و تدبّر المعاني. و عليه فالوقف لأخذ كمية جديدة من الهواء ضروري جدًا في الترتيل.

• يعتمد مرتل القرآن على طريقة "إطالة النفس" لتجنب كثرة الوقف خاصة في الآيات الطويلة التي لا تحتوي على الوقوف. و هي عملية تعتمد على الدُرّة على عدّة عناصر أهمها⁸:

1 - أخذ النفس بطريقة سليمة أثناء التلاوة، أي عن طريق الأنف، و استقامة الظهر، لأن إحناءها يضغط على الرئة و يحول دون سحب الهواء منها و مع التعود على أخذ كمية كبيرة من الهواء باستمرار.

¹ . ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص: 12.

² . المزمل / 04.

³ . الفرقان/ 32.

⁴ . ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص: 13.

⁵ . الإسراء/ 106.

⁶ . الطبري، مختصر تفسير الطبري، المصحف المفتر.

⁷ . محمد/ 24.

⁸ . ينظر، جمال التلاوة في الصوت و النغم، جمعية القرآن الكريم للتوجيه و الإرشاد، بيروت، لبنان، ط

موقع: www.qurankarim.org

- 2 - الإقتصاد في صرف النفس، فلا يجب الإسراف في إخراج الهواء بإعطاء الأصوات أكثر من حقها في النطق و لا يسمح بخروج الهوا دفعة واحدة، و القارئ المتمكن يستطيع قراءة مقاطع طويلة دون إستهلاك كل مدخّرات الهواء.
- 3 - التلاوة بطبقة مناسبة، فالطبقة المرتفعة جدًّا تستهلك نفس أكثر، و قدرات القراء مختلفة و يجب مراعاتها.
- 4 - إنتاج الكلام ظاهرة أدائية مقترنة بحدوث التنفس، و التنفس ظاهرة فسيولوجية مقترنة بالوقف، و عليه يكون الكلام "مقسما إلى وحدات تنفسية Respiratory units مفصولة بوقوف"¹.
- 5 - إذا كان الوقف هو قطع النفس عن السلسلة الكلامية بغية تجديد النفس، و استراحة القارئ بعد كلال لسانه من القراءة، فإنه في الوقت ذاته إستراحة سريعة لوظيفة السمع عند المستمع، و ليس ذلك لسأمة من المقروء، و لكن لمنحه فُرصةً لفرز المباني و تدبّر المعاني، و تحسس جمال الصوت القرآني، و إعجاز بيانه.
- 6 - الوقف ظاهرة أدائية تنظيمية لجهاز النطق أي عنصر أساسي في ضبط وظائفية جهاز النطق، فإذا كان الكلام هو إصدار الأصوات بإشتغال جهاز النطق فإن الوقف هو إيقاف لإصدار الأصوات بإيقاف جهاز النطق "الوقف يعارض الكلام و يلغيه باعتباره صمًّا و سكونًا.... إن الكلام صوت و الوقف لا صوت"². و يكون ذلك لمدة زمنية محدّدة و وفق تواتر منتظم يمنح الأعضاء راحة من العمل لإستئناف عمل آخر و أخذ طاقة هوائية كافية لعدم إرهاقه بالنطق المستمر فإصدار سلسلة كلامية متقطعة بالوقف هو لجاز النطق: راحة من العمل، تجديد للطاقة و توزيع متعادل بها، و تنظيم الأداء الوظيفي، و كل ذلك يساهم في ضمان الأداء الفسيولوجي المنظم له.
- تحقيق الوقف في الوقت المناسب و مهارة لغوية تقوم على احترام اللغة المنطوقة بتقطيعها إلى سلاسل كلامية، و مهارة فسيولوجية تعتمد على رياضة البدن (و يقصد بالضبط جهاز التنفس) على التنفس الصحيح من خلال عملية الشهيق و الزفير، و حسن التحكم فيهما من حيث كمية الهواء الداخل، و الخارجة إلى الرئتين، و من حيث زمن الإدخال و الإخراج، ليتناسبا مع عملية النطق و الكلام.

و لبيان طريقة الوقف على ما لا يحسن الوقف عليه عند إنقطاع النفس، نأخذ آية طويلة و ليس بها وقوف واجبة أو مستحسنة أو جائزة، و نتتبع قراءتها من قارئين تختلف مراتب القراءة عندهما:

¹ . مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة، ص: 118.

² . مبارك حنون، في الصوارة الزمنية، ص: 79.

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ هَافُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾¹.

✓ عبد الباسط عبد الصمد²:

قرأ: ((وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا)).

و وقف على: ((زُمَرًا)).

ثم قرأ: ((حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ هَافُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلًا)).

وقف على: ((رُسُلًا)).

ثم قرأ: ((وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ)).

وقف على: ((وَيُنذِرُونَكُمْ)).

ثم قرأ: ((وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا)).

✓ محمود خليل الحصري³:

قرأ: ((وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ هَافُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ)).

و وقف على: ((وَقَالَ لَهُمْ)).

ثم قرأ: ((أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ

هَٰذَا)).

ثم قف على: ((هَٰذَا)).

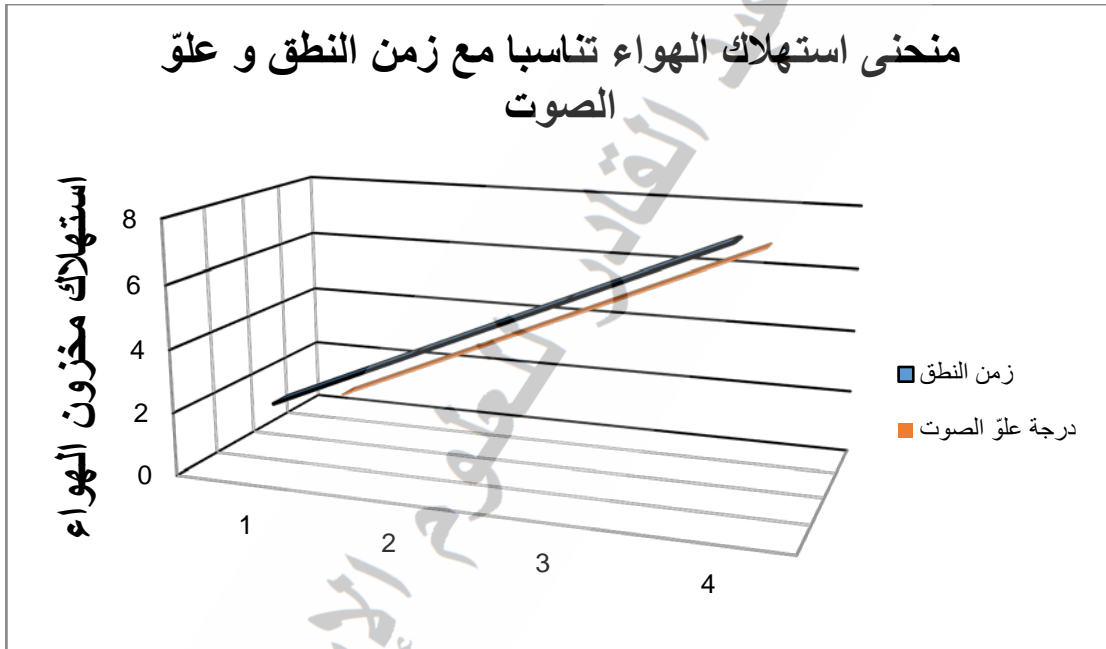
و قرأ: ((قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ)).

من خلال قراءة عبد الصمد و الحصري نلاحظ ما يلي:

¹. الزمر/ 71.

³. محمود خليل الحصري: (1917-1963)م وهو قارئ قرآن مصري أجاد قراءة القرآن الكريم بالقراءات العشر . واحد من أشهر قُراء القرآن الكريم في العالم الإسلامي، له العديد من المصاحف المسجلة بروايات مختلفة.

- 1 - إذا إنتهي نفس القارئ على كلمة لا يحسن الوقف عليه بالنظر إلى الآية وقف لاستعادة النفس عند الإستئناف يبدأ منها أو من بداية التركيب حتى لا يحسب عليه قطع المعنى، و حتى يُذكر المستمع بأصل التركيب و علاقته بما سيقروء بعد الإستئناف، و هذا تيسير للقارئ و توضيح للمستمع.
- 2 - لاحظنا إختلاف الوقف عند القارئين من حيث مواضعه و عدد مرّاته. فالقارئ عبد الصمد وقف مرات أكثر من الحصري و يعود ذلك إلى القراءة والمعروف أن الأول يجود و يتمهل في القراءة أكثر من الثاني بشكل يستهلك هواء التنفس أكثر تماشيًا مع طول المدّة الزمنية .
- 3 - كذلك يلاحظ أن عبد الصمد يرفع صوته أكثر من الحصري، و رفع الصوت يستهلك الهواء أكثر. وعليه فالقراءة بتأني أكبر و صوت أعلى يستهلك مخزون الهواء أكثر، و استهلاك الهواء مرتبط مباشرة بزمان النطق و درجة علو الصوت.



2. وظيفة تركيبية دلالية:

إنته اللغويون و القراء إلى الوظيفة التركيبية للوقف فجعلوا منها أساساً لتحديد أنواع الوقف الإختياري و التي هي: نام حسن، كاف جائز، حسن مفهوم، و قبيح متروك. و كلها وقوف إختيارية، ليست إضطرارية، متعلقة بفصول الكلام و تحقيق الدلالة الأساسية له، و هذه الوقوف التي نص عليها القراء " لا تستوجب الوقف ضرورة، و إنما هي مواضع صالحة للوقف حتى و إن لم ينقطع النفس عندها" ¹. فالوقف فيها جائز و ليس واجباً، و إنما

¹. مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: 77.

ذكرت للدلالة على صلاحية الوقف عندها لتقطيع الكلام و إن كان النفس طويلاً، أي هي وقوف لا علاقة لها بالنفس و انقطاعه. و نلخص هذه الوقوف و خصائصها و حكمها في الجدول الآتي:

النوع	خصائصه	حكمه
قام حسن	انفصال مما بعده لفظاً و معنى	يحسن الوقف عليه و الإبتداء بما بعده
كاف جائز	منقطع في اللفظ متعلق في المعنى	يحسن الوقف عليه و الإبتداء بما بعده.
حسن مفهوم	تعلق باللفظ و المعنى	يحسن الوقف عليه و لا يحسن الإبتداء بما بعده.
قبیح متروك	تعلق باللفظ و المعنى	لا يجوز الوقف عليه و لا يجوز الإبتداء بما بعده.

وقد اصطلح على الترميز للوقوف السابقة:

الرمز	دلاليته	مثال من ربع يس
لا	الوقف الممنوع	﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ¹ .
صلى	يجوز الوقف و الوصل أولى	﴿ أَهْمَ خَيْرًا قَوْمٌ تُبْعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْتَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ ² .
قلى	يجوز الوصل و الوقف أولى	﴿ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنْ الْحَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ ³ .
ج	الوقف الجائز	﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ ⁴ .
م	الوقف اللازم	﴿ فَلَا يَجْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِيَّا نَعْمَ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ⁵ .
ث	وقف المعانقة	﴿ فَإِذَا الْقِيَمَةُ أُنزِلَتْ كَفَرُوا فَصَرَبَ الرَّقَابِ حَتَّى إِذَا انْخَسَمْتُمْ فِي الْفُتُوحِ أَوْ أَوْتَقُوا فِيمَا مَنَابِعُهَا وَإِذَا فُتِنُوا بِغِيَابِهَا وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ هَذَا الَّذِي كُنَّا نُنذِرُكُمْ بِهِ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي أَيْمَانِكُمْ أَتُمْؤِمِنُونَ أَمْ لَيْسَ بِاللَّهِ فَتْنًا فَمَا كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ ﴾ ⁶ .

1. الحديد/08.

2. الدخان/37.

3. الزمر/15.

4. الزخرف/19.

5. يس/76.

6. محمد/04. ينظر: نسخة المصحف الكريم برواية حفص عن عاصم من طبعة دار ابن الجوزي، القاهرة.

و بمساعدة الجدول يمكن النظر في الوظيفة التركيبية للوقف من خلال تسجيل جملة من الملاحظات يتم

التفصيل فيها لاحقاً:

- 1 -الوقف الاختيارية هي وقوف إجتهادية وليس إجبارية، فإذا كان القارئ ذا نفس طويل فيمكن أن يتجاوز هذه الوقوف و لا يعد ذلك عيباً في قراءته "في القرآن، إذن، مواضع للوقف نص عليها القراء إلا أنها لا تستوجب الوقف ضرورة، و إنما هي مواضع صالحة للوقف حتى و إن لم ينقطع النفس عندها، إنها مواضع يكون الوقف عليها جائزاً لا واجباً، اختيارياً لا إجبارياً، و باختصار، فإن الوقف قد تحدده مقاطع الأنفاس، و قد لا تحدّه"¹. وقال الملاّ القاري: "و لا يكون فاعله تاركاً لواجبٍ عليه بمعنى أنه يأثم بترك الوقف لديه و إنما ينبغي له بالوجوب الاصطلاحي، و يستحب له بالزوم العربي مراعاة الوقوف القرآنية"².
- 2 -تختلف مواضع الوقوف عند بعض القراء و السبب في ذلك اختلاف و الإعراب. فالوقف متعلق بعلمي النحو و التفسير.
- 3 -الوقوف الاختيارية قسّمت على أساس: التعلق المعنوي، و التعلق اللفظي الحاصلين بين اللفظ الموقوف عليه و التركيب، و هو ما يجعل الوقف ذا علاقة وطيدة بالنحو و التفسير .
- 4 -الوقف و الإبتداء ظاهرتان متلازمتان في القرآن الكريم. و كل واقف في موضع وجب عليه الإبتداء للإبتداء بما بعده.
- 5 -إذا كان الوقف إجبارياً فإن الوصل مكانه يخلّ بالمعنى إذا كان الوصل إجبارياً. و ليس كل ما يحسن الوقف عليه يحسن الإبتداء بما بعده.
- 6 -ما أشار إليه في المصحف من مواضع الوقوف بأنواعها لا تمثل كل مواضع الوقف. و لكن أشهرها و لم يتم الإشارة إلى كل مواضع الوقف تجنباً للتشويق على القارئ لكثرتها.
- 7 -تصلح رؤوس الآي للوقف بصفة عامّة، ويسمى الوقف عليها بـ (الوقف السنيّ). و سنتطرق لهذه النقطة في الفصل الأخير (الوقف على الفواصل).

و قد أشار كثير من العلماء القدامى إلى الأهمية الوظيفية للوقف على المستوى التركيبي، من خلال النظر في مواضع الوقف إلى التعلق اللفظي الحاصل بين الموقوف عليه و التركيب الدارس للوقف أن يكون عارفاً بالنحو، فقد أورد الزركشي (ت 794هـ) : " و هذا الفن معرفته تحتاج إلى علوم كثيرة، قال أبو بكر بن مجاهد: لا يقوم بالتمام في الوقف إلا نحوي عالم بالقراءات، عالم بالتفسير و القصص و تلخيص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن، وقال غير: و كذا علم الوقف"³.

¹ . مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: 77.

² . الملاّ القاري، المنح الفكرية، ص: 258.

³ . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج 1، ص: 388.

ذلك أن أجزاء الكلام مترابطة، و أن النحو هو العلم " بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية"¹ ، و به يعرف صحيح الكلام من فاسده.

فالنحو يدرس العلاقات القائمة بين الكلمات و التي تسمى بالوظائف الإعرابية حيث تشكل مع بعضها البعض جملة واحدة أو تركيباً واحداً مفهوماً، و لهذا لم يكن الوقف ظاهرة فسيولوجية أو صوتية فحسب، لأنه بذلك سيكون عشوائياً من الناحية التركيبية، إذا لا بد من النظر في الموقف عليه إلى تعلقه اللفظي بما بعده. والتعلق اللفظي " هو أن يكون ما بعده متعلقاً بما قبله من جهة الإعراب كأن يكون صفةً أو معطوفاً بشرط أن يكون ما قبله كلاماً تاماً"².

فالوقف من هذا المنطلق يكون عند تمام التركيب و حصول المعنى حتى تحقق الإفادة، ف "يستوفي الكلام ركن الجملة من المسند و المسند إليه، أي أن يكون مستقلاً بنفسه من وجهة نظر التركيب، كما يجب أن يستقل معنى و دلالة"³. و قد إشتراط العلماء و القدامى جملة من الشروط للوقف لتحقيق الدلالة بمراعاة البناء التركيبي الدلالي للكلام. و لتوضيح هذه الشروط نورد بعض الأمثلة من ربع يس:

○ أورد الأنباري أنه "لا يتم الوقف على المضاف دون ما أضيف إليه، و لا على المنعوت دون النعت، و لا على الرفع دون المرفوع و لا على المرفوع دون الرفع، و لا على الناصب دون المنصوب، و لا على المنصوب دون الناصب، و لا على المؤكّد دون التوكيد، و لا على المنسوق (المعطوف) دون ما نسقته عليه، و لا على إن وأخواتها دون إسمها، و لا على إسمها دون خبرها، و لا على كان و أصبح و لم يزل و أخواتهن دون إسمها، و لا على إسمها دون خبرها، و لا على ظننت و أخواتها دون الإسم، و لا على الإسم دون الخبر، و لا على المقطوع منه دون القطع (الحال)....."⁴. فالوقف على هذه المواضع التي ذكرها الأنباري ممنوع قبيح، و إذا جهل القارئ بها و قف فيها فإن " المراد من ذلك الكلام يبغي مجهولاً و معمى، بل إنَّ الوقف، في هاته الحالة، سيغير المعنى وينقصه و يفسده، إذ قد يومئ بخلاف المقصود"⁵. إلا إذا كان الأمر خارجاً عن إرادة القارئ من ضيق نفس أو نسيان، و قد حدّدت المواضع التي منع الوقف عليها إنطلاقاً من أسس علمية موضوعية متعلقة بالنحو و الدلالة ترجع إلى " فهم المعنى و مراعاة الأحكام النحوية، فلا يوقف على العامل دون المعمول و لا على المعمول دون العامل..."⁶، إذ ينبغي للقارئ أن يفرق بين المعاني، و يفهم ما يقرأ و يحرص على وقفه و ابتدائه فيحترم التركيب و يصون الدلالة. و نسوق فيما يأتي جملة من الأمثلة التي بها يتضح المقال:

¹ .الجرجاني، معجم التعريفات، ص: 202.

² .الملاّ القاري، المنح الفكرية، ص: 251.

³ . مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة، ص: 78.

⁴ . الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت 323هـ)، تح محي الدين عبد الرحمن رمضان، إيضاح الوقف و الإبتداء في كتاب الله، ج1، مطبوعات

مجمع اللغة العربية، دمشق، 1971م، ص: 116.

⁵ . مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة، ص: 83.

⁶ . الصفاقسي، تنبيه الغافلين، ص: 130.

1 قال تعالى: ﴿وَعَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَحُ مِنْهُ النَّهَارَ فَاِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾¹.

فلا يجوز الوقف على (مِنْهُ) و الإبتداء ب (النَّهَارَ) لأنه وقف على الناصب دون المنصوب، لأنَّ (النَّهَارَ) منصوبة بالفعل (نَسَلَحُ). كذلك لا يجوز الوقف على المنصوب دون الناصب كالوقف على (الْقَمَرَ) و الإبتداء ب (قَدَّرْنَاهُ) في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾². إذا الأول (الْقَمَرَ) منصوبة بالثانية (قَدَّرْنَاهُ) و قد تقدم هنا المفعول به على الفعل و الفاعل، و قد اختلف في قراءة (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ) ف "قرأ نافع وابن كثير و أبو عمرو برفع راء (وَالْقَمَرَ) و الباقيون بنصبها و وصل المكِّي هاء (قَدَّرْنَاهُ)"³. و القراءة بالرفع و النصب جائزتان و "الحجة لمن رفع أنه ابتداءه و جعل ما بعده خبراً عنه، و الهاء عائدة عليه و بها صلح الكلام و الحجة لمن نصب: أنه أضمراً فعلاً فشره ما بعده فكأنه في التقدير: و قدَّرنا القمر فقدَّرناهُ"⁴.

و خلاصة القراءات في الآية:

القراء	القراءة	الحجة النحوية
نافع ابن كثير أبو عمر	وَالْقَمَرُ قَدَّرْنَاهُ	الْقَمَرُ قَدَّرْنَاهُ م خ (جملة فعلية في محل رفع خبر) جملة اسمية
الكسائي حمزة عاصم	وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ	الْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مفعول به فعل + فاعل جملة فعلية

2 قال تعالى: ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ

دَائِرَةُ السَّوْءِ وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَعَنْهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾⁵.

لا يجوز الوقف في الآية على (ظَنَّ) دون (السَّوْءِ)، و لا الوقف على (دَائِرَةُ) دون (السَّوْءِ). لأن الوقف على المضاف دون المضاف إليه قبيح. و كذلك الوقف قبيح على (غَيْبٍ) لأنها مضافة إلى (السَّمَاوَاتِ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁶.

1. يس/37.

2. يس/39.

3. عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، مكتبة أنس بن مالك، مكة المكرمة، ط1، 2002م، ص: 330.

4. ابن خلوويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، تح عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط3، 1979م، ص: 298.

5. الفتح/06.

6. الحجرات/18.

3 - قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّادِقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾¹.

الوقف في الآية على (وَعَدَّ الصَّادِقِ) غير تام لأن (الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) و صف للوعد، ولا يصح الوقف على الموصوف دون الوصف. و كذلك لا يصح الوقف على (حَرَسًا) لأنه منعت (شَدِيدًا) في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا فِيهَا فُجُورًا أَلْوَنًا﴾².

4 - الوقف على المبتدأ دون الخبر أو الناسخ دون المنسوخ قبيح غير جائز. كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾³.

إذ لا يجوز الوقف على (إِنَّ) لأنها ناسخ و اسمها منصوب بها، و غيرها مرفوع بها، و الوقف عليها غير تام. كذلك لا يتم الوقف على (الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ) و فصلها عن (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) لأن الأولى مبتدأ و الثانية خبر.

5 - كذلك لا يتم الوقف إذا كان على المستثنى دون المستثنى منه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾⁴ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ

إذ "الوقف على (خُسْرٍ) غير تام (الَّذِينَ ءَامَنُوا) منصوبون على الإستثناء من (الْإِنْسَانَ) كأنه قال إن الناس لفي خسر"⁵. و ليس كل البشر في خسر، فالذين آمنوا و عملوا الصالحات مستثنون من هذه الخسارة.

6 - قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾⁶.

لا يجوز الوقف على الاسم الموصول دون صلته. إذن لا يكون الوقف تاما على (لِلَّذِينَ) دون (يَخَافُونَ الْعَذَابَ) لأنّ الأوّل اسم موصول و الثاني صبة، و كذلك لا يتم الوقف على (مَا) دون (لَا تَعْلَمُونَ) في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَ كُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁷.

7 - و كذلك لا يوقف في الجملة الشرطية على أداة الشرط دون الشرط و لا على جملة الشرط دون جملة

الجواب، لأنهما جزءان لكل واحد، و لا يتم معنى الأولى إلا بالثانية، ففي قوله تعالى: ﴿إِذَا تَلَّٰى عَلَيْهِآءِ يَلْتَنَآ قَالِ

1. الأحقاف/16.

2. الجن/08.

3. الحجرات/04.

4. العصر/2-3.

5. الأنباري، إيضاح الوقف و الإبتداء، ج1، ص: 131.

6. الذاريات/37.

7. الواقعة/61.

أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾¹. لا نقف على (إِذَا) و لا على (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا) دون (قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ) لأنّ الأولى شرط و الثانية جوابها، و هما متعلقتان تركيباً و دلالة.

8 - كذلك لا يوقف على جواب الفاء. ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرْحَالَعَلِّي أَبْلُغُ

الْأَسْبَبِ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴿٢﴾. لا يوقف على (السَّمَاوَاتِ) لأنّ "قوله (فَأَطَّلِعَ) جواب للشك"³.

9 - من الوقوف غير التامة أيضا الوقف على " الاستفهام دون ما استفهم عنه "⁴. كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿٧﴾⁵. فلا يوقف على (كَيْفَ) دون (كَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) لأنّ الأولى استفهام و الثاني مستفهم منه و لا يكتمل المبنى و المعنى إلا بوصلهما.

كذلك الحال في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا نُوْعِدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿١٥﴾⁶. فالوقف على (أَمْ) قبيح لأنها للاستفهام.

10 - لا يتم الوقف على المبدل منه دون البدل⁷، كالوقف على (إِرْمَ) دون (إِرْمَ) في قوله تعالى: ﴿الْوَتْرَ كَيْفَ

فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦١﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٦٢﴾⁸. ف(إِرْمَ) بدل من (إِرْمَ). و (ذَاتِ) صفة مضافة إلى (الْعِمَادِ).

11 - و في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً

فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾⁹. فلا يتم الوقف على (هَدَانِي) لأنّ قوله تعالى (لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) جواب ل (لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي) و كذلك " لا يتم الوقف على (كَرَّةً) لأنّ قوله (فَأَكُونُ) جواب التمني "¹⁰.

12 - كذلك لا يوقف على " الأيمان دون جواباتها "¹¹ ففي قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾

وَمَا خَلَقَ الذُّكْرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾ إِنْ سَعَيْكُمْ لَشَيْءٌ ﴿٤﴾¹. فلا يتم الكلام في الآيات الثلاثة الأولى دون قوله تعالى: (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَيْءٌ) لأنّ الأولى أيمان، و الأخيرة جواب الأيمان.

¹ . القلم/15.

² . غافر/36، 37.

³ . الأنباري، إيضاح الوقف و الابتداء، ج1، ص: 137.

⁴ . السابق: ص: 135.

⁵ . المزمل/17.

⁶ . الجن/ 25.

⁷ . المبدل و المبدل منه في كتب القدماء يشار لها بالمترجم و المترجم عنه.

⁸ . الفجر/06، 07.

⁹ . الزمر/57-58.

¹⁰ . الأنباري، إيضاح الوقف و الابتداء، ج1، ص: 137.

¹¹ . الداني، الإيضاح في الوقف و الابتداء، ص: 137.

كذلك لا يتم الوقف على (وَالضُّحَى) و لا على (سَجَى) حتى يكتمل الكلام بجواب الأيمان (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ).

13 -أما إذا كلن في الآية نداءً فيجوز الوقف على الجملة الندائية، لأنها مستقلة و ما بعدها جملة أخرى، وإن كانت الأولى تتعلق بها" ²، مع الإشارة إلى عدم تمام الوقف على أداة النداء دون المنادى، ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ ﴿١﴾ فَرَأَيْتَ لَإِثْمَانَ أَلِيقًا ﴿٢﴾﴾ ³ . فلا يجوز الوقف على أداة النداء دون المنادى (الْمَرْمَلُ) و لكن يجوز الوقف على الجملة الندائية (يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ) دون (فَرَأَيْتَ لَإِثْمَانَ) لأنها مستقلة عليها لفظاً و إن كانت تتعلق بها معنًى.

14 -كذلك لا يوقف على " (لا) النهي دون المجزوم" ⁴ . فلا يوقف على (لَا) دون (تَتَّخِذُوا) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَخْرُجُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَدَّرَ مِنْكُمْ فَفَدَّ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ ⁵ ، لأن (لَا) ناهية جازمة و هي مع المجزوم بمرتبة الحرف الواحد. و كذلك لا يوقف على (لَا) الجازمة دون فعلها المجزوم (تَخَفُ) في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِنِعْمَةٍ عَلِيمٍ ﴿١٨﴾﴾ ⁶ . و مثلها قوله: ﴿فَأَصْبَرَ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطَعِ مِنْهُمْ ءَاثِمًا ءَوْكَ قُورًا ﴿١٤﴾﴾ ⁷ .

15 - من الوقف غير التام على (لَا) أيضًا فإذا كانت بمعنى غير " ⁸ . قال تعالى: ﴿وَوَظِلَّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴿١٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ ⁹ . فلا يوقف على (لَا) دون (بَارِدٍ) و دُونَ (كَرِيمٍ).

16 -قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ ءَأَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ ¹⁰ . لا يحسن الوقف على (عَلَىٰ وَجْهِهِ ءَأَهْدَىٰ) و الإبتداء (أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا) لأن (أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا) معطوفة على (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ) . والمعنى: أحد يمشي مكبًا على وجهه أهد أم أحد يمشي على الطريق السوي. و يمنع الفصل في اللغة بينهما " إذا يوقف على المعادل دون معادله لأنه أمن يمشي سويًا معادل أفمن يمشي مكبًا" ¹¹ .

¹ . الليل/1-4.

² . السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ص: 253.

³ . المزمّل/1-2.

⁴ . الداني، المكنى في الوقف و الإبتداء، تح يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1987، ص: 139.

⁵ . الممتحنة/01.

⁶ . الذاريات/28.

⁷ . الإنسان/24.

⁸ . الداني، الإيضاح في الوقف و الإبتداء، ص: 140.

⁹ . الواقعة/43، 44.

¹⁰ . الملك/22.

¹¹ . الأشموني، منار الهدى في الوقف و الإبتداء، ص: 410.

لأنها بمعنى: غير بارد، وغير كريم، و مثله قوله تعالى: ﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شَعَبٍ ۖ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُعْنِي مَنَ اللَّهْبِ ۗ ﴾¹. فلا نقف على (لَا) دون (ظَلِيلٍ) بمعنى غير ظليل.

ومن الأمثلة السابقة و غيرها من الحالات التي نمثل لها نستنتج أن اكتمال التركيب و الدلالة عامل أساسي في إختيار مواضع الوقف، و كان لازماً على القارئ أن يراعي التركيب و ينظر في الأحكام النحوية، مع الإحتياج إلى تمام المعنى، لأن " معرفة مقاطع الكلام إنما تكون بعد معرفة معناه"².

و إذا كان الوقف في بعض المواضع غير تام يخلُ بالمبنى و ينقص المعنى فإنه في بعض المواضع ينتقل بالتركيب من حالة إلى أخرى، و يقلب الدلالة لغير ما أريد لها أن تكون. فلا يكون الوقف بذلك غير تام فقط، و إنما يكون ممنوعاً بالإطلاق. يتضح ذلك عند الوقف على المواضع الممنوع الوقف عليها (بمعنى وصلها واجب)، و كذلك الحال عند الوقف الواجب (الوصل الممنوع)، فالوصل مكان الفصل لا يجوز، كذلك الفصل مكان الوصل لا يجوز. وهذا بيان النوعين:

أولاً: الوظيفة التركيبية الدلالية للوقف اللازم³:

الوقف اللازم نوع من الوقف التام، يتوجب الوقوف عليه لبيان المعنى المقصود و وصله يؤدي إلى تحصيل معنى خالف للمعنى المقصود. و هو "ما لو فُصل طرفاه غُيِّر المرام، و شُنِعَ معنى الكلام"⁴. و يُرمز له حالياً في المصاحف بـ (م) أي لزوم الوقف و هو رمز أخذ عن السجاوندي في كتابه (كتاب الوقف و الإبتداء) للدلالة على المواضع التي يكون فيها الوقف واجباً و الوصل ممنوعاً.

و لبيان أهمية الوقف اللازم على التركيب و الدلالة في ربع يس نأخذ الأمثلة الآتية:

1 - قال تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۗ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۗ ﴾⁵.

فالآية تُقرأ بالوقف التام على (قَوْلُهُمْ) و الإبتداء (إِنَّا نَعْلَمُ) هكذا: فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ. إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ. ذلك أن نهاية الكلام من الكفار ثم في خطاب الله تعالى لنبيه محمد ﷺ و معناه: "لا تحزن يا محمد على تكذيبهم لك، و اتهامهم بأنك شاعر أو ساحر، و هذه تسلية للنبي عليه السلام، و هنا تمّ الكلام"⁶. ثم يواصل تعالى قوله قوله ((إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ)). و هي جملة إسمية منفصلة عن الجملة الأولى و لو قرأنا بالوصل مكان الوقف في

¹ .المرسلات/30، 31

² . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 251.

³ . إختلفت تسميته عند العلماء؛ فهو عند الأشموني (وقف البيان)، وعند السجاوندي (الوقف اللازم) و عند الزركشي (الوقف الواجب) و في بعض الدراسات المتفرقة الوقف الإجباري.

⁴ . السجاوندي، أبي عبد الله محمد بن طيفور، كتاب الوقف و الإبتداء، تح محمد هاشم درويش، دار المناهج، الأردن، ط1، 2001م، ص: 105.

⁵ . يس/76.

⁶ . محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص: 24.

الآية هكذا: (فَلَا يَخْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ) لأوهم هذا الوصل أنّ (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ) هي جملة مقول القول ل (قَوْلُهُمْ)، فيكون المعنى أنّ: أن لا تخزن لقولهم بأنهم يعلمون ما يسرون، أي بالترتيب الآتي:
فَلَا يَخْزُنْكَ قَوْلُهُمْ: إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ. فتكون بذلك جملة (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ) من مقول الكفار، و الصواب أنّها من قول الله تعالى فهو سبحانه " أعلم بما يخفونه في صدورهم، و ما يظهره في أقوالهم و أفعالهم" ¹. ويستفاد من الوقف اللازم في هذه الجملة عدة منافع منها:

- الحفاظ على الحالة التركيبية للجملة (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ) و هو أنّها جملة مستقلة عن الأولى و ليست مقول قول لها.
- بيان إستصغار الله تعالى لقول المشركين و تكذيبه بعدم ذكره و الإكتفاء بالإشارة إليه فقط (فَلَا يَخْزُنْكَ قَوْلُهُمْ).
- تبيان أنّ العلم بما في صدور البشر من علم الله تعالى وحده (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ).
- نسب قول الله تعالى إليه و ليس إلى المشركين، و تجنب المغالطات أو سوء الفهم الذي قد يفتح أبواباً خاطئة في التأويل.

2 قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ ².

تقرأ الآية بالوقف التام على (عَنْهُمْ)، و يستأنف الكلام من (يَوْمَ) كما يلي: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ. يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ. لأن جملة (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) متسابقة و متعلقة بما بعدها ((خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ)).

و التقدير هو: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ. يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ. و فائدة القول أنّ: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) جملة تامة. و (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) جملة إستثنائية تفيد تحديد الزمان لأن (يَوْمَ) ظرف زمان. ومعنى الآية "أعرض يا محمد عن هؤلاء المجرمين و أنتظرهم (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) أي يوم يدع إسرافيل إلى شيء منكر فظيع تنكره النفوس لشدته و هولته" ³.

و لو قرأنا بالوصل مقام الوقف في هذه لكانت كما يأتي: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ. خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ. لأوهم ذلك أنّ (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) ظرف زمان للجملة التي قبلها (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) فيصبح المعنى أنّ الله يدع محمداً إلى الإعراض عن المجرمين يوم القيامة، و ما كان محمد ﷺ وليهم لا في الدنيا و لا يوم القيامة فالصحيح أنّ الله يدعوهم إلى الإعراض عنهم (أي في حياته) بعدما بيّن لهم السبيل الصحيح و أقام عليهم الحجة، و دهاه أنّ لا يسأل عنهم فإنّ حسابهم يوم القيامة شديد حق عليهم بما

¹ . السابق، ج3، ص: 84.

² . القمر/06.

³ . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج 3، ص: 284.

كفروا و كذبوا الأنبياء ((وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ))¹ . و قد أشار السجاوندي (ت 600هـ) إلى هذه الآية في حديثه عن الوصل الذي يذهب المعنى حال الوقف اللازم فأورد "فلو وصل (عَنْهُمْ) ب (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) صار الظرف ظرفاً لقوله (فَتَوَلَّى) و كان المعنى: فتولّى عنهم عندما ينفخ في الصور و هو محال"² ، ذلك أن مهمة الرسول ﷺ محدودة زمنياً . بما يوحيه الله إليه .

و ما يستفاد من الوقف في هذه الآية هو:

✓ الحفاظ على الحالة التركيبية للآية بإبقاء ظرف الزمان (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) تابعاً للجملة التي بعده و ليس ما قبله.

✓ تبيان أنّ وظيفة الرسول ﷺ إنتهت مع المجرمين بعد إقامة الحجة، و تركهم لمصيرهم.

✓ تبيان أنّ الله عز وجل سيعاقب المجرمين بكفرهم و أنهم يوم القيامة سيكونون كالجراد المنتشر خاضعين ذالين لله عز و جل.

3. قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝﴾³.

تُقرأ الآية بالوقف التام على (الخالص) و الابتداء ب (وَالَّذِينَ) ذلك أن الجملة (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) تامة لا تتعلق بما بعدها. و (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) جملة إستثنائية لا تتعلق بما قبلها لفظاً و لا معنى و الواو حال الوقف على (الخالص) تكون إنشائية. و المعنى المراد من الآية " ألا فانتهاها أيها الناس: إنّ الله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.. و معنى (الخالص) الصافي من شوائب شرك و الرياء"⁴ . أما الجملة الإستثنائية (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا...) فحديث عن المشركين الذين اتخذوا آلهة غير الله يعبدونها (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ).

و لو أهمل الوقف اللازم في موضعه من الآية و قُرأت بالوصل لأوهم ذلك أنّ واو (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا) هي واو عطف، و أن الجملة التي بعدها معطوفة على ما قبلها، و ذلك يحول المعنى و يشوّهه إذ يصبح الدّين الخالص لله و للذين اتخذوا من الآلهة. و في ذلك إشراك واضح. فتمعن كيف كان الوصل محل الوقف اللازم سبباً في ضرب عقيدة التوحيد التي يبني الإسلام عليها، و كيف يمكن أن يكون هذا الوصل سبباً في التناقضات و حل باب المشكلات و إضاعة معنى الآيات.

و خلاصة أهمية الوقف اللازم في هذه الآية:

¹ القمر/04، 05.

² السجاوندي، علل الوقوف، تح محمد بن عبد الله م محمد العيدي، مكتبة الرشد، الرياض، 2، 2006، ص:106.

³ الزمر/03.

⁴ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ، ج3، ص: 69.

- 1 تحقيق سلامة التركيب في الآية بالمحافظة على الوظيفة الإعرابية للواو من أهما واو إستثنائية تفصل الجملة الأولى عن الثانية، و ليست واو عطف تعطف الثانية عن الأولى.
 - 2 تحقيق مبدأ فصل المعاني و المحافظة على سلامتها و عدم خلطها بفصل الجملتين تركيباً و دلالة.
 - 3 تحقيق الوقف في موضعه حقق مبدأ التوحيد الذي تنبني عليه العقيدة الإسلامية بنفي إنتساب الألوهية لغير الذات الإلهية المقدسة و التأكيد كذب و كفر ممن إتخذ
 ((وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۗ)) .
- و تجدر الإشارة أن مواضع الوقف اللازم في القرآن الكريم تختلف باختلاف العلماء فعد السجاوندي (ت600هـ) منها ثمانين موضعاً، نعدّ منها في ربع يس:

عدد المواضع	الآية و موضع الوقف اللازم	السورة
03	﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.	يس
	﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾.	
	﴿فَلَا يَخْزِنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْمَاءٌ مَا يَسُرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾.	
01	﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِيْنَ ﴿٨٢﴾﴾.	الصفات
02	﴿* وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٣١﴾﴾.	ص
	﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٥١﴾﴾.	
02	﴿إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾.	الزمر
	﴿فَأَذَاهُمْ اللَّهُ الْحَزَنَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْأَخْرَىٰ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾.	
02	﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾﴾.	غافر
	﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٢٤﴾﴾.	
02	﴿وَقِيلِهِ يَرْبِّ إِنِّي هَلُؤْلَاءُ قَوْمٌ لَا يُوْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.	الزحرف
	﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.	

04	﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنَّ كُنُوزَ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ ﴾.	الدخان
	﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَاوَمَةٌ مِّجْرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.	
	﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.	
	﴿ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتَهُمْ مِحْرَعِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾.	
01	﴿ * وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ التُّدُورُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾.	الأحقاف
01	﴿ فَلَا يَهْنَأُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالِكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾.	محمد
01	﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.	الذاريات

و في نهاية الحديث عن الوظيفة التركيبية- الدلالية للوقف أنّ الوقف ظاهرة أدائية لا تتعلق بالتنفس فقط الذي يكون ضرورياً، و إنما يتعلّق في أكثر الأحيان بإرادة القارئ و إختياره لمواضع يقف عليها دون أخرى، و أمّا ما إختاره العلماء من مواضع فمبني في الأساس على التعلق التركيبي و الدلالي في الجملة، فالوقف لا يتمّ إلا متى اكتمل التركيب و تمّ المعنى و حصل الفهم في الأذهان. على هذا الأساس عدّ النحو أساساً قوياً في تحديد الوقوف، و عدّ معرفة الوقف شرطاً أساسياً في منح إجازات القراءات القرآنية و ما كان ذلك للتضييق على القراء ولكن للحفاظ على القرآن من اللحن و سوء الفهم. و قد علّم عن السلف " أنهم كانوا يعلمون ما ينبغي أن يوقف عنده، كما يتعلّمون القرآن"¹.

ثانياً: الوظيفة التركيبية الدلالية للوقف الممنوع:

إذا كان الوقف اللازم يساعد في تحديد الدلالة التركيبية للسلسلة الكلامية من خلال الحفاظ على التعلق اللفظي و المعنوي في الكلام أثناء تقطيع الكلام و الفصل بين أجزائه، فإن الوقف الممنوع (الذي يقابل الوصل اللازم) يؤدي وظيفة مماثلة في الأهمية متناظرة في الآلية و ذلك من خلال الإحتفاظ على إتحام العناصر التركيبية وتحقيق الوصل الذي يخدم التعلق اللفظي و المعنوي للآيات الكريمة، و لا يجوز للقارئ أن يتعمّد الوقف في

¹. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 386.

المواضع التي يمنع فيها الوقف حفاظاً على سلامة المعنى و سدّاً للشبهات و تجنباً للمغالطات. و أورد الأشموني أنه "يدخل الوقف على الوقوف المنهي عنها في عموم قوله ﷺ في حق من لم يعمل بالقرآن: ((رُبَّ قارئٍ للقرآن والقرآن يلغنه)) كأنه يقرأه بالتطريب و التصنع" ¹. و ذلك لما تلحقه بالمبني و المعنى من تحريف. و لبيان أهمية تحقيق الوقف الممنوع (الوصل اللازم) نورد الأمثلة الآتية من ربع يس:

• قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ ².

في الآية و قف ممنوع على (وَإِيَّاكُمْ) و ذلك لتعلقها بما بعدها لفظاً و معنى "فلو قطع على (وَإِيَّاكُمْ) مع أن الكلام مفهوم على هذا المقطع، ثم ابتداء (أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ) لكان في البدء قبح ظاهر، لأنه متعلق بما قبله لفظاً" ³. و سبب منع الوقف في هذا الموضع:

- تعلق لفظي: جملة (أَنْ تُؤْمِنُوا) في محل نصب مفعول لأجله الجملة التي قبلها (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ):

يُخْرِجُونَ	الرَّسُولَ	وَ	إِيَّاكُمْ	أَنْ تُؤْمِنُوا
فعل	مفعول به	حرف عطف	معطوف على الرسول	جملة مصدرية في محلّ نصب مفعول لأجله.

و تأويل الجملة: يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ لِأَجْلِ إِيْمَانِكُمْ.

فتكون جملة (أَنْ تُؤْمِنُوا) منصوبة للنائب (يُخْرِجُونَ) و يجوز في القرآن الوقف على "النائب دون منصوبه" ⁴.

- تعلق معنوي: جملة (أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ) أوردت سبب الجملة التي قبلها و هو إخراج أعداء الله الرسول و المؤمنين فقد "ضيقوا عليهم و آذوهم حتى خرجوا منها مهاجرين إلى المدينة (أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ) أي من أنكم آمنتم بالله الواحد الأحد" ⁵. و ليس لسبب آخر غير إيمانهم بالله قال تعالى: ((وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)) ⁶.

فالآية (أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ) جاءت توضيحية متعلقة المعنى بما قبلها.

و قد اختلف في الوقف على هذه الآية، فأورد:

¹ . الأشموني، منار الهدى، ص: 11.

² . الممتحنة/01.

³ . مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، وقوف القرآن و أثرها في التفسير، مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة، د ط 1431هـ، ص: 404.

⁴ . الأشموني، منار الهدى، ص: 13.

⁵ . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص: 361.

⁶ . البروج/8.

الأشموني في منار الهدى: لا يوجد وقف "على (إِيَّاكُمْ) لأنه معطوف على الرسول. و أيضاً قوله (أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ) مفعول يخرجون و منهم من جعل (إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا) شرطاً جوابه ما قبله¹.
 كأن تأويله: يا أيها الذين آمنوا إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي و ابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء.

الدايني (ت444هـ) في المكتفى: وقف حسن " قال نافع و يعقوب و القيتي (وَإِيَّاكُمْ) تام. و قال أبو حاتم: هو وقف بيان. و قال ابن الأنباري: هو حسن، و كذلك هو عندي، وليس بتام و لا كاف، لأن ما بعده متعلق به، والمعنى: يخرجون الرسول و يخرجونكم لأن لا تؤمنوا أي كراهة أن تؤمنوا².

• قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾³.

الوقف في الآية على (غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ممنوع، و يجب وصل (غَفُورٌ رَّحِيمٌ) بـ (لئَلَّا يَعْلَمَ) لوجود تعلق لفظي ومعنوي يوجب الوصل:

أما التعلق اللفظي: ف"لتعلق اللام بظاهر النظم"⁴. و تقديره: ذلك ليعلم أهل الكتاب. ف "لا في قوله (لئَلَّا) زائدة و المعنى لِيَعْلَمَ"⁵.

أما التعلق المعنوي: فلأن الله تعالى فصل في الآية حول رحمته بعباده، فيؤتيهم ضعفين من رحمته و يجعل لهم نوراً و يغفر لهم ذنوبهم، بيانا لأهل الكتاب حتى يعلموا ((أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ))، فسبب التفصيل هو الرد على أهل الكتاب. فالثانية (لئَلَّا يَعْلَمَ) تعليل لما قبلها. و أورد الأشموني في الوقف الممنوع في هذا الموضوع: (غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ليس بوقف لأن قوله (لئَلَّا يَعْلَمَ) متصل بـ (يُؤْتِيكُمْ) أي أعطاكم نصيبين من رحمته و غفر لكم لأن يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله، فعلى هذا لا يوقف على (يَغْفِرْ لَكُمْ) و لما كان في قوله تعالى (غَفُورٌ رَّحِيمٌ) تعلق بما بعده لفظاً و معنى كان الوقوف عليه قبيحاً ممنوعاً و حفاظاً على سلامة التركيب و تمام المعنى.

• قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمُنٌ عَلَيْنَا بَلِغْتُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾⁷.

¹. الأشموني، منار الهدى، ص: 400.

². الدايني، المكتفى في الوقف و الإبتداء، ص: 563.

³. الحديد/28-29.

⁴. السجاوندي، كتاب الوقف و الإبتداء، ص: 432.

⁵. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص: 331.

⁶. الأشموني، منار الهدى، ص: 395.

⁷. القلم/39.

يمنع الوقف في هذه الآية على قوله (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) و بهذا قال السجاوندي، و الأشموني، فقد أورد الأشموني أي "يوم القيامة ليس بوقف لأن (إِنَّ) جواب الإيمان" ¹. و فسر السجاوندي ذلك بأن "المعنى أم لَكُمْ أَيْمَانُ بأن لكم، و إنما كسرت (أَنَّ) لدخول اللام في خبرها" ². أي أم كان لكم علينا إيمان و أقسمنا لكم، فجواب قسمنا إِنَّ لكم ما تريدون و ما تحكمون و لو وقف في موضع الوقف الممنوع من الآية، لأوهم الوقف أن ما قبله (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانُ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) منفصل على ما بعده (إِنَّ لَكُمْ لِمَاتُحْكُمُونَ). و لأوهم أن الثانية جملة مستأنفة وتامة تفيد معنى أن المجرمين سينالون ما يحكمون به لأنفسهم. و هذا محال و خطأ، لأن الآية مرتبطة المعنى بآية سابقة لها ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ³.

3. وظيفة تفسيرية:

التفسير في اللغة "الإبانة و كشف المغطى" ⁴، و "إظهار المعنى المعقول" ⁵. و في الشرع هو "توضيح معنى الآية الآية و شأها و قصتها و السبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة" ⁶، و هو "يختص بمفردات الألفاظ الألفاظ وغريبها و فيما يختص بالتأويل، و لهذا يقال تفسير الرؤيا و تأويلها" ⁷.

و التفسير من العلوم القرآنية، أي المتعلقة بالنص القرآني، و يجمع اجتهاد المتقدمين و المتأخرين في دراسة مباني و معاني الآيات القرآنية، و قد تلاقت هذه الاجتهادات و تطورت و تنظمت لتشكّل علما قائما بذاته هو (علم التفسير)، و حدّه "علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، و بيان معانيه و استخراج أحكامه و حكمه" ⁸. و الواضح من تعريف أنه يحتاج إلى عدّة علوم تساعد المفسر في فكّ و تبسيط المفاهيم، و تعيينه في تجميع نواحي كلام الله بما يناسب طاقة البشر في الفهم، و عليه "يدخل في مفهوم التفسير كل نشاط علمي يتعلّق بالقرآن بقصد النظر في معانيه و الكشف عن مراد الله من كلامه" ⁹، و هو ما يجعل التفسير متعلّقا بعلوم أخرى على رأسها علوم اللغة من نحو و صرف و بلاغة، و ذلك ما جعل العلماء يضعون معرفة اللغة من أولويات الشروط الواجب توفّرها في المفسر الذي يحتاج في شرح الآيات و بيان المعاني إلى "استمداد ذلك من

¹ . الأشموني، منار الهدى، ص: 412.

² . السجاوندي، علل الوقوف، ص: 451.

³ . القلم/35، 36.

⁴ . الفيروزآبادي، قاموس المحيط، مادة: (ف س ر).

⁵ . الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (ف س ر).

⁶ . الجرجاني، معجم التعريفات، مادة التاء مع الفاء، ص: 57.

⁷ . الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (ف س ر).

⁸ . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج1، ص: 52.

⁹ . سامر عبد الرحمن شوافي، منهج التفسير الموضوعي للقرآن، دار الملتقى، سوريا، ط1، 2009، ص: 25.

على اللغة والنحو و التصريف و علم البيان و أصول الفقه، و يحتاج إلى معرفة أسباب النزول و النسخ والمنسوخ¹.

و بعد إدراك معنى التفسير و حاجته إلى علوم اللغة لتمامه و صدور أحكامه عن دراية و إلمام و جب الالتفات إلى أهمية معرفة الوقف في علم التفسير من مبدأ أن الوقف فصل في السلسلة الكلامية على أساس تمام المبنى والمعنى. فمن خلال تعريفات التفسير التي أوردها المتقدمون في مصنفاتهم لاحظنا ربطهم للتفسير بمعرفة الوقف والابتداء و تخصيصهم للوقف وظيفة مهمة في إفهام المعاني القرآنية، فمواضع الوقف تُبنى في الأساس على مراعاة المعاني و ما يقتضيه ترتيب الألفاظ و اكتمال المعنى، و عليه فلا يبدو غريبا أن نجد مواضع الوقف في القرآن تختلف عند بعض المفسرين مادام التفسير يعتمد الأصل الاجتهادي للمفسر، ف "اختلاف القراء في الوقف يكون تابعا لتفاوت جهودهم المنفقة في فهم معاني القرآن"².

و لبيان الوظيفة التفسيرية للوقف نورد الأمثلة الآتية من ربع يس:

1. قال تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾³.

اختلف القراء و النحويون في الوقف على (وَتُوَقِّرُوهُ) في الآية. فقال الداني (ت 444هـ) أنه "كافٍ، و هو للنبي ﷺ، و ما بعده لله تعالى، إذا التسيح لا يكون إلا لله عزّ و جل" ⁴، أي: تعزّروا و توقّروا النبي، و تسبّحوا الله. و وافقه السجاوندي (ت 600هـ) و جعله وقف مطلقا " للفصل بين ضمير اسم الله تعالى في (تُسَبِّحُوهُ)، و ضمير اسم الرسول في (تُوقِّرُوهُ)"⁵. و خالف النحاس أبا حاتم و أحمد بن موسى عندما عدّاه وقفا تامّا تبعا لتفسيرهما ذلك ب: و يوقّروا النبي، و يسبحوا الله بكرة و أصيلا. و حجته في ذلك أن " (تُسَبِّحُوهُ) معطوف على ما قبله، و قد حذفت منه النون للنصب، فكيف يتم الكلام على ما قبله و التمام (بُكْرَةً وَأَصِيلًا)" ⁶. و بهذا رأى رأى الأشموني و أضاف على ذلك " و الهاء في (تُسَبِّحُوهُ) تعود على الله تعالى و الهاء في يوقّروه تعود على النبي ﷺ. فالكلام واحد متّصل ببعضه ببعض و الكناية مختلفة كما ترى"⁷.

¹. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج 1، ص: 52.

². محمد الأوراعي، المستقبح في وقف الهبطي، مقال منشور في موقع lissanyat-nisbya.ma، ص: 05.

³. الفتح/ 09.

⁴. الداني، المكثف في الوقف و الابتداء، ص: 528.

⁵. السجاوندي، علل الوقوف، ص: 955.

⁶. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، القطع والإنتاف، تح عبد الرحمن المطرودي، عالم الكتب، السعودية، ط 1، 1992م، ص: 670.

⁷. الأشموني، منار الهدى في الوقف و الابتداء، ص: 373.

و من المحدثين من رأى بلزوم الوقف على (تَوْقَرُوهُ) "لئلا يوهم الوصل عطف الضمير في (وَتُسَبِّحُوهُ) الذي هو (الله) على الضمير في (وَوَقَرُوهُ) الذي هو للنبي ﷺ، فيؤدي إلى الدعوة إلى تسبيح النبي" ¹. و هو ما ذهب إليه الداني و السجاوندي كما أسلفنا. و خلاصة الآراء حول هذا الوقف نعرضها فيما يلي مع حججها:

✓ الوقف على (وَتَوْقَرُوهُ) و الابتداء ب (وَتُسَبِّحُوهُ) بحجة أنّ الهاء في (وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوقَرُوهُ) تعود على النبي ﷺ، و هاء (وَتُسَبِّحُوهُ) تعود إلى الله جل جلاله، و تكون واوها استثنائية . و التسبيح لا يكون إلا لله تعالى.

✓ عدم وجود الوقف إلاّ الوقف التام على (وَأَصِيلاً) لأنّ واو (وَتُسَبِّحُوهُ) واو عطف، و الدليل على ذلك أنّ (تُسَبِّحُوهُ) منصوب عطفاً على (وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوقَرُوهُ) ب (أنّ) المضمرة بعد لام التعليل (لَتُؤْمِنُوا)، و علامة النصب حذف النون، فالأصل: و تسبّحونه.

و لو أردت ترجيح رأيي ما، لقلنا إنّ المتمنّ سيلاحظ أنّ كلا القراءتين ينتج عنهما تفسير مقبول صحيح، لا يخالف المنطق و لا العقيدة، و بأيّهما قرأنا فذلك صواب. مع الإشارة إلى أنّ القراءة بالوصل، أي ((لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوقَرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)) دون وقف أقرب إلى الصحّة، لأسباب هي:

أ - السبب النحوي المتعلّق بنصب (وَتُسَبِّحُوهُ) ب (أنّ) المضمرة بعد لام التعليل في (لَتُؤْمِنُوا) فلا يجوز فصل الناصب عن منصوبه، و لو كانت الواو استثنائية لامتنع التأثير لكونها جملة فعلية مستقلة.

ب - السبب المعجمي المتعلّق بمعنى (تُعَزِّرُوهُ) و (تُوقَرُوهُ)؛ فبالعودة إلى المعاجم نجد أنّ معناهما هو:

لسان العرب. ابن منظور(ت711هـ)	القاموس المحيط. الفيروزآبادي(ت817هـ)	معجم مفردات القرآن. الأصفهاني(ت403هـ)
عززه : فخمه وعظمه و أعانه . والعزر : النصر بالسيف .	التعزير: التفخيم و التعظيم.	التعزير: النصرة مع التعظيم.
الوقار : الحلم والرزانة	التوقير: التبجيل.	الوقار: السكون و الحلم.

و المتمنّ في كل تلك المعاني المعجمية سيجد أنّها تتفق مع صفات الذات الإلهية المقدّسة، و ليست قصداً للبشر فقط، م هنا نقصد النبي ﷺ، و عليه جاز الوصل في الآية و عدم ردّ هاء (تُعَزِّرُوهُ) و (تُوقَرُوهُ) إلى النبي ﷺ بل إلى الله عزّ و جلّ، و تُعطف عليها (وَتُسَبِّحُوهُ) التي لا خلاف في أنّ الهاء فيها تعود إلى الله تعالى. وأشار الطبري فيما ذكر من الشواهد على الآية فقال: "... حدّثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في

¹. جمال القرش، الوقف اللازم في القرآن الكريم، الدمام، ط1، 1426هـ، ص: 180.

قوله تعالى: ((وَتَعَزَّوهُ وَتُوقِّرُوهُ)) قال: الطاعة لله" ¹. و لعلّ الإجماع أكبر ما يكون على الوصل في الآية و ليس الوقف، و لهذا لا نلاحظ في الملاحظ أي علامة وقف على الآية.

2. قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ ².

في الآية الكريمة يلعب الوقف وظيفة تفسيرية عميقة تحدد مذهب المفسر، فيوقف في الآية على (ابتدعوها) ويبدأ ب(ما كتبناها عليهم) و ذلك " للإعلام بأن الله تعالى جعل الرهبانية في قلوبهم، أي خلق، كما جعل الرأفة و الرحمة في قلوبهم، و إن كانوا قد ابتدعوها فإن الله تعالى خلقها؛ بدليل قوله سبحانه ((وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)) ³ و هذا مذهب أهل السنة" ⁴. فمن عقيدة أهل السنة أنّ الله يخلق الأفعال و العبد يكسبها. فالله خلق الرأفة و الرحمة و الرهبانية، و بذلك تكون واو (وَرَهْبَانِيَّةً) واو عطف و "رهبانية منصوبة لعامل محذوف تأويله: ابتدعوها" ⁵.

أما المعتزلة ⁶ فإنهم يقفون على (وَرَحْمَةً) و يتدئون (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا) طبقاً لمذهبهم؛ على أساس أنّ "الرهبانية لا يستقيم حملها على (وَجَعَلْنَا) مع وصفها بقوله (ابْتَدَعُوهَا) لأنّ ما يجعله الله لا يبتدعونه. فكذلك ينبغي الفصل بالوقف بين المذهبين" ⁷.

و بناءً على ما سبق، فإنّ الواو في (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا) واو استئنافية بعد تمام اللفظ و المعنى في ((وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً)).

و قد وقف المتقدمون على هذه الآية كما يلي:

أورد الداني (ت 444هـ) أنّ الوقف على " (وَ رَحْمَةً) كاف، و قيل تامّ. ثمّ ابتدئ (رَهْبَانِيَّةً)، أي و ابتدعوا رهبانية" ¹. وأضاف شرحاً "لم يكتبها الله عليهم، و لكن ابتدعوها ليتقربوا إلى الله" ².

¹. الطبري، مختصر تفسير الطبري، المصحف المفسر، سورة الفتح.

². الحديد/27.

³. الصفات/96.

⁴. الزركشي/ البرهان في علوم القرآن، مج 1، ص: 392.

⁵. زكرياء الأنصاري، إعراب القرآن العظيم، ص: 455.

⁶. المعتزلة: أما المعتزلة في الاصطلاح: اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منها عقلياً متطرفاً في بحث العقائد

الإسلامية، وهم أصحاب واصلين عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري.

⁷. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج 1، ص: 393.

و أورد السجاوندي (ت 600هـ) أنه وقف مطلق على (وَرَحْمَةً) "لأنَّ (رَهْبَانِيَّةً) لم ينصبها (وَجَعَلْنَا) بل التقدير: و ابتدعوا رهبانية، ابتدعوها على التكرار للتأكيد"³.

و أورد الأشموني في ذلك أن الوقف على "(رَهْبَانِيَّةً) تامّ و يتبدئ (ابتدَعُوها) أي: وابتدعوا رهبانية ابتدعوها. فهو من باب اشتغال الفعل بضميره. فالرهبانية لم تُكتب عليهم و إنما ابتدعوها ليتقربوا بها إلى الله تعالى. و من عطفها على ما قبلها وقف على (رِضْوَانِ اللَّهِ)... ف (رَهْبَانِيَّةً) منصوبة ب (ابتدَعُوها) لا ب (جَعَلْنَا)، و جعل (ابتدَعُوها) صفة: أي و جعلنا في قلوبهم رافة و رحمة و رهبانية مبتدعة"⁴.

و اختلاف الرأي في الوقف على هذه الآية شبيهه بالاختلاف في الوقف على (وَيُحْتَارُ) من قوله تعالى:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾⁵.

ف "الوقف هنا على الأصل الاختياري لأنه يراعي ارتباط موضع السكنة في الآية بفهم القارئ للمعنى المطلوب و ليس للمعنى المراد، إلا أن الوقف و الفهم كلاهما مرتبط باختيارات مذهبية"⁶؛ فأهل السنة يقفون على (وَيُحْتَارُ) لنفي اختيار الخلق لاختيار الحق، و المعتزلة يقفون على (مَا يَشَاءُ) و يستأنفون "بإسناد الفعل (وَيُحْتَارُ) ضمناً إلى الخلق المخير فيما خلق الله و شاءه".

3. قال تعالى: ﴿إِنْ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤١﴾﴾⁷.

أختلف في الوقف في هذه الآية، فرأى الزركشي (ت 794هـ) أنها تُقرأ ب "الوقف على قوله تعالى ((فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ)) والابتداء بقوله ((وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ)) أي معينون له ﷺ". فتكون بذلك جملة ((وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ)) جملة مستأنفة، و يكون المعنى أن الله وحده وليّ محمد ﷺ، و يكون جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة أعاوناً له بعد الله تعالى. و هو ما يوافق قوله تعالى:

¹ . الداني، المكتفى في الوقف و الابتداء، ص: 557.

² . السابق، ص: 558.

³ . السجاوندي، كتاب الوقف و الابتداء، ص: 432.

⁴ . الأشموني، منار الهدى في الوقف و الابتداء، ص: 395.

⁵ . القصص/ 68.

⁶ . محمد الأوراغي، المستقبح في وقف الشيخ الهبطي، ص: 05.

⁷ . التحريم/ 04.

((وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً))¹. و بذلك قال الأشموني، فأورد أنّ الوقف على (هُوَ مَوْلَاهُ) " تام عند نافع، لأنه انقضاء نعتهم و ما بعده مستأنف، يريد أنّ مولى النبي ﷺ هو الله تعالى كقوله: نعم المولى و نعم النصير. ثم قال تعالى: (وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) على الابتداء، و الخبر (ظهير)².

أما الداني (ت444هـ) فأقرّ الوقف الكافي على (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) و الوقف التام على (ظهير)³. و بذلك قال الأشموني، و قال الأنباري أنّه تام على (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ)⁴. و بهذا الرأي تقرأ الآية: ((عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ . وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ)). و يكون المعنى بذلك: الله وليّ محمد ﷺ و جبريل و المؤمنین الصالحين، و الملائكة عون له بعد ذلك.

و أجاز القرطبي عدّة قراءات في ذلك، فأورد: " (وَجِبْرِيلُ)...فيه لغات"⁵، و أجاز عدّة قراءات:

أ - أن يكون (وَجِبْرِيلُ) معطوفاً على مولاه. و المعنى: الله وليّه و جبريل وليّه. فلا يوقف على (مَوْلَاهُ) و يوقف على (وَجِبْرِيلُ) و يكون (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) مبتدأ و (وَالْمَلَائِكَةُ) معطوفاً عليه، و (ظهير) خبراً و هي بمعنى الجمع. فنقرأ:

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ . وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ.

ظَهِيرٌ	و	وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ	و	وَجِبْرِيلُ.	و	فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ
خبر	حرف عطف	مبتدأ	واو استئناف	معطوف	واو عطف	معطوف عليه

ب - و يجوز أنّ يكون (جِبْرِيلُ) مبتدأ و ما بعده معطوف عليه، و الخبر (ظهير)، فيوقف على (مَوْلَاهُ). و (ظهير) بمعنى الجمع كذلك.

فنقرأ: فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ. وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ.

ظَهِيرٌ	و	وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ	و	وَجِبْرِيلُ	و	وَأَسْمَاءُ
خبر	واو عطف	اسم معطوف	حرف عطف	مبتدأ	حرف عطف	واو استئنافية

¹ . الأحزاب/ 03.

² . الأشموني، منار الهدى في الوقف و الابتداء، ص: 407.

³ . الداني، المكتفي في الوقف و الابتداء، ص: 576.

⁴ . ينظر، الأشموني، منار الهدى، ص: 407، و ابن الأنباري، إيضاح الوقف و الابتداء، ج2، ص: 941.

⁵ . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج18، ص: 192.

ج- و يجوز أن يكون (وَجَبْرِيْلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ) معطوفا على (مَوْلَاهُ) فيوقف على (الْمُؤْمِنِيْنَ) و يكون (وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) مبتدأ و خبرا . و معنى (ظَهِيرٌ) أعوان، و هو بمعنى ظهراء، فنقرأ:
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَبْرِيْلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ. وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ.

وَ	جَبْرِيْلُ	وَ	صَالِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ	وَ	الْمَلَائِكَةُ	ظَهِيرٌ
واو عطف	اسم معطوف	حرف عطف	اسم معطوف	واو استئنافية	مبتدأ	خبر

و الخلاصة من آراء العلماء المتقدمين أنّ الوقف في الآية على ثلاثة أوجه:

- الأول: أن يوقف على (مَوْلَاهُ)، و يُستأنف بـ (وَجَبْرِيْلُ).

- الثاني: أن يوقف على (وَجَبْرِيْلُ)، و يستأنف بـ (صَالِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ).

- الثالث: أن يوقف على (صَالِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ)، و يستأنف بـ (وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ).

و بذلك تكون "(صَالِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ) جملة تعانق، فإمّا أن تدخل (صَالِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ) في الولاية مع ما قبلها، و إمّا أن تدخل في الظهارة مع ما بعدها و هم الملائكة"¹، فتكون في الأولى معطوفة على (مَوْلَاهُ) و (جَبْرِيْلُ)، و تكون في الثانية مستأنفة و الخبر (ظَهِيرٌ).

و يظهر أنّ القول الراجح في كلّ ما سبق هو الوقف على (صَالِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ) و الابتداء بـ (وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) فتكون الواو ابتدائية و (الْمَلَائِكَةُ) مبتدأ و (ظَهِيرٌ) خبراً. و ذلك استناداً إلى ما اختاره القراء. بالإضافة إلى أنّ أكثر المصاحف أشارت بذلك، و رمزت له بـ (ص ل م) الذي يعنى جواز الوقف².

4. الوقف و القراءات:

القراءة اصطلاح متعلق بالقرآن، و حدّه عند الزركشي(ت 794هـ) "اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كفيّتها، من تخفيف و تثقيل و غيرها"³.

و العلم الذي يبحث في هذه الصور النطقية يسمّى (علم القراءات)؛ و هو "علم يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، و طريق أدائها اتّفاقاً و اختلافاً مع عزو كلّ وجه لناقله"⁴ ، و يُستمدّ من النقول الصحيحة

¹ جمال القرش، مسك الختام في معرفة الوقف و الابتداء، موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية Vb.Tafsir.net

² ينظر: المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم الكوفي.

³ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 358.

⁴ عبد الفتاح القاضي، البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ص: 05.

المتواترة التي اتفق عليها الحاملون لكتب الله وصولاً إلى الرسول ﷺ، و لهذا يعرّفه الديمياطي (ت1117هـ) بأنه " علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله لكتاب الله تعالى و اختلافهم في الحذف و الإثبات و التحريك و التسكين، و الفصل و الوصل، و غير ذلك من هيئة النطق و الإبدال و غيره من حيث السماع"¹.

الواضح من تعريفات علم القراءات أنه علم ذو فوائد عظيمة تعصم من الوقوع في الخطأ عند قراءة كتاب الله، بما يصون ألفاظه من التحريف، و يحفظ معانيه من التغيير. و أشهر القراءات المأخوذة بها عن القراء المشهورين سبعة، و قيل عشرة. و اختلف الباحثون في الأخذ بها، و عن القراء الشواذ. و المقام لا يتسع لعرض كل ذلك، إلا أنّ الحاصل " أنّ السبع متواترة اتفاقاً، و كذا الثلاثة أبو جعفر، و جعف، و خلف على الأصحّ بل

الصحيح المختار و الذي تلقيناه عن عامة شيوخنا"². و لكلّ إمام من العشرة رواية و طرق، نجمعهم باختصار

في الجدول الآتي:

الرقم	القراء	الرواة	الطرق
1	نافع المدني	قالون	الحلواني
		ورش	الأصبهاني
2	ابن كثير المكي	البيزي	الحباب
		قنبل	ابن شنبوذ
3	أبو عمرو بن العلاء	الدوري	ابن فرح
		السوسي	ابن جمهور
4	بن عامر	هشام	الدجواني
		ابن ذكوان	الصورى
5	عاصم الكوفي	شعبة	أبو زكرياء يحيى بن آدم
		حفص	عمرو بن الصباح
6	حمزة الكوي	خلف	أحمد بن عثمان
		خلاد	ابن صالح
7	الكسائي الكوفي	أبو الحارث	محمد بن يحيى
		حفص الدوري	جعفر النصيبي

¹. الديمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد عبد الغني، إتخاف فضلاء البشر، تح أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ص: 05.

². السابق، ص: 09.

8	أبو جعفر	ابن وردان	الفضل بن شاذان	هبة الله بن جعفر
		ابن جَمَّاز	أبو أيوب الهاشمي	الدوري
9	يعقوب	رويس	النخاس	ابن مقسم
		روح	ابن وهب	الزبيري
10	خلف	إسحاق	السوسنجردى	بكر بن شاذان
		إدريس	الشطبي	ابن بويان
				المطوعي
				القطيعي

و قد حظيت القراءات باهتمام المسلمين، و انبرى عدد كبير من العلماء لخدمة هذا العلم، فوضعوا فيه مصنفات و جمعوا الأقوال و الروايات، و دققوا في تفاصيله و قننوا معطياته. و ما كان ذلك منهم إلا لما رأوا فيه من عظيم الفائدة و جليل القدر. و قد ساهمت القراءات في تيسير القرآن الكريم فهما و نطقا و حفظا. ففي اختلاف القراءات فائدة عظيمة جمعها ابن الجزري في قوله: "و منها ما في ذلك من نهاية البلاغة، و كمال الإعجاز و غاية الاختصار، و جمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة آية، إذا كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات و لو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل، و منها ما في ذلك من عظيم البرهان و واضح الدلالة، إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف و تنوعه لم يتطرق إليه تضاد و لا تناقض و لا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضا... و منها سهولة حفظه و تيسير نقله على هذه الأمة، إذ هو على هذه الصفة من البلاغة و الوجازة، فإنه يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه و أقرب إلى فهمه و أدعى لقبوله من حفظه جملا من الكلام تؤدى معا في تلك القراءات المختلفة" ¹. و إضافة على هذا الفضل العظيم للقراءات، فقد احتوت ظاهرة التنوع في القراءات فوائد و مقاصد أخرى، كتعدد المعاني بتعدد القراءات، و اتساعها من غير تعارض، وذلك من منطلق أن اختلاف القراءات هو اختلاف لغوي من المستويات الصوتية و الصرفية و النحوية والمعجمية للغة. و هذا ما يفسر ارتباط و تأثير القراءات في العلوم الأخرى كالتفسير و الفقه و البلاغة و النحو. و لاختلاف القراءات القرآنية كبير الأثر على الوقف باعتباره ظاهرة صوتية أدائية ذات صلة عميقة بالتركيب و الدلالة. و لبيان أثر هذه الاختلافات على الوقف نورد جملة من الأمثلة من ربع يس:

• قال تعالى: ﴿يَسُّۙ وَالْقُرْءَانَ الْحَكِيمِۙ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَۙ﴾ ^١ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ^٢ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ ^٣ الرَّحِيمِ ^٤ ^٥ ^٦ ^٧ ^٨ ^٩ ^{١٠} ^{١١} ^{١٢} ^{١٣} ^{١٤} ^{١٥} ^{١٦} ^{١٧} ^{١٨} ^{١٩} ^{٢٠} ^{٢١} ^{٢٢} ^{٢٣} ^{٢٤} ^{٢٥} ^{٢٦} ^{٢٧} ^{٢٨} ^{٢٩} ^{٣٠} ^{٣١} ^{٣٢} ^{٣٣} ^{٣٤} ^{٣٥} ^{٣٦} ^{٣٧} ^{٣٨} ^{٣٩} ^{٤٠} ^{٤١} ^{٤٢} ^{٤٣} ^{٤٤} ^{٤٥} ^{٤٦} ^{٤٧} ^{٤٨} ^{٤٩} ^{٥٠} ^{٥١} ^{٥٢} ^{٥٣} ^{٥٤} ^{٥٥} ^{٥٦} ^{٥٧} ^{٥٨} ^{٥٩} ^{٦٠} ^{٦١} ^{٦٢} ^{٦٣} ^{٦٤} ^{٦٥} ^{٦٦} ^{٦٧} ^{٦٨} ^{٦٩} ^{٧٠} ^{٧١} ^{٧٢} ^{٧٣} ^{٧٤} ^{٧٥} ^{٧٦} ^{٧٧} ^{٧٨} ^{٧٩} ^{٨٠} ^{٨١} ^{٨٢} ^{٨٣} ^{٨٤} ^{٨٥} ^{٨٦} ^{٨٧} ^{٨٨} ^{٨٩} ^{٩٠} ^{٩١} ^{٩٢} ^{٩٣} ^{٩٤} ^{٩٥} ^{٩٦} ^{٩٧} ^{٩٨} ^{٩٩} ^{١٠٠}

¹. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص: 52-53.

². يس/01، 05.

قُرئت (تَنْزِيلٌ) بالرفع و النصب؛ إذ قرأ "حفص و ابن عامر و حمزة و الكسائي (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ) بنصب اللام والباقون برفعها". و أضاف ابن الجزري خلف إلى من نصب.

و القارئون بالرفع هم: نافع، و ابن كثير المكي، و أبو عمرو، و أبو جعفر و يعقوب.

و أورد صاحب الحجة في القراءات أنّ: "الحجة لمن رفع : أنه جعله خبرا ابتداء محذوف. معناه: هذا تنزيل

العزیز. و الحجة لمن نصب: أنه أراد المصدر كما قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾¹2.

و زاد عليه الطبري في تفسيره، فقال: " و الرفع في ذلك يتّجه من وجهين، أحدهما بأن يُجعل خبرا، فيكون

معنى الكلام: إنه تنزيل العزيز الرحيم. و الآخر بالابتداء، فيكون معنى الكلام حينئذ: إنك لمن المرسلين، هذا

تنزيل العزيز الرحيم . و قرأ عامة قراء الكوفة و بعض أهل الشام (تَنْزِيلِ) نصبا على المصدر من قوله (إِنَّكَ لَمِنَ

الْمُرْسَلِينَ) لأنّ الإرسال إنما هو عن التنزيل، فكأنّه قيل: لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقاً"³.

و قيل منصوب "على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف من لفظه، تقديره: نزلته تنزيل العزيز الرحيم"⁴. أو

منصوب " بفعل محذوف تقديره أعني أو أمدح"⁵.

و خلاصة الرأيين في قراءة (تنزيل) هو:

أ - يُرفع (تَنْزِيلٌ) بعدّه خبرا لمبتدأ محذوف، و قد يتعلّق بما قبله في المعنى دون اللفظ في بتقدير: إنّه تنزيل

العزیز الرحيم. أو غير متعلّق بما قبله في اللفظ و المعنى بتقدير: هذا تنزيل العزيز الرحيم.

ب - ينصب (تَنْزِيلٌ) بعدّه مفعولا مطلقا لفعل محذوف تقديره: نزلته، و دلّ عليه الكلام المتقدّم أوّل السورة.

و عليه باختلاف الحركة الإعرابية في القراءات القرآنية على (تَنْزِيلِ) بالرفع أو بالنصب يفضي إلى تغيير أنواع

الوقف على ما يسبقها (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)؛ فيكون في حالتي الرفع إمّا كافٍ إذا تعلّق المبتدأ المحذوف بما قبله،

و إمّا تامّا إذا لم يتعلّق المبتدأ المحذوف بالكلام الذي يسبقه. و يكون الوقف حسنا في حالة النصب لأنّ الفعل

المقدّر الذي ينصب (تنزيل) دلّ عليه الكلام السابق له. و بيان كل ذلك نلخصه في الجدول الآتي:

1. النمل/88.

2. ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص: 298.

3. الطبري، جامع البيان لتأويل آي القرآن، تفسير سورة يس، موقع المصحف الإلكتروني: www.e-quran.com

4. عبد الرحمن الجمل، أثر اختلاف القراءات في الوقف و الابتداء، مقال، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، فلسطين، ع1، 2004، ص: 19.

5. محي الدين درويش، إعراب القرآن و بيانه، دار الإرشاد، حمص، ط3، 1993، مج8، ص: 174.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾﴾ ¹ .		
القراءة	بالنصب: تَنْزِيلُ	بالرفع: تَنْزِيلُ
القراء	حفص عن عاصم، و ابن عامر، و حمزة، و الكسائي، و خلف. نافع، و ابن كثير المكي، و أبو عمرو، و أبو جعفر، و يعقوب.	حفص عن عاصم، و ابن عامر، و حمزة، و الكسائي، و خلف.
الحجة الإعرابية.	(تَنْزِيلُ) خبر لمبتدأ محذوف متعلق بما قبله. و التقدير: هذا تنزيل العزيز الحكيم.	(تَنْزِيلُ) مفعول مطلق لفعل محذوف من لفظه، و تقديره: نزله. أو مفعول به منصوب لفعل محذوف، تقديره: أعني.
نوع الوقف على ما قبلها (عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)	كافٍ. يحسن الوقف على (مُسْتَقِيمٍ) و يحسن الابتداء بـ (تَنْزِيلٍ).	تام. يحسن الوقف على (مُسْتَقِيمٍ) و يحسن الابتداء بـ (تَنْزِيلٍ).
حجة الوقف.	انقطاع اللفظ مع تعلق المعنى.	تعلق اللفظ و المعنى.

• قال تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٦﴾﴾².

فُرئت الكلمات الثلاث (اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ) بالرفع و النصب، إذ: "قرأ يعقوب و حمزة و الكسائي و خلف و حفص بالنصب في الأسماء الثلاثة و قرأ الباقر برفعها"³. و للقراء في الحالتين حججهم، ف "الحجة لمن نصب أنه جعله بدلا من قوله (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ)... أو أضمر (أعني) فإن العرب تنصب بإضماره مدحا وتعظيما. و الحجة لمن رفع: أنه أضمر اسما ابتداء به و جعل اسم الله تعالى خبرا له... أو يبتدئ باسم الله عز وجل مستأنفا له"⁴، فيكون (الله) مبتدأ و (ربكم) خبرا، و (رَبِّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) معطوفا على ما قبله. و خلاصة القراءتين و حجتهما النحوية هي:

أ - تُقرأ الأسماء الثلاثة بالنصب (اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبِّ آبَائِكُمُ) إمّا لكونها بدلا، أو منصوبة على المدح.

¹ . يس/03، 05.

² . الصفات/125، 126.

³ . ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص: 360.

⁴ . ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص: 301.

بأ - تُقرأ الأسماء الثلاثة بالرفع (اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ) بعدَّ الأول مبتدأً و الثاني خبراً و الثالث معطوفاً. و ينتج عن اختلاف هذه القراءات التي تضمّنت اختلافاً في الحركات الإعرابية للأسماء الثلاثة (اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ) بين رفع و نصب اختلافٌ في الوقف على ما قبلها (أَحْسَنَ الخَالِقِينَ)، حيث يكون الوقف كافياً حال الرفع لانقطاع اللفظ و تعلّق المعنى، و يكون حسناً حال النصب كبديلٍ، و كافياً حال النصب على المدح. و خلاصة تعيّر الوقف بتغيّر القراءات في هذه الآية نلخصه في الجدول الآتي:

قال تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٦﴾﴾			
القراءة	بنصب الأسماء الثلاثة: اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ.	برفع الأسماء الثلاثة: اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ	
القراء	حفص عن عاصم، و حمزة، و الكسائي، و خلف، و يعقوب.	ابن عامر، و نافع، و ابن كثير، أبو عمرو، و أبو جعفر.	
الحجة الإعرابية	النصب على المدح لفعل محذوف تقديره: أعني أو أقصد.	إضمار اسم نبتدئ به و (الله) خبر. أو نستأنف الكلام ب (الله) مبتدأ و ربكم (ربكم) خبراً له. و الواو حرف عطف و (وَرَبُّ آبَائِكُمْ) تُرفع بعطفها على الأولى. سبقتها.	
الوقف على ما قبلها (أَحْسَنَ الخَالِقِينَ).	كافٍ. يحسن الوقف على (أَحْسَنَ الخَالِقِينَ) و يحسن الوقف على (اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ).	حسن. يحسن الوقف على (أَحْسَنَ الخَالِقِينَ) و لا يحسن الابتداء ب (اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ).	
حجة الوقف.	جملة مدح منقطعة لفظاً و متعلّقة معنا.	جملة مستأنفة منقطعة عما قبلها في اللفظ و المعنى.	بدل من (أَحْسَنَ الخَالِقِينَ) التي تسبقه فهو متعلّق معنا و لفظاً.

و شبيهه بمثالثنا هذا حال الوقف في مثال آخر هو قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^٦ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنتُمْ مَوْقِنِينَ^٧ ﴿٧﴾^١. فُقرئت (رَبِّ) خفضا عند عدّها بدلا من (رَبِّكَ)، وكان الوقف حسنا، و فُقرئت رفعا بعدّها خبرا لمبتدأ محذوف و كان الوقف تاما.

• قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَنَّى لَطْفَىٰ ۗ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾^{١٦} ﴿١٦﴾^٢.

فُقرئت (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ) بوجهين: الرفع و النصب. فقرأ "حفص" (نَزَّاعَةً) بالنصب و قرأ الباقي بالرفع". و حجة حفص في النصب "أته نصب على الحال"، و حجة القرء الذين رفعوا (نَزَّاعَةً) أنهم جعلوها "بدلا من (لَطْفَىٰ) أو أضمر لها ما يرفعها به"، و هو المبتدأ و التقدير في ذلك: هي نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى.

و خلاصة القراءتين و حجتهم النحوية هي:

أ - تُقرأ (نَزَّاعَةً) بالرفع إما لكونها بدلا من لطفى، أو لأنها خبر لمبتدأ محذوف.

ب - تُقرأ (نَزَّاعَةً) بالنصب كونها حال.

ذكر الزمخشري تفصيلا للاختلاف في قراءة (نَزَّاعَةً) فأورد: " و (نَزَّاعَةً) خبر بعد خبر لأن أو خبر للطفى إن كانت الهاء ضمير القصة أو صفة له إن أردت اللهب و التأنيث لأنه في معنى النار أو رفع التهويل: أي هي نَزَّاعَةٌ. و قرئ نَزَّاعَةً بالنصب على الحال المؤكدة، أو على أنّها متلظية نَزَّاعَةً، أو على الاختصاص للتهويل"³.

و ينتج عن اختلاف الحركة الإعرابية في هذه القراءات اختلاف نوع الوقف على (لَطْفَىٰ)، فيكون الوقف حسنا في حالة الرفع بدلا لتحقق التعلق اللفظي و المعنوي. و في حالة الرفع خبرا لمبتدأ محذوف يكون الوقف كاف لانقطاع اللفظ و تعلق المعنى. أما في القراءة بالنصب فيكون الوقف حسن لوجود التعلق اللفظي و المعنوي.

و نجمع الرأيين و حجتهم في الجدول الآتي:

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَنَّى لَطْفَىٰ ۗ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ ^{١٦} ﴿١٦﴾		
القراءة	بالنصب: نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ	بالرفع: نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ
القرءاء	حفص عن عاصم.	ابن عامر، و نافع، و ابن كثير، أبو عمرو، و أبو جعفر، و حمزة، و الكسائي، و خلف، و يعقوب.

¹ الدخان/ 06، 07.

² المعارج/ 15، 16.

³ جار الله الزمخشري، الكشاف، دار الفكر، لبنان، ج4، ص: 158.

الحجة الإعرابية	النصب على الحال (حال لظي)	الرفع لأنها بدل من لظي المرفوعة (خبر إن).	خير لمبتدأ مضمّر تقديره: هي نَزَاعَة.
الوقف على ما قبلها (إِنَّهَا لَظِي). و لا يحسن الابتداء بـ (نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى).	حسن. يحسن الوقف على (إِنَّهَا لَظِي) و لا يحسن الابتداء بـ (نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى).	حسن. يحسن الوقف على (إِنَّهَا لَظِي) و لا يحسن الابتداء بـ (نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى).	كافٍ. يحسن الوقف على (إِنَّهَا لَظِي) و يحسن الابتداء بـ (نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى).
حجة الوقف. حال لظي. تعلّق لفظي و معنوي.	بدل لظي. تعلّق لفظي و معنوي.	بدل لظي. تعلّق لفظي و معنوي.	جملة استثنائية منقطعة اللفظ ولكنها متعلقة المعنى. فالمبتدأ المضمّر تقديره (هي) المتعلقة بـ (لظي).

و في ربيع يس أمثلة أخرى ساهمت القراءات المختلفة في تحديد أنواع و مواضع مختلفة للوقف، و نذكر منها
الأمثلة الآتية دون شرح:

✓ قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾¹

فُرئت (إنَّه) بفتح الهمزة و كسرهما²، فالوقف حين الفتح حسن، و حين الكسر تام.

✓ قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾³ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا

فُرئت همزة (أنا) بالفتح و الكسر. فيوقف على (طَعَامِهِ) وقفا تامًا حين القراءة بالكسر (إنَّا) لانقطاع اللفظ
و المعنى، و لا يوقف على (طَعَامِهِ) و لا يُبتدأ بـ (أنا) حين القراءة بالفتح لعدم تمام الكلام قبلها لأنها إمّا بدل
اشتمال، أو علة على معنى: لأنّا صببنا.

و تجدر الإشارة إلى أنّ اختلاف الوقف في أنواعه و مواضعه باختلاف القراءات جزء مهمّ في علم التفسير
و علم القراءات، و هو مهمّ في نفس الوقت في علم اللغة، حيث يبرز التعالق الكبير الحاصل بين النحو و المعنى،
و يوقفنا عند أهمية الوقف و الابتداء في بيان التعلّق اللفظي و المعنوي للكلام الموقوف عليه. كما يدلّ تأثير
القراءات في الوقف و المعنى على مرونة اللغة و تعدّد أوجه القراءة للنص الواحد دون تعارض في المعنى، و يعدّ هذا
من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم.

¹. الطور/28.

². ينظر: الداني، التيسير في القراءات السبع، ص: 203، و ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص: 378.

³. عبس/ 24، 25.

5. وظيفة تحديد الفواصل:

تحديد الفواصل من الوظائف الأساسية للوقف، و مردّ ذلك أن " مبنى الفواصل على الوقف ". و في ذلك فوائد متعدّدة و مزايا كثيرة. لعلّ أهمّها بيان مواضع الفواصل لتسهيل عدّها و حفظها و بيان معانيها. و الوقف على الفواصل إضافة إلى بيانها، يحقّق مزايا لغوية متعدّدة، كبيان التناسب الصوتي الحاصل فيها، و كشف البناء الإيقاعي و بيان عناصره و مزاياه. و تقطيع السلسلة الكلامية إلى وحدات سهلة النطق، و واضحة المعنى، و التركيز على نهايات الآيات و تلمّس وظائفها الدلالية... و غيرها من الفوائد التي سنفرّد لها فصلاً مستقلاً موسوماً بـ (الوقف على الفواصل) نبيّن من خلاله أهمية الوقف على الفواصل في المبنى و المعنى، و الأوجه المشروعة للوقف. و أفراد فصل كامل للموضوع هو أمر فرضته هذه الدراسة التي تناولت الفاصلة و الوقف في الفصلين الأوّل و الثاني.

المبحث الثالث: الوقف على كلاً و بلى و نعم.

I. الوقف على كلاً:

أ - معنى (كلاً) و حكم الوقف عليها:

اختلف العلماء في حكم الوقف على (كلاً)، و ما ذلك إلا ترجمة لاختلافهم في فهم معناها. و (كلاً) أداة نحوية " مركّبة عند ثعلب من كاف التشبيه و لا النافية، شُدّدت لامها لتقوية المعنى و دفع توهم بقاء معنى

كلمتين¹ . و هي " عند سيبويه و الخليل و المبرد و الزجاج و أكثر البصريين حرفٌ معناه الردع و الزجر، لا معنى لها عندهم إلا ذلك"²، و لهذا يميزون الوقف عليها دائما و الابتداء بما بعدها.

و لعلّ من أسباب اهتمام العلماء بها هو أثرها الدلالي الكبير و عدم اتّفاقهم حول معنى واحد لها. يُضاف إلى كلّ ذلك تكرّرها في القرآن ثلاثا و ثلاثين مرّة، و لنا أن نجمع آراء العلماء حول معنى (كَلًّا) في الجدول الآتي:

العالم	معنى (كَلًّا) عنده
سيبويه (ت180هـ)	حرف معناه الردع و الزجر ³ .
أحمد بن يحيى ثعلب (ت291هـ)	أصلها (لا) التي للنفي و دخلت عليها كاف التشبيه، فهي ردّ و ردع لما قبلها ⁴ .
الراغب الأصفهاني(ت403هـ)	ردع و زجر و إبطال لقول القائل، و ذلك نقيض (إي) في الإثبات ⁵ .
مكي بن أبي طالب (ت437هـ).	تجري (كَلًّا) على ثلاثة معانٍ ⁶ : 1. تكون بمعنى (لا) نفيا لما قبلها. 2. تكون بمعنى (حقًا) لتأكيد ما بعدها. 3. تكون بمعنى (ألا) للاستفتاح فقط.
الزركشي(ت794هـ)	قد تكون نقيض (إي) في الإثبات. و قد تكون بمعنى (حقًا) صلة للمعنى ⁷ .
الفيروزآبادي(ت817هـ)	صلة لما بعدها، و ردعا و زجرا و تحقيقا، و كَلَّاك و الله أي: كَلَّا و الله ⁸ .

و الخلاصة من التعريفات السابقة أنّ (كَلًّا) من حروف المعاني، و هي تربط بين جملتين تامّتي، تنفي الأولى بالثانية أو تثبتها بها، فتكون بذلك جوابا عن الأولى بالكلام الذي يلحقها. و يختلف معناها باختلاف سياق الكلام.

¹ . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 481.

² . ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، تح محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 1991، ج1، ص: 215.

³ . سيبويه، الكتاب، ج2، ص: 312.

⁴ . مكي بن أبي طالب، الوقف على كَلَّا و بلى و نعم، تح حسين نصّار، الثقافة الدينية، ط1، 2003، ص: 51.

⁵ . الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (ك ل ا).

⁶ . السابق، ص: 52.

⁷ . السابق، ص: 317.

⁸ . الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة: (ك ل ا).

و قد أُخْتَلِفَ في الوقف على (كَلًّا)، و أشهر ما قيل في ذلك نلخصه فيما يأتي:

- الوقف عليها في كلّ موضع، تغليبا لمعنى الزجر و الردع عليها.
- الوقف دونها و الابتداء بها، إذا كانت بمعنى التحقيق، افتتاحا للكلام على معنى الزجر.
- لا يوقف عليها و لا يُبتدأ بها، لأنّها جواب و الفائدة فيما بعدها.
- التفصيل في معناها، فيوقف عليها إنكارا و ردّا لما قبلها. و يوقف قبلها و يُبتدأ بها إذا كان ما قبلها لا يردّ و لا يُنكر، و توصل بما قبلها و ما بعدها إذا لم يتمّ الكلام. و قال مكّي أنّ " هذا المذهب أليق بمذاهب القرّاء"¹، و رأى الزركشي (ت794هـ) أنّ هذا "أولى"².
- و الظاهر أنّ القول الأوّل القاضي بالوقف عليها دائما قولٌ فاسدٌ مخالفٌ لما جاء به العلماء لما فيها من فصل للمتعلّقين في بعض الحالات كالوقف عليها في قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ﴾³. و كذلك القول بالوقف دونها و الابتداء بها دائما قول مرفوض لتعلّقها بما قبلها في بعض الحالات، كوقوعها مقولا للقول في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾⁴. و الأقرب للباحث أن يقبل على التفصيل في معناها، و لا يطلق عليها حكما عامّا عامّا لجميع مواضع ورودها، حيث يُنظر إلى تعلّقها في كلّ حالة بما قبلها و ما بعدها.

ب - مواضع (كَلًّا) في القرآن الكريم:

أورد مكّي بن أبي طالب: "فجميع (كَلًّا) في القرآن ثلاثة و ثلاثون موضعا، في خمسة عشر سورة، ليس في النصف الأوّل من ذلك شيء"⁵. و سبب ورودها جميعا في النصف الثاني في القرآن يرجعه الزركشي (ت794هـ) إلى أنّه "نزل أكثره بمكّة، و أكثرها جابرة، فتكرّرت هذه الكلمة على وجه التهديد و التعنيف لهم، و الإنكار عليهم، بخلاف النص الأوّل و ما نزل منه في اليهود لم يُحتجّ فيه إلى إيرادها فيه لذّمهم و ضعفهم"⁶، و ذلك مقبول، فبتتبّع مواضع (كَلًّا) في القرآن نلاحظ أنّ ورودها اقتصر على السور المكيّة. و فيما يلي ذكر لمواضع كَلًّا في القرآن:

الرقم	السورة	عدد	الآية
-------	--------	-----	-------

¹ . مكّي بن أبي طالب، الوقف على كَلَّا و بلى و نعم، ص: 50.

² . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص: 317.

³ . المدثر/ 32.

⁴ . الشعراء/ 62.

⁵ . مكّي بن أبي طالب، الوقف على كَلَّا و بلى و نعم، ص: 53.

⁶ . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 411.

المواضع			
موضعان	مرثم	1	﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَوْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ .
			﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ .
موضع	المؤمنون	2	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٩٣﴾ .
موضعان	الشعراء	3	﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ .
			﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٦﴾ .
موضع	سبأ	4	﴿ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧﴾ .
موضعان	المعارج	5	﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَىٰ ﴿١٥﴾ .
			﴿ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْمُونَ ﴿١٦﴾ .
			﴿ تَرِيظْمَعُ أَنْ أَرِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿١٦﴾ .
			﴿ كَلَّا وَالْقَمَرَ ﴿٢٢﴾ .
			﴿ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ .
			﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٤﴾ .
ثلاثة	القيامة	7	﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ .
مواضع			﴿ كَلَّا بَلْ نَحْبُونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١٠﴾ .
			﴿ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٥٥﴾ .
ثلاثة	المطففين	8	﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينِ ﴿٧﴾ .
مواضع			﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ .
			﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيِّينَ ﴿١٨﴾ .
موضعان	الفجر	9	﴿ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ .
			﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿١١﴾ .
ثلاثة	العلق	10	﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ .

﴿ كَلَّا لَئِن لُّرِيتَهُ لَنَنسِفَعَا بِالتَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ﴾	مواضع		
﴿ كَلَّا لَا تَطْعَهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٦﴾ ﴾			
﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾	موضعان	عبس	11
﴿ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ﴿١٨﴾ ﴾			
﴿ كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالذِّينِ ﴿١٩﴾ ﴾	موضع	الانفطار	12
﴿ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٢٠﴾ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾	موضعان	النبا	13
﴿ كَلَّا لَإِن بُدِّدَتْ فِي الحُطْمَةِ ﴿٢٢﴾ ﴾	موضع	الهمزة	14
﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	ثلاثة	التكاثر	15
﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾	مواضع		
﴿ كَلَّا لَوْ تَعْمُونَ عَمَّوَالِيَقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾			

و بذلك يكون ربيع يس قد ضمّ العدد الأكبر من مواضع (كَلَّا) في سوره، بمجموع: 27 مواضع، و بنسبة:

81.81 % من مجمل ورودها في القرآن.

تا - أقسام (كَلَّا):

قسّم العلماء المتقدمون (كَلَّا) إلى أربعة أقسام بالنظر إلى نوع الوقف عليها ارتباطا بمعناها، و نورد فيما يأتي

هذه الأقسام موضحة بأمثلة من ربيع يس:

القسم الأول من (كَلَّا):

يضم هذا القسم (كلاً) التي يحسن الوقف عليها بمعنى الردع و الإنكار، و الابتداء بها بمعنى (حقًا) أو (ألا) ¹. و هي في القرآن الكريم أحد عشرة موضعا (11). منها سبعة مواضع (7) في ربع يس، هذا بياها:

1. قال تعالى: ﴿يَبْصُرُونَ نُهُودَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۖ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ۗ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّدُهَا ۚ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُبْجِيهِ ۗ كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْظَىٰ ۗ نَزَاعَةَ لِلسَّوْىِ ۗ﴾ ².

قال مكِّي: "الوقف على (كلاً) حسن مختار، على معنى لا ينجيه أحد ممن في الأرض و لو افتدى به، و قيل: المعنى انتبهوا و ازدجروا إنَّ الذين يعدّون به لظى" ³. و أورد الداني (ت444هـ) أنه وقف تام. و انه كذلك عند أحمد بن موسى و الأخفش سعيد و أبي حاتم على معنى: لا ينجيه ⁴. و أثبت السجاوندي عليها الوقف المطلق ⁵. و قال الزمخشري في شرح كلاً في الآية: " (كلاً) ردع للمجرم عن الودادة و تنبيه على أنه لا ينفعه الابتداء و لا ينجيه من العذاب" ⁶.

و يصحّ الابتداء بها " على معنى (ألا) (إِنَّهَا لَأَنْظَىٰ) " ⁷.

و لا يصحّ الابتداء بها على معنى (حقًا) لأنه يلزم فتح الهمزة في (إِنَّهَا)، إذ يجب عند النحويين فته همزة (أَنَّ) إذا تلت حقًا، و لا يُبتدأ بـ (كلاً) في هكذا موضع ⁸.

و خلاصة الوقف على (كلاً) في هذه الآية:

✓ يوقف عليها بمعنى الزجر: انتبهوا و ازدجروا إِنَّهَا لَأَنْظَىٰ، و بمعنى النفي: لا ينجيه أحد.

✓ يُبتدأ بها على معنى: ألا إِنَّهَا لَأَنْظَىٰ.

✓ لا يُبتدأ بها بمعنى: حقًا، إِنَّهَا لَأَنْظَىٰ. لكسر همزة (إِنَّ).

و اصطلاح في المصاحف للوقف على (كلاً) في هذه الآية بالرمز(صلح) التي تفيد بأولوية الوصل.

2. قال تعالى: ﴿أَيُّظْمَعُ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۗ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ ⁹.

¹ . يُستثنى من ذلك كلّ موضع كسرت فيه همزة (إنَّ) بعد (كلاً) فلا يُبتدأ فيها بمعنى (حقًا) لأنّ ذلك لا يجوز في اللغة إلا بمعنى (ألا).

² . المعارج/ 11-15.

³ . مكِّي بن أبي طالب، الوقف على كلاً و بلى و نعم، ص: 56.

⁴ . النحاس، القطع و الإئتاف، ص: 760.

⁵ . السجاوندي، علل الوقوف، ص: 1047.

⁶ . جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 158.

⁷ . جمال القرش، الوقف على كلاً و بلى و نعم في القرآن، ص: 34.

⁸ . ينظر: مكِّي بن أبي طالب، الوقف على كلاً و بلى و نعم، ص: 54.

⁹ . المعارج/ 38/39.

و هي كسابقتها من نفس السورة، إذ "الوقف على (كلاً) حسن جيّد على معنى: ليس الأمر على طمعه، وشهوته، أي لا يدخل الحنّة. و يجوز الابتداء ب (كلاً) على معنى: إنّنا خلقناهم"، أي على معنى الافتتاح والاستئناف و التنبيه إلى قدرة الله تعالى. و لا يجوز الابتداء بها على معنى (حقًا)، لِمَا أسلفنا من علة كسر همزة (إنّ) التي بعدها.

و الخلاصة أنّ الوقف على (كلاً) بحسب معناها يكون كالآتي:

✓ يوقف عليها بمعنى الرّدع (ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة)¹ و التنبيه إلى قدرة الله عزّ و جلّ و بمعنى معنى الاستئناف.

✓ يُبتدأ بها على معنى: ألا إنّنا خلقناكم.

✓ لا يُبتدأ بها على معنى: حقًا إنّنا خلقناكم. لأنّ (حقًا) لا تلحقها (إنّ) المكسورة الهمزة.

و يجري حكم (كلاً) في الآيتين السابقتين على الآية في قوله تعالى: ﴿تُرِيظُهُمْ أَنْ أَزِيدَ كَلَامَهُ ۗ كَانُوا لَا يَتَنَاعَوْنَ﴾².

3. قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مِّنْشَرَّةٍ ۗ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الآخِرَةَ ۗ﴾³.

قال مكّي: "الوقف على كلاً حسن بالغ تجعلها ردًا لما قبلها، أي لا يُؤتى ذلك، و قيل المعنى كلاً لا يؤمنون بالصحف لو أتهم".⁴ و أورد النحاس (ت334هـ) أنّ القطع كافٍ على (مُشَرَّةً)، و أنّه يجوز الابتداء ب (كلاً) التي بمعنى: ألا بل يخافون الآخرة، مع جواز الوقف على (كلاً) و الابتداء ب (بل)⁵. و أجاز السجاوندي (ت600هـ) الوقف المطلق على (كلاً) بمعنى الرّدع عن الإرادة أو الابتداء بها بمعنى (حقًا) أو (ألا)⁶. و ينظّم إليهم الداني (ت444هـ) الذي رأى أنّ "الوقف على (كلاً) تام أي: لا يؤتاها"⁷.

و خلاصة الرأي في الوقف على (كلاً) في هذه الآية هو:

✓ جواز الوقف عليها على معنى الرّدع و الردّ على ما قبلها، بمعنى: لا يُؤتى الكافر إرادته.

✓ جواز الابتداء بها على معنى (حقًا)، و (ألا).

و يجري حكم الوقف على (كلاً) في هذه الآية على الآيات الآتية لتشابه المعطيات التركيبية:

¹ . ينظر: جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 160.

² . المدثر/15، 16.

³ . المدثر/52، 53.

⁴ . مكّي بن أبي طالب، الوقف على كلاً و بلى و نعم، ص: 58.

⁵ . ينظر: النحاس، القطع و الإئتلاف، ص: 771.

⁶ . ينظر: السجاوندي، علل الوقوف، ص: 1064.

⁷ . الداني، المكتفى في الوقف و الابتداء، ص: 596.

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾¹.

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَأَتَكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾².

4. قال تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾³ ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَتَ فِي الْحُطْمَةِ﴾⁴.

الوقف على (كَلَّا) عند مكِّي " حسن بالغ، تنفي بها ظنَّ المشرك أنَّ ماله أخلده... و يجوز أن تبتدئ بها على معنى (حقًا) أو (ألا)"⁴. و هو ما يوافق فيه الداني، إذ يرى أنَّه وقف " تام و المعنى أي لا يخلد ماله، و يجوز الوقف على (أَخْلَدَهُ) و تبتدئ بـ (كَلَّا) بمعنى (ألا) التي للتنبيه"⁵.

و خلاصة الوقف على (كَلَّا) في هذه الآية هو:

✓ يجوز الوقف على (كَلَّا) النافية لظنَّ المشرك أنَّ ماله أخلده، و الرادعة له عن فكرة جمع المال و الهمز واللمز.

✓ يجوز الابتدء بـ (كَلَّا) بمعنى (ألا) و (حقًا).

و من خلال الأمثلة السبعة من القسم الأوَّل لـ (كَلَّا) و التي يحسن الوقف عليها بمعنى الردع، و الابتدء بها معنى (ألا) أو (حقًا) نلاحظ أنَّ:

✓ ثلاث أمثلة منها جاءت بتركيب متشابه و هو (كَلَّا) المتبوعة بـ (إنَّ) المكسورة الهمزة، و المتبوعة بكلام حقه الردع و التكذيب، فكانت، أحكامها متشابهة و هي: جواز الوقف على (كَلَّا) بمعنى الردع، و جواز الابتدء بها على (ألا)، و عدم جواز الابتدء بها بمعنى (حقًا)، لعلَّة وجود (إنَّ) المكسورة الهمزة.

القسم الثاني من (كَلَّا):

و هو نوع لا نجد في المصاحف علامة وقف عليه، و فيه لا يحسن الوقف على (كَلَّا) و يحسن الابتدء بها بمعنى (ألا) أو (حقًا)، و هي ثمانية عشر موضعا في القرآن الكريم كلَّها في ربع يس، " و الاختيار أن لا يوقف على شيء منها"⁶، مع جواز الابتدء بها على معنى (ألا) أو (حقًا). و في ما يلي بيانها:

¹ . المطففين/ 14.

² . الفجر/ 17.

³ . الهمزة/ 03، 04.

⁴ . مكِّي بن أبي طالب، الوقف على كَلَّا و بلى و نعم، ص: 68.

⁵ . الداني، المكتفى في الوقف و الابتدء، ص: 628.

⁶ . مكِّي بن أبي طالب، الوقف على كَلَّا و بلى و نعم، ص: 69.

1. قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرَ ﴿٣٢﴾﴾¹.

لو وُقف على (كَلَّا) في الآية بمعنى الردّ لكانت ردّا على ما قبلها و هو كلام الله (وَ مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ) الذي لا يردّ و لا يكذب. و قد قال بعدم الوقف عليها بمعنى الردّ كلّ من: مكّي بن أبي طالب، والسجاوندي، و الزركشي (ت794هـ)، و قبح الداني (ت444هـ) الوقف عليها "لأنها صلة لليمين"². أمّا الابتداء بها فوه حسن عندهم جميعا على معنى: (ألا) أو (حقّا).

و خلاصة ذلك أنّهُ:

- ✓ لا يجوز الوقف في الآية على (كَلَّا) بمعنى الردّ، لأنّ كلام الله لا يُكذّب و لا يردّ، و لأنها صلة بالقسم.
- ✓ يجوز الابتداء بها على معنى: ألا و القمر، أو حقّا و القمر.

2. قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٦﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٥٧﴾﴾³.

أجمع العلماء على عدم جواز الوقف على (كَلَّا) في الآية، فقال مكّي: "الوقف على (كَلَّا) لا يجوز، لأنّك كنت تنفي فيها ما حكى الله عنهم من أنهم لا يخافون الآخرة"⁴. و يجوز الابتداء بها على أساس انقطاع اللفظ في ما قبلها و الوقف عليه وقفا كافٍ عند الداني (ت444هـ)⁵. و يكون الابتداء على معنى (ألا)، لا على معنى (حقّا) لكسر همزة (إنّه) التي بعدها. و قد سبق الإشارة إلى العلة النحوية.

و خلاصة القول في الوقف على (كَلَّا) في الآية:

- ✓ لا يجوز الوقف عليها بمعنى الردّ لأنّ ما قبلها كلام الله عن المشركين (بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) إثباتا لشركهم.
 - ✓ يجوز الابتداء بها بمعنى: ألا إنّهُ تذكرة.
 - ✓ و لا يجوز الابتداء ب (كَلَّا) على معنى (حقّا) لعدم اجتماعها مع (إنّه) المكسورة الهمزة بعدها.
- و يجري هذا الحكم في الوقف و الابتداء على (كَلَّا) في الآيات الآتية لتشابه المعطيات التركيبية و الدلالية

فيها:

قال تعالى: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١١﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذَكُّرٌ ﴿١٢﴾﴾⁶.

¹ المدثر/31، 32.

² الداني، الإيضاح في الوقف و الابتداء، ص: 422.

³ المدثر/54.

⁴ مكّي بن أبي طالب، الوقف على كَلَّا و بلى و نعم، ص: 58.

⁵ الداني، المكتفى في الوقف و الابتداء، ص: 596.

⁶ عبس/10، 11.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ٧﴾¹.

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ١٥﴾².

قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ٧ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾³.

قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ٦﴾⁴.

3. قال تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يُؤْمِرُ بِأَنْ يُعْرَفَ ١١ كَلَّا لَا وَزَرَ ١٢﴾⁵.

لا يجوز الوقف على (كَلَّا) لثلاث توهم نفي الكلام الذي قبلها و هو قبلها و هو تساؤل الإنسان عن المفتر، وهو من كلام الله الذي لا يقبل الرد، و بذلك قال مكِّي، و أضاف " و قد أجاز قوم الوقف عليها، جعلوها رداً لما طمع الإنسان من إصابته مفترًا ذلك اليوم"، بمعنى لا يوجد موضع للفرار، و لكنّه رجح القول الأوّل ذلك أنّ القول الثاني يحدث تكراراً في المعنى، إذ تكون (كَلَّا) بمعنى (لا) و يُبتدأ الكلام بـ (لَا وَزَرَ)، فيكون المعنى: لا، لا وزر، و فيه تكرار. و الوقف على ما قبل (كَلَّا) أي (أَيُّنَ الْمَفْرُ)، و الابتداء بها جائز عند السجاوندي (ت600هـ) "لأنّ (كَلَّا) ردع عن الفرار"⁶، و هو ما رأى به النحاس (ت334هـ).

و يجوز الابتداء بـ (كَلَّا) على معنى (حقاً) أو (ألا) و هي "بمعنى (حقاً) أمكن و أبلغ في هذا المعنى، لأنها تكون تأكيداً لعدم الملحاً من الله يوم القيامة"، و وقف ابن كثير على (الْمَفْرُ) و ابتداء بـ (كَلَّا) على معنى: أنّه إذا عاين الإنسان الأهوال يوم القيامة يريد أن يفتر، و يقول: أيّن المفتر؟ و أورد في قوله تعالى: ((كَلَّا لَا وَزَرَ))، و "قال ابن مسعود، و ابن عباس، و سعيد بن جبير، و غير واحد من السلف: أي لا نجاة. أي: ليس لكم مكان تعتصمون فيه"⁷.

و خلاصة الرأي في الوقف على (كَلَّا) في الآية:

✓ لا يجوز الموقف على (كَلَّا) بمعنى الرد، لأنّ ما قبلها كلام الله، و هو لا يردّ و لا يكذب.

1. المطففين/ 06، 07.

2. المطففين/ 14، 15.

3. المطففين/ 18.

4. العلق/ 05، 06.

5. القيامة/ 10، 11.

6. السجاوندي، علل الوقوف، ص: 1067.

7. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص: 277.

✓ يجوز الابتداء بها على معنى (ألا) و (حقًا)، و (حقًا) أبلغ.

4. قال تعالى: ﴿تُؤَيِّنَ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ١٩ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ٢٠¹.

لا يجوز الوقف في الآية على (كلًا) بمعنى الردع و الردّ لأنّه كلام الله (إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) . و بذلك قال مكّي والزرکشي (ت794هـ) و السجاوندي و النحاس (ت334هـ) و الدايني (ت444هـ).

و يجوز الابتداء بها بمعنى (ألا) و (حقًا) و " كونها بمعنى (حقًا) أحسن، لتوكيد ما أخبره الله عن عباده، من محبتهم للدنيا و زهدهم في الآخرة"².

و تؤكّد هذا الرأي المصاحف التي لم تشر للوقف في هذا الموضوع. و الخلاصة في الوقف على (كلًا) في هذا الوضع أنه:

✓ لا يجوز الوقف على (كلًا) ربطًا لها بما قبلها بمعنى الردّ لأنّه كلام الله.

✓ يجوز الابتداء بها بمعنى (ألا) و (حقًا).

و يجري هذا الحكم في الوقف على آيات أخرى هي:

قال تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ٨ ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ ٩³.

قال تعالى: ﴿إِذْ اتَّخَذْتُمْ آلِهَتَكُمْ آيَاتِنَا قَالَ أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٣ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ١٤⁴.

و في الجدول الآتي نجمل ما بقي من مواضع (كلًا) التي لا يحسن الوقف عليها و يحسن الابتداء بها في ربع يس:

السورة	الآية	حكم الوقف و الابتداء على كلاً
القيامة	﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ ٥ ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ ٦.	- لا يحسن الوقف على (كلاً) نفيًا و بعبوس الكفار يوم القيامة عند الإيقان بوقوع العذاب. - يجوز الابتداء بـ (كلاً) بمعنيين: - ألا إذا بلغت التراقي. - حقًا إذا بلغت التراقي.

1. القيمة/19، 20.

2. مكّي بن أبي طالب، الوقف على كلاً و بلى و نعم، ص: 59.

3. الانفطار/08، 09.

4. المطففين/15.

<p>و قال مكي كلاهما حسن بالغ.</p>	
<p>- لا يحسن الوقف على (كَلًّا) نفيًا لِمَا حكى الله تعالى من اختلاف الناس حول النبا العظيم. - الابتداء بـ (كَلًّا) حسن جيد بمعنيين: - ألا سيعلمون. - حقا سيعلمون. و حقًا أحسن بتوكيدها وقوع العلم فيهم.</p>	<p>﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ ٣ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ٤</p>
<p>- لا يجوز الوقف على (كَلًّا) لأنه ينفي البحث. - يجوز الابتداء بها على معنيين: - ألا كما يقض ما أمره. - حقًا لما يقض ما أمره. لم يذكر النحاس (ت 334هـ) و الداني (ت 444هـ) لـ (كَلًّا) وقفًا و رجح السجاوندي عدم الوقف.</p>	<p>﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ ٢٢ ﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُوهُ﴾ ٢٣</p>
<p>- لا يحسن الوقف لأنه يوهم نفي ما أخبر الله به من كثرة حب المال و ذلك لا يجوز نفيه. - يحسن الابتداء بـ (كَلًّا) على معنيين: - حقًا إذا دُكَّت الأرض. - ألا إذا دُكَّت الأرض. و الوقف على (كَلًّا) جائز عند النحاس و تام عند الداني (ت 444هـ)، و يحتمل الوجهين عند السجاوندي.</p>	<p>﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ ٢٠ ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ٢١</p>
<p>- لا يجوز الوقف على (كَلًّا) لأنه ينفي رؤية الله لأعمال العباد (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى). - يجوز الابتداء بها على معنيين: - حقًا لئن لم ينته لنسفًا بالناصية. - ألا لئن لم ينته لنسفًا بالناصية.</p>	<p>﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ١٦ ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنُفِخَنَّ بِالْناصِيَةِ﴾ ١٥</p>
<p>- لا يجوز الوقف على (كَلًّا) لأنه ينفي دعاء الله (سندع الزبانية).</p>	<p>﴿سَدِّعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ ١٨ ﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ﴾</p>

<p>-يجوز الابتداء بها على معنيين: - ألا لا تطعه و اسجد و اقترب. - حقًا لا تطعه و اسجد و اقترب.</p>	<p>وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾.</p>	
<p>- الوقف على (كَلًّا) غير جائز لأنه ينفي الكلام السابق له ﴿أَلْهَكُمُ الشَّكَاوُءُ﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ و هو جائز عند النحاس (ت 334هـ) و الداني (ت444هـ)، و السجاوندي بمعنى الردع: لا ينفعكم التكاثر. -يجوز الابتداء بها على معنيين: - ألا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. - حقًا سَوْفَ تَعْلَمُونَ.</p>	<p>﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾</p>	<p>التكاثر</p>
<p>- الوقف على (كَلًّا) يوهم بنفي ما قبلها فهو غير جائز. -يجوز الابتداء بها على معنيين: - ألا لو تَعْلَمُونَ. - حقًا لو تَعْلَمُونَ.</p>	<p>﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عَلَمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾.</p>	<p>التكاثر</p>

ومن خلال الأمثلة الثمانية عشر من القسم الثاني لـ (كَلًّا) و التي لا يحسن الوقف عليها بمعنى الردع والنفي، و يحسن الابتداء بها بمعنى (ألا) و (حقًا) نسجل الملاحظات الآتية:

- في جميع الأمثلة لا يوقف على (كَلًّا) بمعنى الردع و النفي لأنها عادة مسبقة بكلام الله تعالى الذي لا يجوز فيه الرد و النفي ما عدا بعض الإشارات للعلماء كالنحاس (ت 334هـ) و الداني (ت444هـ) الذين أجازا الوقف من باب الرد على الكفار، و حكم مكي بأنها قد تكون مقبولة و لكن الوقف أبلغ.
- جاز في جميع الحالات الابتداء بـ (كَلًّا) بمعنى (ألا) و (حقًا) مع ترجيح (حقًا) لإفادتها معني التأكيد، فتعمل على تأكيد كلام الله سبحانه و تعالى.
- هناك ستة (6) حالات كانت (كَلًّا) متبوعة بـ (إنّ) المكسورة الهمزة، و هو ما منع الابتداء بـ (كَلًّا) التي بمعنى (حقًا) لأن ذلك يخالف قواعد النحو.

• جاءت (كَلًّا) متبوعة بـ (بل) في ثلاث (3) حالات، و بـ (لا) النافية بـ حالة واحدة، و بـ (لا) الناهية في حالة واحدة و بـ (إذا) في حالتين اثنتين.

القسم الثالث من (كَلًّا):

و هو قسم "لا يحسن فيه الوقف على (كَلًّا) و لا يحسن الابتداء بها"¹، و يعود ذلك لارتباطها بما قبلها و ما بعدها لفظا و معنى. فيكون الوصل فيه أحفظ للتركيب و أكمل للمعنى.
و في هذا القسم موضعان اثنان فقط، هذا بياهما:

I. قال تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٢﴾﴾².

فلا يحسن الوقف على (كَلًّا) في (ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) لأنّ ذلك "ينفي ما مضى من التهديد و الوعيد و ينفي وقوع العلم و ذلك كفر"³. و لا يجوز الابتداء بها لأنها لأَنَّها متعلّقة بما قبلها و تأكيد لها.

و رغم أنّ النحّاس خالف مكّي في (كَلًّا) الأولى حيث أجازها بمعنى الردّ، أي: لا اختلاف فيه، فإنّه يؤيّد في عدم الوقف على الثانية و الابتداء بها، رفضا لرأي الضحّاك الذي وقف على الثانية بمعنى: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (الكافرون)، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (المؤمنون)⁴.

و الخلاصة في الوقف على (كَلًّا) في الآية هو:

✓ لا يجوز الوقف عليها لأنّ ذلك ينفي ما قبلها.

✓ لا يجوز الابتداء بها لأنها معطوفة على ما قبلها بدليل حرف العطف (ثمّ)، و لا يجوز الفصل بين

المعطوف و المعطوف عليه.

و يجري نفس الحكم في منع الوقف و الابتداء بـ (كَلًّا) في الآية: ((ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ))⁵، فالوقف

عليها ينفي ما قبلها و الابتداء بها يفصلها عن المعطوف عليه.

و مجمل ما يقال عن هذا القسم من (كَلًّا) هو:

✓ لا يجوز الوقف على (كَلًّا) لأنها مسبقة بكلام الله الذي لا يجوز ردّه أو نفيه.

¹ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 415.

² النبأ/ 04-05.

³ مكّي بن أبي طالب، الوقف على كَلَّا و بلى و نعم، ص: 61.

⁴ ينظر: النحّاس، القطع و الإئتلاف، ص: 816.

⁵ النكاثر/ 04.

✓ لا يجوز الابتداء بـ (كَلَّا) لأنها مسبوقه بعطف يربطها بما قبلها، أي لوجود تعلق لفظي بها.

✓ (كَلَّا) في هذا القسم توكيد و عطف على ما سبقها بشكل مكرر:

في الموضع الأول من سورة النبأ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾﴾.

في الموضع الثاني من سورة التكاثر: ﴿كَلَّا سَوْفَ نَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ نَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾.

القسم الرابع من (كَلَّا):

وهو قسم (كَلَّا) التي "لا يحسن الابتداء بها، و يحسن الوقف عليها"، و لها موضعان في القرآن كلاهما في سورة

الشعراء، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِعَايُنِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾¹.

و قوله: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٣﴾﴾².

و كلا الموضعين ضمن حوار، فيجوز الوقف عليها بمعنى النفي للكلام، و لا يجوز الابتداء بها لأنها من مقول

القول أي مسبوقه في الموضعين بـ (قال). و لا تفصل القول في المثالين لأنهما ليسا من ربع يس.

II. الوقف على (بلى)

أ - معنى (بلى) و موقعها في الجملة:

اهتم العلماء بـ(بلى) و أفردوا لها أبوابا و مصنّفات و اختلفت فيها الآراء و الأقوال، و (بلى) " حرف جواب

أصلي الألف، و قال جماعة: الأصل (بل)، و الألف زائدة، و بعض هؤلاء يقول: إنها للتأنيث بدليل إمالتها. و

تختص بالنفي و تفيد إبطاله"³، و الفائدة أنّ (بلى) حرف جواب تختص بالإجابة عن النفي و تفيد إبطاله، فلا

يُجاب بـ (بلى) عن الإيجاب، فإذا سأل السائل: ألسنت تفهمني؟ اجبنا للإيجاب: بلى، أفهمك. و لا يجاب بها

على السؤال: أتفهمني؟

¹ . الشعراء/ 14، 15.

² . الشعراء/ 61، 62.

³ . ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ج1، ص:131.

و ل (بلى) موضعان¹:

الأول: أن تقع جوابا للاستفهام، كقوله تعالى: ﴿يُنَادُوا وَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَعَرَّيْتُمْ الْأُمَانِيَّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّكَ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾²، أي: كنتم معنا.

الثاني: أن تقع مجرّدة من الاستفهام، فتكون ردًا لنفي يقع قبلها. كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي الْأَنْفُسِ هُمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾³.

با - مواضع بلى في القرآن:

مجمّل ورود (بلى) في القرآن اثنان و عشرون موضعا، في ستة عشر سورة، هذا بيانها:

الرقم	السورة	عدد المواضع	الآية
1	البقرة	ثلاثة مواضع	﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٢٠) بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ^(٢١) ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ^(٢٢) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٢٣) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيُظْمِنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ^(٢٤)
2	آل عمران	موضعان	﴿ وَمَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّةِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ^(٧٥) بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ

¹ . ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص: 262.

² . الحديد/ 14.

³ . النحل/ 28.

			وَأَتَقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ .
			﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ .
3	الأنعام	موضع	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٣﴾ .
4	الأعراف	موضع	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ .
5	النحل	موضعان	﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ .
			﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدَّآ عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَالنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ .
6	سبأ	موضع	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ .
7	يس	موضع	﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ .
8	الزمر	موضعان	﴿ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥١﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَاكِتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ .
			﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ هَافُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ .
9	غافر	موضع	﴿ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَاؤُا

			﴿الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ^(٥٠) .
10	الزخرف	موضع	﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ ^(٨) .
11	الأحقاف	موضعان	﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُم مِّنَ الْجَهَنَّمَ بَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ^(٢٢) .
			﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ^(٣٤) .
12	الحديد	موضع	﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ^(١٤) .
13	التغابن	موضع	﴿زَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ^(٧) .
14	الملك	موضع	﴿كَأَدُّ تَمِيمٍ مِنَ الْغَيْظِ كَمَا الْقَىٰ فِيهَا فَوْحٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ^(٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ ^(٩) .
15	القيامة	موضع	﴿يُحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ ^(٣) بَلَىٰ قَدَرِينِ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ ^(٤) .
16	الانشقاق	موضع	﴿إِنَّهُ وَظَنَ أَنْ لَّنْ يَحُورَ﴾ ^(١٤) بَلَىٰ إِنْ رَبُّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ ^(١٥) .

و بذلك يكون عدد مواضع (بلى) في ربع يس اثني عشرة موضعا، بنسبة فاقت النصف: 54.54% من مجمل مواضعها في القرآن الكريم.

ت - أقسام بلى و مواضعها في ربع يس:

قسّم العلماء (بلى) إلى ثلاثة أقسام¹ بحسب حكم الوقف عليها، و الذي يُردّ إلى معناها، حيث:

- ✓ لا ينبغي الوقف على سبعة منها.
- ✓ يجوز الوقف و عدمه على أربعة منها و هي المتبوعة بـ (لكن) في البقرة و الزمر و الحديد، و المسبوقة بـ (قالوا) في سورة الملك، و الوصل فيها أولى.
- ✓ يحسن الوقف على عشرة منها، و الابتداء بما بعدها.

¹. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 415-416.

و بذلك يكون مجملها في القرآن الكريم اثنان و عشرون موضعا.

القسم الأول من (بلى):

و هو قسم " يختار فيه كثير من القراء و أهل اللغة الوقف عليها، لأنها جواب لما قبلها" ¹ ، أي متعلقة بما قبلها، و غير متعلقة بما بعدها لفظا، و هذا النوع عشرة مواضع في القرآن، منها أربعة في ربع يس، هذا بياها:

- قال تعالى ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ².

قال مكّي في الوقف على (بلى) في هذه الآية أنه "حسن جيّد بالغ، و هو قول نافع و محمد بن عيسى، لأنه جواب الاستفهام الداخلة على النفي قبلها" ³ في جملة (تعالى) ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ و المعنى: بلى، يقدر على ذلك. و بذلك يكون ما بعدها (وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) مبتدأ و خبرا لأنها جملة مستأنفة. و الوقف هنا بقول النحاس تامّ (رواية عن نافع و القتيبي) ⁴ ، و قال الداني أنه وقف كاف ⁵ . و لا يحسن الابتداء ب (بلى) "لأنها جواب لما قبلها، و قد أجازها أبو حاتم، و هو ضعيف" ⁶.

و خلاصة الرأي في الوقف على (بلى) في الآية أنه:

- ✓ يحسن الوقف عليها لأنها جواب لما قبلها، و أفادت نفي عدم قدرة الله على أن يخلق مثل ما خلق، والمعنى في الآية هو: بلى، الله قادر على أن يخلق مثلهم.
- ✓ الوقف عند الداني (ت 444هـ) كاف لانقطاع (بلى) عما بعدها (وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) لفظا و تعلقها معنى، فالأول معطوف عليه و الثاني عطف بحكم أنّ الواو واو عطف، و التقدير أنّ (بلى) نابت عن جملة

¹ . السابق: ص: 415.

² . يس/ 81.

³ . مكّي بن أبي طالب، الوقف على كلاً و بلى و نعم في القرآن، ص: 83.

⁴ . النحاس، القطع و الإئتلاف، ص: 584.

⁵ . الداني، المكتفى في الوقف و الابتداء، ص: 476.

⁶ . مكّي بن أبي طالب، الوقف على كلاً و بلى و نعم في القرآن، ص: 83.

مخدوفة، و الوقف على عطف الحمل وقف كاف (أما عطف المفردات فلا يسوغ الوقف عليه). و المعنى: بلى قادر، و هو الخلاق العليم.

✓ الوقف عند نافع م مكّي حسن لأنها جواب لما قبلها، و منقطعة عمّا يليها لفظاً و معنى، و الواو في (وَهُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ) استثنائية.

✓ لا يجوز الابتداء بها لأنها حرف جواب لما قبلها.

• قال تعالى: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَاذْعُوْا وَمَا ذَعَبُوا الكَفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝١﴾¹.

الآية حوار بين خزنة النار و المشركين، فالاستفهام لخزنة النار: ألم تكن تأتيكم الرسل بالبينات، فيجيب المشركون بلى، و المعنى: بلى أتتنا رسلنا. و حذفت الجملة لدلالة (بلى) عليها، و عليه ف "الوقف على (بلى) حسن بالغ، لأنها جواب الاستفهام الداخل على المنفي قبلها". و الوقف عليها مطلق عند السجاوندي²، وكاف عند النحاس، و قرأ أبو حاتم بالوصل³: (قَالُوا بَلَى قَالُوا فَاذْعُوْا).

و خلاصة الوقف على (بلى) أنه:

✓ يحسن الوقف على (بلى) لأنها جواب ما قبلها.

✓ لا يجوز الابتداء بها لأنها من مقول الفعل (قالوا) الذي قبلها، و لا يفصل المقول عن القول.

• قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٣﴾⁴.

سُبقت (بلى) في الآية باستفهام داخل على النفي (أَوَلَمْ يَرَوْا) فكان الوقف عليها عند مكّي "حسن جيّد بالغ، و هو قول نافع". و المعنى: بلى يقدر الله على ذلك، فهي جواب يحسن الوقف عليه و لا يحسن الابتداء به، و الجملة التي بعدها (إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) استثنائية بدليل كسر همزة (إن). و لم يشر السجاوندي (ت600هـ) في العلل إلى الوقف على (بلى)، و يفهم من وقفه المطلق على (يُحْيِيَ الْمَوْتَى) أنه يتدبّر (بلى).

¹. غافر/ 50.

². السجاوندي، علل الوقوف، ج3، ص: 893.

³. النحاس، القطع و الإثنايف، ص: 619.

⁴. الأحقاف/ 33.

و الخلاصة من ذلك:

- ✓ يحسن الوقف على (بلى) كونها جواب لاستفهام مسبق بنفي، و المعنى: بلى قادر.
- ✓ يكون الوقف كافٍ على (بلى) بالنظر إلى الجملة التي بعدها المستأنفة ب (إنّ) التي تُكسر في الابتداء. وبذلك تنفصل عما قبلها لفظاً.
- ✓ لا يحسن الابتداء ب (بلى) لأنها متعلّقة بما قبلها. و وقف السجاوندي على ما قبلها فصلاً لها دون تعليل.

• قال تعالى: ﴿إِنَّهُ وَظَنَ أَنْ لَنْ يَحْجُرَ ۗ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۝١٥﴾¹.

سُبقت (بلى) بجملة مجرّدة من الاستفهام و لكنّها منفية (ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحْجُرَ) أي: لن يرجع بعد موته، فجاءت (بلى) متعلّقة بها جواباً، و المعنى: بلى يحور، و عليه " و الوقف على (بلى) حسن جيّد بالغ لأنها جواب للنفي قبلها"²، و هو كافٍ عند الداوي و تام عند النحاس رواية عن نافع³. و أجاز السجاوندي الوقف على (بلى) " لأنّ بلى لنفي الأوّل و إثبات الثاني فجاز تعلّقه بما قبله و ما بعده"⁴.

و خلاصة القول في ذلك أنّه:

- ✓ يجوز الوقف على (بلى) في الآية لأنها جواب للنفي الذي قبلها، و المعنى: بلى يحور (أي يرجع إلى الله) تكديماً للكافرين بيوم القيامة و العودة إلى الله، لأنّ " (بلى) إيجاب لما بعد النفي في لن يحور: أي بلى ليحورن"⁵.
- ✓ يكون الوقف تاماً باعتبار (بلى) جواباً لما قبلها، و الواو التي بعدها استثنائية، و الحجّة في ذلك كسر همزة (إنّ).

- ✓ يكون الوقف كافٍ بعدد (إنّ) استثنائية تحقّق الانقطاع في اللفظ عن (بلى)، مع وجود تعلّق معنوي (إنّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا) يعلم أمره يوم القيامة من يوم خلقه إلى يوم بعثه، قال القرطبي: " (بلى) أي ليس الأمر كما ظنّ بل يحور إلينا و يرجع، (إنّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا) قبل أن يخلقه علم بأنّ مرجع إليه"⁶.
- ✓ أشار السجاوندي عند تعليل إجازة الوقف على (بلى) إلى تعلّق معناها بما قبلها جواباً، و ما بعدها تعليلاً أو لفتاً للانتباه.

¹ . الانشقاق/14-15.

² . مكّي بن أبي طالب، الوقف على كلاً و بلى و نعم في القرآن، ص: 88.

³ . النحاس، القطع و الإئتلاف، ص: 797.

⁴ . السجاوندي، علل الوقوف، ج3، ص: 1111.

⁵ . جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 235.

⁶ . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص: 272.

و نتيجة تفصيل القول في القسم الأول ل (بلى) أنّها تكون فيه، بإجماع أغلب القرّاء و النحويين، جوابا لما قبلها من نفي، سواء كان استفهاما أو مجردا من الاستفهام. و هي بوقوعها جوابا لسابقتها ترتبط به لفظا و معنى مقابل انفصالها عمّا بعدها، ما يجعل الوقف عليها جائزا، و الابتداء بها غير جائز.

و اختلف العلماء في بعض المواضع حول جعل الوقف عليها حسنا أو كافيا أو تاما، و ذلك لاختلافهم في انقطاع المعنى مقابل اتّفاقهم في انقطاع اللفظ. و هذا القسم عشرة مواضع في القرآن، منها أربعة في ربيع يس التي فصلنا فيها القول.

القسم الثاني من (بلى):

في هذا القسم من (بلى) " لا يجوز الوقف عليها لتعلّق ما بعدها بها و بما قبلها"، و هي في القرآن الكريم سبعة مواضع منها أربعة في ربيع يس، هذا بيّناها:

1. قال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَاكِتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَأُصْتَكِبَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾¹.

حكم الوقف على (بلى) مقتزن بمعناها، و هي في هذه الآية " جواب النفي و ليس في الكلام لفظ النفي، ولكن معنى (لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي): ما هدايني، و كأنّ هذا القائل قال: ما هُديت، فقيل له: بلى قد بُيّن لك طريق الهدى فكنت بحيث لو أردت أن تؤمن أمكنك أن تؤمن" ²، فالنفي يُفهم من سياق الكلام دون وجود اللفظ الدال عليه، و "(لو) موضوعة للدلالة على امتناع جوابها لامتناع شرطها"³، فادّعاء الكافر أن يكون من المحسنين عند رجوعه إلى الحياة ادّعاء باطلٌ جاء جوابه (بلى) توبيخا و تقريرا بأنّه سبق و أن جاءتك آيات الله فكذّبت بها، و كأنّ بالله يقول له: بلى هداك، و جاءتك الآيات و لكنك كذّبت بها، و (بلى) في هذا الموقع و بهذا المعنى لا يجوز الوقف عليها " لأنّ الفعل المضمر بعدها قد ظهر، فهي و ما بعدها جواب للجملة التي فيها (لو) في قوله: (لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي) و المعنى: بلى هداك"⁴، و تكون بذلك: (قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي) تابعة المبنى و المعنى ل (بلى)، فقد جاءت "مؤكدة للجملة السابقة التي دلّت على ثبوت هداية الإرشاد، و سدّت مسدّها كلمة

¹ الزمر/57-58-59.

² القرطبي، تفسير القرآن العظيم، مج15، ص: 273.

³ جمال القرش، الوقف على كلا و بلى و نعم، ص: 123.

⁴ مكي بن أبي طالب، الوقف على كلا و بلى و نعم في القرآن، ص: 83.

(بلى)¹. ف (بلى) مؤكّد، و (قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي) مؤكّد، و لا يجوز الفصل بينهما، فالوقف على (بلى) بذلك لا يحسن، و التقدير: بلى هديتك قد جاءتك آياتي.

و خلاصة القول أنّه لا يجب الوقف على (بلى) لأنّها جواب لما قبلها (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)، و لا يجوز الابتداء بها لأنّ الجملة اللاحقة (قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي) متعلّقة بها و مؤكّدة لها.

2. قال تع الى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾².

جاءت (بلى) في هذه الآية مقولا ل (قالوا)، و لا يجوز الفصل بين القول و مقوله، و هذا ارتباط (بلى) بما قبلها، أمّا ارتباطها بما بعدها فهو حاصل لأنّه قسم (بَلَىٰ وَرَبِّنَا)، و لهذا رأى مكّي أنّ " الوقف على (بلى) لا يحسن"³، و أيّده الداني و النحاس.

و مجمل القول أنّه لا يحسن الوقف على (بلى) لأنّها مرتبطة بما بعدها و هو القسم في: (بَلَىٰ وَرَبِّنَا)، و لا يحسن الابتداء بها لأنّها مرتبطة بما قبلها و جزء منه (قَالُوا بَلَىٰ)، فالقراءة تكون بالوصل قبلها و بعدها، هكذا: قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا.

3. قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾⁴. يقال في الوقف على (بلى) نفس ما قيل في المثال السابق و ذلك أنّ (بلى) مسبوقه بفعل قول (قُلْ بَلَىٰ) فلا يُبتدأ بها، و متبوعه بقسم (بَلَىٰ وَرَبِّي) فلا يوقف عليها.

4. قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾﴾⁵.

جاءت (بلى) هنا جوابا لما قبلها (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ)، و المعنى: بلى قادرين على جمع عظامه، إذ أنّ " (بلى) أوجبت ما بعد النفي و هو الجمع، فكأنه قيل بلى نجمعها"⁶، و عليه فلا يحسن الابتداء بها بما وقفا على (أَلَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ)، فهذا تعلق (بلى) بما قبلها، أمّا تعلقها بما بعدها فموقوف (قادرين) حالا و فاعله ضمير محذوف متعلق ب (بلى). قال مكّي (ت 437هـ): "الوقف على (بلى) لا يحسن لأنّ (قادرين) حال من

1. جمال القرش، الوقف على كلا و بلى و نعم في القرآن، ص: 123.

2. الأحقاف/34.

3. مكّي بن أبي طالب، الوقف على كلا و بلى و نعم في القرآن، ص: 85.

4. النغابن/07.

5. القيامة/03.

6. جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 190.

الفاعل المحذوف بعد (بلى)، و التقدير: بلى بجمعها قادرين، أي بجمعها حال كوننا (قَادِرِينَ عَلَيَّ أَنْ نُسَوِّيَ بِنَانُهُ)، و أعربها زكريّا الأنصاري على هذا التقدير فقال: "أي بجمعها قادرين، فقادرين حال"¹.

و خلاصة القول أنّه لا يوقف على (بلى) لأنّه لا يجوز الفصل بين الحال و عامله و ناصبه، و لا يُبتدأ بها لأنّها جواب لما قبلها وردّ على الإنسان الضال الذي يحسب أنّ غير قادر على جمع عظامه، و هو القادر على تسوية بنانه.

لاحظنا من خلال عرض مواضع (بلى) في هذا القسم أنّها تكون في موضع يجعلها مرتبطة بما قبلها و ما بعدها بحيث يُمنع الوقف عليها و الابتداء بها، أمّا ارتباطها بما قبلها فإنّما وقوعها جوابا له أو مقولا لفعل القول. و أمّا ارتباطها بما بعدها فوقوعها متعلّقة بالقسم، أو وقوع ما بعدها مؤكّدا لها أو مشتملة على عامل الحال المؤثر في الحال.

القسم الثالث من (بلى):

في هذا القسم مواضع من (بلى) لم تحصل على إجماع العلماء في كيفية الوقف عليها، فقد اختلفوا في جواز الوقف عليها، و الأحسن المنع، لأنّ ما بعدها متصل بها و بما قبلها، فالوقف فيها جائز، و الوصل أقوى وأولى، و هي خمسة مواضع في القرآن كلّها، الأوّل في سورة البقرة (الآية 26) و الأربعة في ربع يس، هذا بيانها:

1. قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بُلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾².

واضح من موقع (بلى) في الآية أنّه لا يجوز الابتداء بها لأنّها مقول لما قبلها (قَالُوا بَلَىٰ). و اختلف العلماء في الوقف عليها لاختلافهم في نسبة الكلام الذي بعدها (وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ)، فقال مكّي (ت 437هـ) أنّ الوقف "حسن لأنّها جواب الاستفهام الداخّل على النفي قبلها و هو قول الخزنة: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) والمعنى قالوا: بلى أتتنا رسل. و هو قول نافع و غيره"³. و في ذلك نسبة لقول (وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) إلى الملائكة. وكذلك قرأ الداني (ت 444هـ)⁴ و قال وقف كافٍ.

¹ . زكريّا الأنصاري، إعراب القرآن العظيم، ص: 475.

² . الزمر/ 71.

³ . مكّي بن أبي طالب، الوقف على كلاً و بلى و نعم في القرآن، ص: 84.

⁴ . الداني، المكفّي في الوقف و الابتداء، ص: 490.

و قال النحاس (ت334هـ) " وقف تام على ما زوي عن نافع، و هو قول القتيبي و أحمد بن جعفر" ¹، و نقل مكّي رأيا آخر إذ " قيل الوقف الجيد على قوله (عَلَى الْكَافِرِينَ) لأنّ (بلى) و ما بعدها قول الكفار" ²، أي بنسبتهم الكلام الذي بعد (بلى) إلى الكافرين جوابا عن سؤال الخزنة على معنى: بلى أتتنا رسل و لكن حقت كلمة العذاب على الكافرين.

و الخلاصة أنّه لا يحسن الابتداء ب (كلّا) لأنّها جواب على لسان الكفار لما جاء قبلها من استفهام منفي على لسان خزنة النار (أَمْ يَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ)، و اختلف على الوقف عليها باختلاف النظر إلى (وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ)، فإن قيل على لسان الكفار كانت تابعة ل (بلى) و كان الوقف عليها حسنا و الوصل أولى، و إن قيل على لسان الملائكة خزنة النار كانت استثنائية و كان الوقف على (بلى) تاما.

2. قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ³.

سبقت (بلى) باستفهام منفي (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) فجاءت (بلى) ردّا له و تكديما من الله بمعنى: بلى نسمع سرهم و نجوهم، و تحذف الجملة لأنّ سياق ورود (بلى) دال عليها. و عليه فالوقف على (بلى) حسن جيّد بالغ لأنّه جواب ما قبله و الابتداء بها غير جائز، و ما يؤكّد حسن الوقف على (بلى) أنّ ما بعدها مبتدأ، إذ المبتدأ (رُسُلْنَا) و الخبر (لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ). و رجّح مكّي (ت 437هـ) وصلها بما بعدها " اختيارا للوقف على (يَكْتُبُونَ) لأنّ (وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ) جملة معطوفة على جملة"، و لا يستحسن فصل المعطوف عن المعطوف عليه، و إن كان ذلك مقبولا في الجمل.

و مجمل القول أنّ الابتداء ب (بلى) غير جائز كونها جوابا عن الاستفهام المنفي الذي سبقها. أمّا الوقف عليها فهو جائز على معنى الردّ على ما قبلها: بلى نسمع. و أمّا أولوية الوصل فلأنّ (بلى) متبوعة بجملة معطوفة عليها بتقدير: بلى نسمع سرهم و نجوهم و رسلنا لديهم يكتبون، إذ يجوز الفصل بين الجمل المعطوفة و يستحسن وصلها.

3. قال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ

أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ⁴.

¹ . النحاس، القطع و الإثنايف، ص: 613.

² . مكّي بن أبي طالب، الوقف على كلّا و بلى و نعم في القرآن، ص: 84.

³ . الزخرف/80.

⁴ . الحديد/14.

وقعت (بلى) في الآية مقول قول مرتبطة لفظا و معنى ب (قألوا) و عليه فالابتداء بها غير جائز. و أما الوقف عليها فهو "حسن، و هو قول نافع، لأنها جواب الاستفهام الداخل على النفي قبلها"¹، و ذلك بمعنى: بلى كنتم معنا. و أما قوله تعالى: (وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) فواضح من لضمير المخاطب (أنتم) أنه تنمة على لسان المؤمنين موجه إلى المنافقين، فيكون بذلك الوصل أولى مع جواز الوقف، حتى لا يفصل بين أجزاء مقول القول المبتدئ ب (بلى).

و عليه فالابتداء ب (بلى) غير جائز لأنها تابعة بالقول لما قبلها (قألوا بلى)، و الوقف عليها جائز لأنها رد على ما قبلها من الاستفهام (ألم نكن معكم)، و الوصل أولى مع ما بعدها لأنها تنمة القول أي لنفس القائل (قألوا بلى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ).

4. قال تعالى: ﴿كَأذُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ كَمَا أَلَّتْ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلْهِيَ تَكْرِمُهُ نَذِيرٌ﴾² قالوا بلى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ³.

جاءت (بلى) في الآية متوسطة كلاما يرتبط بها معنى و مبنى. فالسابق لها (قألوا) يجعلها مقول قول و يمنع الابتداء بها. كما يجعلها جوابا للهاكين يوم القيامة عن سؤال خزنة (ألم يأتيكم نذير) على معنى: بلى جاءنا نذير، و عليه فالوقف عليها حسن عند مكّي، و أجازته الداني³. غير أن مكّي رجح القول على الوقف لأنه تنمة القول بعد (بلى)، أي أن القول (قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ) للمؤمنين جوابا على سؤال خزنة النار. و لا يحسن التفريق بين بعض القول و بعض.

و الخلاصة أن الابتداء ب (بلى) في هذه الآية غير جائز لارتباطها بالقول (قألوا بلى)، و الوقف عليها مقبول كون الكلام تام بمعنى الرد على قول المنافقين، أي، قالوا: بلى جاءنا نذير. و الوصل أولى بما بعدها لأنّ القول مستمر للمنافقين (قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ).

III. الوقف على نعم:

أ - معنى نعم و موقعها في الجملة:

(نعم) بفتح العين حرف جواب و "حرف تصديق و وعد و إعلام"⁴.

¹ . مكّي بن أبي طالب، الوقف على كلاً و بلى و نعم في القرآن، ص: 86.

² . الملك/09.

³ . الداني، المكفّي في الوقف و الابتداء، ص: 579.

⁴ . ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ج2، ص: 398.

✓ فالتصديق إذا وقعت بعد خبر.

✓ و الوعد بعد الطلب بالأمر أو النهي (إفعل، لا تفعل).

✓ و الإعلام للمستخبر كالاتفهام.

و في كلمة (نعم) لغات، فكناثة تكسر عنها (نَعِم) و بها قرأ الكسائي، و أبدل بعضهم العين حاءً و بها قرأ مسود، و أتبع بعضهم كسر العين بكسر النون (نِعِم)¹.

با - الفرق بين (بلى) و (نعم):

(بلى) و (نعم) حرفا جواب، تختص (بلى) "لجواب كلام فيه جحد، و يكون قبلها إستفهام، و قد لا يكون قبلها إستفهام"². أمّا نعم فهي كما أسلفنا تكون تصديقاً لما قبلها من الكلام و إيجاباً له، و مثل ابن هشام للفرق بينهما بالقول: "و اعلم أنه إذا قيل (قام زيد) فتصديقه (نعم)، و تكذيبه (لا)، و يمتنع دخول (بلى) لعدم النفي. و إذا قيل (ما قام زيد) فتصديقه (نعم) و تكذيبه (بلى) و تمتع دخول لا"³. و مثل (قام زيد) (أقام زيد)، و مثل (ما قام زيد) (ألم يقيم زيد).

و الحاصل في الفرق بين (بلى) و (نعم):

1 - كلاهما حرف جواب، (بلى) تختص للكلام المنفي، و (نعم) تختص بكلام جميعه لتصديقه، ف (بلى)

بذلك لا تكون إلاّ بعد كلام منفي، و (نعم) تكون بعد النفي و غير النفي.

2 - (نعم) تصدّق الكلام المنفي و غير المنفي، و (بلى) تكذّب المنفي، و لا تدخل على غير المنفي. و مثال

ذلك للتوضيح:

جاءتكم الرسل؟ ← نعم جاءتنا الرسل (تصديق عبر المنفي).

لا، لم تجيء، (تصديق غير المنفي).

ألم تأتكم الرسل؟ ← نعم، لم تأتتنا (تصديق المنفي).

بلى، أتتنا (تكذيب المنفي).

ثا - مواضع (نعم) في ربع يس و الوقف عليها:

جاءت (نعم) في القرآن في أربع مواضع، بيانها يأتي في الجدول الآتي:

¹. ينظر: السيوطي، الإتقان، ص 503، ابن هشام الأنصاري، م غني اللبيب، ج 2، ص 398.

². ابن الجزري، التمهيد، ص: 88.

³. ابن هشام الأنصاري، م غني اللبيب، ج 2، ص 460.

الموضع	السورة	الآية	رقم الآية
1	الأعراف	﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾	44
2	الأعراف	﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾	114
3	الشعراء	﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٢٦﴾﴾	43
4	الصفات	﴿أَوْدَأْمُتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيْنَا الْمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾	18-17-16

و عليه ف (نعم) لم تقع في ربع يس إلا في موضع واحد في سورة الصفات سيأتي بيانه. أما الوقف عليها ف" المختار ألا يوقف على (نعم) في هذه المواضع لتعلقها بما بعدها و بما قبلها)¹.

قال تعالى : ﴿أَوْدَأْمُتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيْنَا الْمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾². توسطت (نعم) في الآية عنصرين متعلقين بما لفظاً و معنأ، الأول (قل) و هو خطاب متصل بما لا يجوز فيه الفصل "لاتصاله بالقول"³. و عليه فالوقف عليها متروك عند مكى.

أما ما بعدها " وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ" فالواو واو الحال و (أنتم) مبتدأ و (داخرون) خبر، و الجملة الاسمية (و أنتم داخرون) متعلقة على الحالية بـ (نعم) أي " في موضع الحال من المضمرة الذي في الفعل المحذوف بعد (نعم)"⁴، والتقدير هو: جواب للآية التي قبلها (إنا لمبعوثون): نعم تبعثون و أنتم داخرون. و عليه فوصل نعم بما بعدها (وأنتم داخرون) أحسن من فصله لأن الحال لا يفصل عن صاحبه.

و الحاصل من ذلك، أنه لا يوقف على (نعم) في هذه الآية لأنها متعلقة بما بعدها الذي وقع حالاً لصاحبه المضمرة في الفعل الذي نابت عنه (نعم) و فهم من السياق. و لا يبتدأ بما لأنها متعلقة بما قبلها و جزء منه فه ي مقول قوله.

¹ . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص/ 417.

² . الصفات/ 16، 18.

³ . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 255.

⁴ . مكى بن أبي طالب، الوقف على كلاً و بلى و نعم في القرآن، ص: 89.

و تجدر الإشارة إلى أنّ الداني و النحاس و السجاوندي و الأشموني لم يشيروا إلى الوقف على (نعم) في هذا
الموضع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

الفاصلة و أبعادها الصوتية و الدلالية

في ربع يس

المبحث الأول: قضايا صوتية في فواصل ربع يس

- I. أنواع الفواصل في القرآن الكريم.
- II. الخصائص النطقية لأصوات الفواصل
- III. العلاقات الصوتية القائمة بين أصوات الفواصل.
 - أ - التماثل الصوتي.
 - ب - الأنساق الصوتية.
 - ت - الأنساق المقطعية.

المبحث الثاني: الإيقاع الصوتي في الفواصل.

- I. مفهوم الإيقاع.
- II. الإيقاع في القرآن.
- III. أنواع الإيقاع في الفواصل القرآنية:
 - أ. الإيقاع الصرفي.
 - 1 إيقاع الأوزان و الصيغ
 - 2 إيقاع الاشتقاق
 - ب. الإيقاع البلاغي
 - 1 إيقاع الطباق و المقابلة
 - 2 التصوير بالمقابلة في ربع يس
 - 3 إيقاع المناسبة.

المبحث الثالث: جمالية التكرار في الفواصل القرآنية

- I. مفهوم التكرار.
- II. فوائد التكرار في القرآن
- III. أنواع التكرار في الفواصل:
 1. تكرارية الصوت.
 2. تكرارية الكلمات و الجمل.

المبحث الأول: قضايا صوتية في فواصل ربع يس

I. أنواع الفواصل في القرآن الكريم:

إن انتباه العلماء في القديم على تقسيم الفواصل إلى أنواع حسب مقاطعها الصوتية المناسبة للدليل قاطع على إحساسهم العميق ببلاغة النص القرآني و جمال النسق الصوتي الذي أسر ألباهم و كسر المألوف الفني الذي تربت على أساسه ذائقتهم الفنية.

و قد اختلف العلماء في أنواع الفواصل، فقالوا هي ثلاثة: متوازٍ، و مطرف، و متوازن¹. و قيل هي خمسة: مطرف، و متوازٍ، و مرصع، و متوازن، و متمائل². و كذلك اختلف بعض المحدثون سيرا على ما وضعه السابقون، فقبل هي ثلاثة، و قبل أربعة³، و قيل خمسة.

و أميل إلى القول بخمسة أقسام للإجمال و جمع الفائدة، و تفصيلها و أمثلتها من ربع يس نبيها فيما يأتي:

أ - الفواصل المتوازية:

و هي ما فيها " تنفق الكلمتان في الوزن و حروف السجع " ⁴. و أضاف إليها السيوطي شرطا فقال: " أن يتفقا وزنا و تقفية، و لم يكن ما في الأول مقابلا لما في الثانية في الوزن و التقفية " ⁵.

و مثال قوله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُورٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ ⁶.

الآية	الفاصلة	الوزن	التقفية
13	مَرْفُوعَةٌ	مفعول (مع تاء التأنيث).	عين مفتوحة متبوعة بتاء التأنيث.
14	مَوْضُوعَةٌ	مفعول (مع تاء التأنيث).	عين مفتوحة متبوعة بتاء التأنيث.

و مثال ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾

وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَلَكَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ ⁷.

¹ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 113.

² السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 769.

³ بزيادة الترسل عن ما أورده الزركشي. ينظر: محمود أحمد نبلح، لغة القرآن الكريم في جزء عم، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص: 365.

⁴ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 113.

⁵ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 769.

⁶ الغاشية/13، 14.

⁷ الواقعة/ 27، 34.

س-سورة الواقعة			
الآية	الفاصلة	الوزن	التقفية
28	مَحْضُودٍ	مفعول	واو و دال مكسورة
29	مَنْضُودٍ	مفعول	واو و دال مكسورة
30	مَمْدُودٍ	مفعول	واو و دال مكسورة
33	مَمْنُوعَةٍ	مفعول (مع تاء التانيث)	عين مفتوحة متبوعة بتاء التانيث.
34	مَرْفُوعَةٍ	مفعول (مع تاء التانيث)	عين مفتوحة متبوعة بتاء التانيث.

و في المثالين المذكورين، كان للفواصل المتوازية نسق صوتي فريد، فهي " تحمله من توافق صوتي بإعادة القالب الصوتي الأخير، و تكرار حرف الروي يؤدي إلى إثراء التعبير بهذا الرنين الموسيقي " ¹ الذي تألفه الأذن و تستسيغه النفس.

ب - الفواصل المتوازنة:

و هي الفواصل التي من خلالها " يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط " ² دون مراعاة حروف السجع. وأمثلة ذلك في ربع يس كثيرة نورد منها قوله تعالى: ﴿ وَنَارُكَ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَرَأْيِي مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ ³.

سورة الغاشية				
الآية	الفاصلة	الوزن	التقفية	فعل الفاصلة
13	مَصْفُوفَةٌ	مفعول (مع تاء التانيث).	فاء مفتوحة متبوعة بتاء التانيث.	صفّ
14	مَبْثُوثَةٌ	مفعول (مع تاء التانيث).	ثاء مفتوحة متبوعة بتاء التانيث.	بثّ

و قال تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ ⁴.

¹ . محمود أحمد نخلة، لغة القرآن الكريم في جزء عمّ، ص: 368.

² . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 113.

³ . الغاشية/ 15، 16.

⁴ . الواقعة/ 01، 03.

سورة الواقعة				
الآية	الفاصلة	الوزن	التقفية	فعلها
01	الْوَاقِعَةُ	فاعل (مع تاء التأنيث).	عين مفتوحة متبوعة بتاء التأنيث.	وقع
02	كَاذِبَةٌ	فاعل (مع تاء التأنيث).	باء مفتوحة متبوعة بتاء التأنيث.	كذب
03	رَافِعَةٌ	فاعل (مع تاء التأنيث).	عين مفتوحة متبوعة بتاء التأنيث.	رفع

و الملاحظ أن في الفواصل المتوازنة يتم التحلي عن الح رف المكرر و الاحتفاظ بالوزن، و هو ما يخلق في أذن السامع لحظة المفاجأة بتغيير الصوت، و لفت الانتباه و إيقاظ الذهن، و لكن مع الاحتفاظ بالوزن الذي يترك السامع على المستوى الصوتي نفسه.

و تجدر الإشارة إلى أنّ الفواصل المتوازنية و المتوازنة، عدّا عن نسقها الصوتي الذي يجذب أذن المستمع، فإنه يشكّل قوالب صوتية تسهّل حفظ القرآن الكريم، و ذلك لأنّ الذاكرة أميل إلى حفظ و تخزين الأنساق الصوتية و القوالب التركيبية.

تا - الفواصل المطرّفة:

و هي توالي فاصلتين ميزتهما أن "يتفقا في حروف السجع لا في الوزن" ¹. و لعلّها أكثر أنواع الفواصل شيوعا في القرآن الكريم، و من أمثلتها نذكر:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْتَلُ ① قُرْآنٌ لِّقَلِيلًا ② نَّصْفُهُ ③ وَأَنْقُصُ مِنْهُ قَلِيلًا ④ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَيْلَ الْقُرْآنِ تَرْتِيلًا ⑤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ⑧ وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ⑨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑩﴾ ².

¹. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 113.

². المزمّل/ 01، 09.

سورة المزمل			
الآية	الفاصلة	الوزن	التقفية
03	فَإِيَّالًا	فَعِيلا	اللام مسبوقة بمد (الياء) و متبوعة بمد (الألف).
04	تَرْتِيلاً	تَفْعِيلا	اللام مسبوقة بمد (الياء) و متبوعة بمد (الألف).
05	ثَقِيلاً	فَعِيلا	اللام مسبوقة بمد (الياء) و متبوعة بمد (الألف).
06	قِيلاً	فَعِلا	اللام مسبوقة بمد (الياء) و متبوعة بمد (الألف).
07	طَوِيلاً	فَعِيلا	اللام مسبوقة بمد (الياء) و متبوعة بمد (الألف).
08	تَبْتِيلاً	تَفْعِيلا	اللام مسبوقة بمد (الياء) و متبوعة بمد (الألف).
09	وَكِيلاً	فَعِيلا	اللام مسبوقة بمد (الياء) و متبوعة بمد (الألف).

و من ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ مُسْفِرَةً ۝۳۸ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۝۳۹﴾¹.

سورة عبس				
الآية	الفاصلة	الوزن	الفعل المشتقة منه	الوزن
38	مُسْفِرَةٌ	مَفْعَلَة	أسفر	أفعل
39	مُسْتَبْشِرَةٌ	مَسْتَفْعَلَة	استشتر	استفعل

غير أن الإعجاز الصوتي في فواصل القرآن الكريم قد قاد إلى حقيقة أخرى، و هي أن الفواصل التي لا تتفق في الوزن، تتفق في كثير من الأحيان في المقاطع الصوتية. فلا يكون الإيقاع Rhythm خارجيا كما يشيع في معظم الفواصل، و لكنه يكون إيقاعا داخليا على مستوى البنية المقطعية Syllabic structure تألفه الأعضاء الناطقة و السامعة على السواء.

و لتوضيح ذلك نورد المثال الآتي، من قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝۳۰ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝۳۱ وَمَالِيَ لَأَ عَبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝۳۲ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْعًا وَلَا يُنْقِذُونِ ۝۳۳ إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝۳۴ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ۝۳۵﴾².

1. عبس / 38، 39.

2. يس / 20، 25.

سورة يس				
الآية	الفاصلة	الوزن	الوصف	البنية المقطعية
20	الْمُرْسَلِينَ	مفعلين	اسم مفعول منصوب	ص ح ص - ص ح - ص ح خ ص.
21	مُهْتَدُونَ	مفعلون	اسم مفعول مرفوع	ص ح ص - ص ح - ص ح خ ص.
22	تُرْجَعُونَ	تفعّلون	فعل مضارع مبني للمجهول	ص ح ص - ص ح - ص ح خ ص.
23	يُنْقَدُونَ	يفعلون	فعل مضارع مبني للمعلوم	ص ح ص - ص ح - ص ح خ ص.
24	ضَلَالٍ مُّبِينٍ	مُفْعِل	اسم فاعل	ص ح ص - ص ح - ص ح خ ص.
25	فَأَسْمِعُونِ	فافعلوا + النون	فعل أمر + مفعول به.	ص ح ص - ص ح - ص ح خ ص.

فكل فاصلة في الآيات السابقة:

- ✓ تنتهي بصوت النون مع اختلاف في الحركة.
- ✓ لكل فاصلة وزن مختلف بين اسم و فعل.
- ✓ تتكون من البنية المقطعية نفسها المشكلة من ثلاثة مقاطع: متوسط مغلق، قصير مفتوح، ثم طويل مغلق.

ث - الفواصل المرصعة:

و هي توالي فاصلتين صفتها " أن يتفقا وزنا و تقفية، و يكون ما في الأولى مقابلا لما في الثانية كذلك " ¹ من حيث المعنى. و مثال ذلك من ربع يس قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ ². و في هذا النوع من الفواصل يشترط اجتماع الاتفاق الشكلي الصوتي مع التقابل الدلالي، فتجمع إلى حسن السجع وجمال النسق الصوتي روعة البيان الكامن في المقابلة. و للفواصل المرصعة موقع خاص في ذاكرة القارئ، لأن قراءته للآية الأولى تذكره بالآية الثانية، لتقابلهما في المعنى و تناسبهما في الصوت. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿١١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿١٢﴾﴾ ³.

¹. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 77.

². الانفطار/ 13، 14.

³. عبس/ 21، 22.

II. الخصائص النطقية لأصوات الفواصل :

تعد الأصوات المستعملة في الفواصل القرآنية من أكثر الظواهر المسجلة في الملحظ الصوتي للآيات. و قد حظيت قديما و حديثا بعناية الباحثين، و نحن في هذا المقام نسلط الضوء على أصوات الفواصل القرآنية في ربع يس و لكن بدراسة نطقية فقط باعتماد الإحصاء و الوصف.

يمثل الجدول الآتي للأصوات الأخيرة المستعملة في فواصل الآيات القرآنية في ربع يس.

الرتبة	الأصوات	التكرارية	النسبة
1	البينية (ن م ر ل)	1635	% 64.6
2	أصوات المد (الألف و الياء)	450	%17.78
3	المقلقة (ق ط ب ج د)	232	%9.17
4	باقي الأصوات	214	%8.45

يتضح من خلال الجدول أن الأصوات البينية هي أكثر الأصوات استعمالا في فواصل ربع يس، خاصة صوت النون الذي تكرر 1017 مرة. تليها أصوات المد و على صوت الألف، و في المرتبة الثالثة تأتي الأصوات المقلقة، فيما تتقاسم باقي الأصوات نسبة ضئيلة مقارنة بالفئات الثلاثة الأولى. و الملاحظ أن هذه الأصوات هي أكثر الأصوات استعمالا في قوافي الشعر العربي. و السبب في ذلك يعود لخصائصها الصوتية التي نفصلها فيما يأتي:

1. الأصوات البينية:

تنقسم الأصوات اللغوية من حيث كيفية حدوث اعتراض الهواء الساري أثناء النطق من طرف العضوين الناطقين إلى ثلاثة أقسام¹:

الشديدة: ينتج عن التقاء العضوين الناطقين بشدة، و انحباس الصوت في المخرج، ثم إطلاقه دفعة واحدة، والأصوات الشديدة هي: أ ج د ت ط ب ق ك. و تقابل صفة الشدة في الصوتيات الحديثة صفة الوقفة .Stop

¹. يُنظر ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص: 202. و سيويوه، الكتاب، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1982م، ج4، ص:435. و ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، دت، ص: 60. و كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص:204.

الرخوة: و تنتج من التقاء العضوين الناطقين دون حدوث شدة، ممّا يسمح بمرور صوت احتكاكي، و لهذا تسمى الأصوات الرخوة في الصوتيات الحديثة بالأصوات الاحتكاكية Fricatives. و الأصوات الرخوة هي: ه ج ع ح ش ص ض ز س ط ث ذ ف.

المتوسطة: و هي أصوات جمعت بين الشدة و الرخاوة، حيث "يبدأ النطق بانحباس الحرف في المخرج، وقبل أن يستوي هذا الانحباس يجري الصوت فيه"¹.

و رغم أن سيويه انتبه إلى صفة التوسط بين الشدة و الرخاوة إلا أنه لم يذكر منها إلا صوت العين قائلاً:

"وأما العين فبين الرخوة و الشديدة"². و جعلها ابن جني بعده ثمانية أحرف هي المجموعة في: لم يروعا.

وافقت الصوتيات الحديثة ما قدّمه الدرس الصوتي القديم من تقسيم الأصوات إلى شديدة و رخوة و متوسطة.

غير أن الأصوات المتوسطة لاقت اهتماماً كبيراً بسبب جملة من الخصائص التي تتميز بها و التي من أهمها كثرة استعمالها في النصوص الشعرية القديمة و خاصة الغنائية منها. و ما زاد هذا الاهتمام احتفاء الفواصل القرآنية بها. يمكن تقسيم الأصوات المتوسطة إلى مجموعتين:

- الأصوات البينية: و تضم ل، م، ن، ر.

- الأصوات اللينة: الواو، الألف، الباء. و سيأتي الحديث عنها لاحقاً في هذا المبحث.

و قد أثرت دراسة الأصوات: ل، م، ن، ر مجموعة مع بعضها تحت اسم: الأصوات البينية، لتشابه خصائصها

حتى لا أقع في مأزق التكرار. و لتسهيل تناولها أكثر أثرت دراستها حسب خصائصها الأساسية كما يأتي:

- حرفا الغنة: النون و الميم. Nasal

- الحرف المكرّر: الراء Rolled.

- الحرف المنحرف (الجانبي): اللام. Laterol

¹. يحيى بن علي المباركي، المدخل إلى علم الصوتيات العربي، خوارزم العلمية، جدّة، دط، 2008، ص:16.

². سيويه، الكتاب، ج4، ص: 435.

أ - الخصائص النطقية لصوتي الغنة:

الغنة صفة صوتي النون و الميم. و الغنة في اللغة مصدر الفعل غنّ، فقد أورد صاحب اللسان أن "الغنة : صوت في الخيشوم، وقيل : صوت فيه ترخيم نحو الخياشيم تكون من نفس الأنف، وقيل : الغنة أن يجري الكلام في اللهاة، وهي أقل من الخنة . الغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم ... وقيل: الأغن الذي يخرج كلامه من خياشيمه . وظي أغن: يخرج صوته من خيشومه"¹.

و أما صاحب القاموس المحيط فقد أورد أن: الغنة بالضم جريان الكلام في اللهاة، و ظي أغن، يخرج صوته من خياشيمه².

و يبدو من التعريفين السابقين أن الغنة مرتبطة في اللغة بمعنى إصدار صوت من جهة، و تميّز هذا الصوت بمخرجه الخيشومي من جهة أخرى.

ولا يتعد المعنى الاصطلاحي (للغنة) عن معناها اللغوي، و هي صفة نطقية يختص بها صوتا النون و الميم، فقد أورد سيبويه في الكتاب في وصفه الأصوات اللغوية قوله: " و منها حرف شديد يجري معه الصوت من الأنف (لأن ذلك الصوت غنة) فإنما تخرجه من أنفك و اللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت، و هو النون و كذلك الميم"³ و نستفيد من كلام سيبويه عن صفة النون و الميم أنّ الصوت يجري عند النطق بهما عبر الممر الأنفي بذلك عدم القدرة على نطق الصوتين بطريقة صحيحة عند الإمساك بالأنف أي إغلاق المجاري الخيشومية، و هذا ما يكسب الصوتين صفة الغنة، (وكذلك أورد الهمداني: " و الأغنّ النون و الميم، سميا بذلك لأن فيها غنة، و هو صوت يخرج من الخياشيم"⁴، ثم يفصل: " و إنما سمّي هذا الصوت غنة لجره مع النون و الميم بعد لزوم اللسان موضعها، يدلّك على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك عند النطق بهما لانحصر الصوت فيهما كالطين، لأنّ الخيشوم مركب فوق الغار الأعلى، و إليه سُمّو هذا الصوت"⁵.

يتضح أيضًا أن الغنة صفة أساسية في النون و الميم على عكس ما أورد مكّي: " النون و الميم الساكتان سميتا بذلك لأن فيهما غنة تخرج من الخياشيم عند النطق بهما، فهي زائدة كالإطباق الزائد في حروف الإطباق، و كالضمير الزائد في حروف الضمير....."⁶

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج11، مادة (غ ن ن).

² الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (غ ن ن).

³ سيبويه، الكتاب، ج4، ص: 435.

⁴ الهمداني، أبو العلاء احمد بن الحسن، التمهيد في معرفة التجويد، تح جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، 2005، ص: 252.

⁵ السابق، ص: 253.

⁶ مكّي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة و تحفيظ لفظ التلاوة، تح أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان، ط3، 1996، ص: 131.

إذ أن الغنة صفة متأصلة في صوتي النون و الميم لا يكون النطق الصحيح إلا بتحقيقها و ذلك بدليل قول سيويه " لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت " أي لم يتحقق صدور الصوت صحيحا.

و أفرد مكي في كتابه الرعاية بابًا للغنة بيّن فيه الفرق بين الغنة و النون الساكنة، فأورد: " الغنة نون ساكنة خفيفة تخرج من الخياشيم، و تكون تابعة للنون الساكنة الخالصة غير المخفأة و هي التي تتحرك مرّة و تسكن مرة، و للتونين، لأنه نون ساكنة، و للميم الساكنة"¹. فليس كل نون ساكنة غنة، و إنما الغنة هي الصوت المتبقي من النون الساكنة في حالة الإخفاء². و فرّق سيويه في كتابه بين النون الخالصة و النون غير الخالصة التي وصفها بالنون الخفيفة فقال: " و من الخياشيم مخرج النون الخفيفة"³.

فالفرق بين النونين هو المخرج، و هو ما رأى به علماء التجويد على رأسهم ابن الجزري الذي تحدّث عن مجرى الخيشوم فقال: "وهي للغنة، و هي تكون في النون و الميم الساكنتين حالة الإخفاء أو ما في حكمه من الإدغام بالغنة"⁴. و يرى الباحث إبراهيم أنيس أنّ الفرق بين النون و الغنة ليس متعلّقًا بالمخرج فقط و إنّما بمدّة نطقهما، ف " ليست الغنة إلا إطالة لصوت النون، فالوقف الذي يستغرقه النطق بالغنة هو في معظم الأحيان أضعاف ما تحتاج إليه النون المظهرة. و ليس هذا إلا للحيلولة بين النون و الفناء في غيرها. فالفرق بين النون المظهرة و نون الغنة فرق في الكمية من ناحية، و تطوّر النون و ميلها إلى مخرج الصوت المجاور من ناحية أخرى"⁵، و لعلّ سيويه سيويه يشير إلى هذا المفهوم بقوله نون خفيفة، أي لا يستقرّ سمعها في الأذهان حتى تزول بسرعة، و هو ما يجيل إلى زمن النطق، وذلك لارتباط الوضوح السمعي للصوت بزمن نطقه.

يستفاد ممّا سبق أن الغنة هي صوت يصاحب الميم و النون عند نطقهما و خروج كمية من النفس من التجويف الأنفي، و تكون الغنة واضحة حين تكون النون متبوعة بأصوات الإخفاء.

يقابل مصطلح (الصوت الأغن) عند القدماء مصطلح (الصوت الأنفي)⁶ عند المحدثين إشارة إلى المسار الأنفي الهوائي عند النطق بهذا الصوت حيث: " يتجه الهواء نحو التجاويف الأنفية نتيجة لانخفاض الحنك اللين و

¹ السابق، ص:240.

² و يكون الإخفاء إذا تُبعت النون بأصوات الفم و هي: القاف، و الكاف، و الجيم، و الشين، و الصاد، و الضاد، و السين، و الزاي، ، و الطاء، و الظاء، و الدال، و التاء، و الذال، و الثاء، و الفاء، و أما إذا تُبعت النون الساكنة بأصوات الحلق الستة هـ ع خ ع ح فلا يحدث الإخفاء و لا تسمع الغنة.

³ سيويه، الكتاب، ج4، ص: 434.

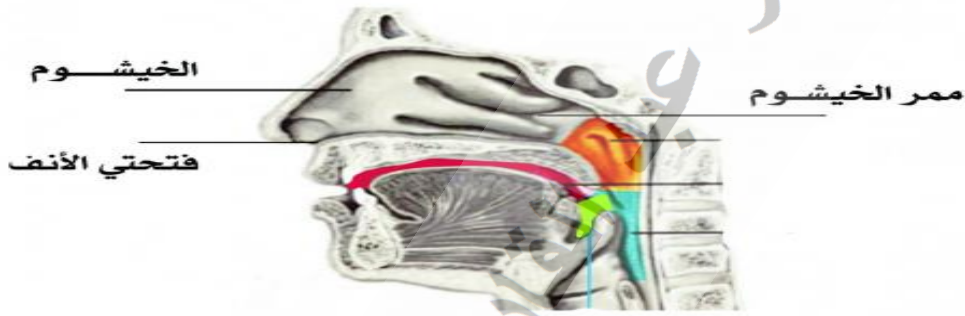
⁴ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص:201.

⁵ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة تحضة مصر، دت، ص: 62.

⁶ ينظر: مكهمون، الصوتيات، ص: 13. سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، تر: ياسر الملا، ص: 51. عصام نور الدين، الفونيتيكا، ص:226. برتيل مالبرج، علم الأصوات، تر: عبد الصبور شاهين، ص:92. سعد مصلح، دراسة الصوت و الكلام، صوتيات اللغة من

ابتعاده عن الجدار الخلفي للبلعوم¹ الذي " يحدث نتيجة إغلاق تام في تجويف الفم مع السماح للهواء بالانطلاق عبر تجاويف الأنف من غير أن يقوم الصمام بعزل الهواء الموجود في تجويف الفم عن الهواء المنطلق عبر الأنف"². فانخفاض الحنك اللين يغلق منفذ تجويف الفم أمام الهواء غلغلاً يُمكنّ الهواء من النفاذ إلى تجويف الأنف. يمثّل الشكل (أ) منطقة الخيشوم (التجويف الأنفي) التي يمرّ من خلالها الهواء عند نطق صوتي النون والميم.

منطقة الخيشوم



الشكل (أ): رسم توضيحي للتجويف الأنفي.

و يلخص الباحث سمير شريف استيتية ميكانيكية نطق الأصوات الأنفية masals في مرحلتين³:

1 - يلتقي عضوان ناطقان، فيغلق التقاؤهما الطريق، أمام تيار الهواء غلغلاً كاملاً مدة نطق الصوت. و هذا

يعني شيعين هما:

أ - أن إغلاق الممر الفموي ليس إغلاقاً لحظياً، وإنما هو إغلاق مستمر مدة نطق الصوت.

ب - إن تيار الهواء لا يتوقف، بل يستمر في تدفقه.

الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، ط2000، 1، ص: 125. سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، رؤية عضوية و نطقية و فيزيائية، دار وائل للنشر، عمان، ط1، 2003، ص: 141.

¹ M K C. MACMAHON، م ك س ماكماهون، الصوتيات، عن موقع : 3w.pdfactory.com.

² سعد مصلوح، دراسة السمع و الكلام، ص: 128.

³ سمير استيتية، الأصوات اللغوية، ص: 141.

2 سيحوّل تيار الهواء مساره، فيتجه إلى الحجرة الأنفية التي تكون قد انفتحت ليمر تيار الهواء منها.

(1) صوت النون:

يحتل صوت النون مرتبة متوسطة بين الميم و النون عملاً بمبدأ الصوت الأبعد مخرجاً، و حظي باهتمام خاص عند اللغويين و القراء لكثرة استعماله في القرآن و الشعر و الكلام العام من جهة و بخصائصه النطقية المميزة من جهة أخرى و " النون حرف مجهور أغن" ¹ متوسط القوة ².

و النون صوت " تخرج من المخرج السادس من مخارج الفم" ³ "من حافة اللسان من أذناها إلى منتهى طرف اللسان و ما بينها و بين ما يليها من الحنك الأعلى و ما فُويق الثنايا" ⁴. و يحدث صوت النون بانحباس الهواء حبساً تاماً غير قوي، و تسرّب الهواء بعضه من الفم، و أكثره إلى ناحية الخيشوم ⁵.

و يتقارب حرف النون مع حرف اللام لقرب المخرجين و لانحراف اللام إلى مخرج النون، و لأنهما مجهورتان رخوتان، لكن في النون غنة ليست في اللام" ⁶.

و يصنف الخليل النون من حيث مخرجها ⁷ مع اللام و الراء و يصفها بالألقة: " اعلم أن الحروف الدُّلق والشفوية ستة و هي: ر ل ن، ف ب م، و إنما سميت ذلكاً لأن الدلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفوتين، و هما مدْرَحَتَا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذليقة: ر ل ن... و لا ينطلق اللسان إلاّ بالراء و اللام و النون" ⁸. و ذلك لانحراف الهواء في هذه الحروف عن ظهر اللسان على خلاف سائر الحروف التي ترتفع فوق ظهر اللسان.

يبين الشكل (ب) مخرج صوت النون:

¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص: 435.

² مكّي بن أبي طالب، الرعاية، ص: 193.

³ مكّي، الرعاية، ص: 193.

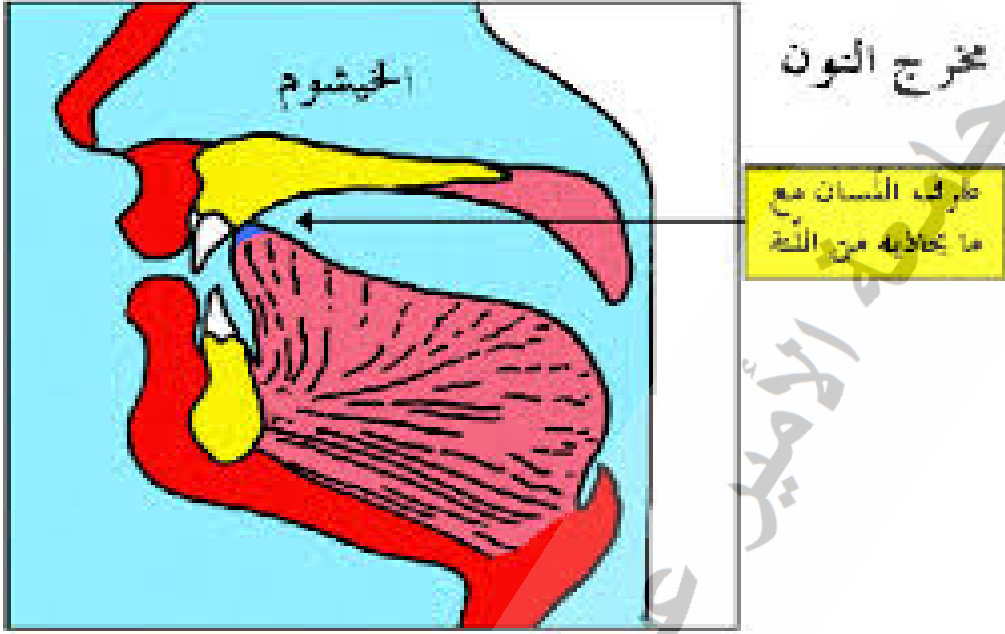
⁴ سيبويه، الكتاب، ج4، ص: 433.

⁵ ينظر: ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص: 83.

⁶ مكّي، الرعاية، ص: 193.

⁷ قسم الخليل مخارج الحروف إلى ثمانية مخارج، أعمقها الحلق، و آخرها الشفتان، معتمداً في ذلك على طريقة من وضعه، و أساسها أن يكون الحرف المراد نطقه خالصاً من أي حركة، فيقوم الناطق بفتح فمه بالألف نحو: أن، أب، أح... فوجد أن العين أدخل الأصوات في الحلق فسّمى مصنفه باسمه.

⁸ الخليل، العين، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص: 51.



الشكل (ب). مخرج صوت النون.

توصف النون في الصوتيات الحديثة بأنها "وحدة صوتية Phoneme أو Phonetic Unit بها وظيفة مستقلة في البناء الصوتي للكلمة، و لكن هذه النون من أكثر الأصوات العربية الصامتة قابلية للتغيير في الأداء النطقي الفعلي، إن سماتها الأصلية قد يشوبها شيء من التغيير بحسب السياق الذي تقع فيه، فتظهر بها صور فرعية أو تنوعات مختلفة Variants أو Allophonemes" ¹. و هو ما وَّجه عناية علماء التجويد إلى معالجة أحكامها في مباحث مستقلة ². حيث يتأثر نطق صوت النون بما يجاورها من الأصوات المنطوقة ³. بانتقال بانتقال مخرج النون إلى مخرج الميم في كلمة (منبر) التي تُنطق (ممبر) و ذلك بسبب مجاورة النون للباء . فانون تفقد مخرجها اللثوي لتأخذ مخرجًا آخر تأثرا بالصوت المجاور، و من أمثلة ذلك:

- تتحول النون اللثوية إلى حنكية متأخرة طبقية إذا كانت متبوعة بالكاف، و ذلك كما في: منكم، و من كان .

¹ كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 2000، ص: 349.

² ينظر: ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص: 68 . و مكِّي، الرعاية، ص: 262. أبو عمرو الداني، التحديد في الإلتقان و التجويد، تح غانم قَدّوري الحمد، دار عمّار، عمان، ط1، 2000، ص: 111. الصفاقسي، تنبيه الغافلين إرشاد الجاهلين عمّا يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب

الله المبين، تح محمد الشاذلي النيفر، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1974، ص: 102.

³ انتبه القدماء إلى ظاهرة تأثر الأصوات بما يجاورها من الأصوات عن طريق المماثلة و استعمل سيويوه في ذلك مصطلح التقريب و المضارعة (الكتاب، ج4، ص: 477)، و تقتضي هذه الظاهرة تغيير الصوت في مخرجه أو صفة من صفاته تحت تأثير مجاورته لصوت آخر.

- تتحول النون اللثوية إلى لهوية إذا كانت متبوعة بالقاف و ذلك كما في: منقول، من قال¹.

و لا ينحصر تقارب صوت النون مع صوتي اللام و الراء في صفة الذلاقة فقط، بل تجمعهما خصائص أخرى أجمعها في الجدول الآتي:

الحرف	المخرج	الصفات
النون	لثوي (اللثة مع ذلق اللسان)	مجهور متوسط بين الشدة و الرخاوة
اللام	لثوي (اللثة مع ذلق اللسان)	مجهور متوسط بين الشدة و الرخاوة
الراء	لثوي (اللثة مع ذلق اللسان)	مجهور متوسط بين الشدة و الرخاوة

يتضح من الجدول التطابق الكبير بين أصوات النون و اللام والراء في المخرج و الأعضاء الناطقة (اللثة مع ذلق اللسان) و في كل الصفات الأخرى مع تسجيل تفرد النون (مع الميم) بصفة الغنة، و اللام بصفة الانحراف والراء بصفة التكرار، و يؤكد (مكي) في (الرعاية) تقارب صوتي النون و اللام بقوله: " و النون مؤاخي اللام لقرب المخرجين و انحراف اللام إلى مخرج النون، و لأنهما مجهورتان رخوتان، لكن في النون غنة ليست في اللام"² و بهذا التقارب في المخرج و الصفة " أبدلت العرب إحداهما من الأخرى فقالوا: هنتت السماء و هتلت إذا هطل ماؤها بقوة"³. و ليس التقارب بين الأصوات البيئية في مخرجها و صفاتها النطقية فحسب، فقد أشارت الدراسات الفيزيائية للأصوات اللغوية أنّ هذه الفئة تتميز عن غيرها بالوضوح السمعي⁴، من ذلك ما أورده إبراهيم أنيس في قوله: "على أنّ المحدثين قد لاحظوا أنّ اللام و النون و الميم أصوات عالية النسبة في الوضوح السمعي. و تشبه أصوات اللين في هذه الصفة، ممّا جعلهم يسمونها أشباه أصوات اللين"⁵، فهي تشترك مع الحركات في

¹. سمير أستيتية، الأصوات اللغوية، ص: 142.

². مكي، الرعاية، ص: 193.

³. مكي، الرعاية، ص: 193.

⁴. الوضوح السمعي خاصية تعني قوة إسماع الأصوات اللغوية، أي الإدراك السمعي الصحيح للأصوات اللغوية بالقدر الذي يمكن معه للسامع أن يميز صوتاً لغوي عن آخر، و هي خاصية تختلف من صوت لغوي إلى آخر، يقوم على بعدين: بعد آكوستيكي، و بعد سمعي. ينظر: خلدون أبو الهيجاء، فيزياء الصوت و وضوحه السمعي.

⁵. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 88.

الخاصية السمعية المهمة التي تتمثل في الوضوح السمعي sonority، و هذا "نتيجة طبيعية لحرية مرور الهواء عند نطق هذه الأصوات جميعاً"¹، و هذا ما قاد الدارسين إلى نعتها بـ "أشباه الحركات". فليس غريباً أمام صفة الوضوح السمعي أن تختار العرب الأصوات البينية قوافياً لأشعارها، و لا القرآن الكريم فواصلآ لآياته .

2) صوت الميم:

اهتم الخليل في ترتيبه لمخارج الأصوات بالنظر إلى مبدأ الصوت، و جعل العين و الحاء حلقية لأن مبدأها من الحلق. و جعل الميم في آخر ترتيبه للأصوات العربية فقال: "و الفاء و الباء و الميم شفوية لأنّ مبدأها من الشفة"²، فجعلها من الفاء و الباء في حيز واحد لتقارب مخرجيهما، غير أنّه قدّم الفاء و الباء عليها، و جعل سيويه الميم مع الباء و الواو في المخرج فاصلاً عنها الفاء. إذ يقول: "و من باطن الشفة السُّفلى و أطراف الثنايا العُلَى تُخرجُ الفاء. و ممّا بين الشفتين مخرج الباء، و الميم³ و الواو"⁴. ذلك أنّ الفاء صوت شفويّ أسناني و ليس شفويّاً خالصاً، و الباء أدخل من الميم في الحيز، ففي حين تخرج الباء من داخل الشفة، فإنّ الميم تخرج من وسطها"⁵. وهو انتباه ذكي من (الخليل) أن قدّم الباء على الميم على الرغم من خروجهما من حيز واحد. ويسجل (مكي) في (الرعاية) ملاحظة حول تقاربهما فيقول: "الميم تخرج من مخرج الباء ... و هي أحت الباء في الجهر و الشدة، غير أنّ الميم فيها غنة إذا سكنت تخرج من الخيشوم مع نفس يجري معها، فشابهت بخروج النفس الحروف الرّخوة. فلولا تلك الغنة و النفس الخارج معها لكانت الميم باءً لاتفاقهما في المخرج و الصفات و القوّة"⁶. و لهذا التقارب ينطق المزكوم الميم باءً بسبب انسداد مجري الخيشوم. فمخرج الباء و الميم واحد غير أن الباء شفوية خالصة و الميم شفوية أنفية، و يتشكل صوت الميم "بأن يمرّ الهواء بالحنجرة أولاً فيذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك، فسدّ مجري الفم فيتخذّ الهواء مجراه في التجويف الأنفي، محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يُسمع. و في أثناء تسرب الهواء من التجويف الأنفي تنطبق الشفتان تمام الانطباق"⁷، و على هذا الأساس صنفت الميم من الأصوات المتوسطة بين الشدّة و الرخاوة

1 . كمال بشر، علم الأصوات، ص: 359.

2 . الخليل، مقدمة العين، ج1، ص: 58.

3 . من المهم الإشارة إلى أن سيويه اختلف مع الخليل في مخرج الواو، ففي حين جعله الأول حرفاً شفويّاً، لم يجعل له الثاني مخرجاً و اعتبره، مع الألف و الياء، صوتاً بدون مخرج ينسب إليه، و وصفها بالأصوات المعتلة الجوفية. ينظر سيويه، الكتاب، ج4، ص: 34. الخليل، مقدمة كتاب العين، ص: 57.

4 . سيويه، الكتاب، ج4، ص: 493.

5 . محمد فتح الله الصغير، الخصائص النطقية و الفيزيائية للصوامت الرنينية، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2008م، ص: 209.

6 . مكي ، الرعاية، ص: 232.

7 . إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 48.

فالشديدة لشدة الحبس منفجرة، و الرخوة منعدمة الحبس و يُسمع لها حفيف أعلى من حفيف الأصوات المتوسطة.

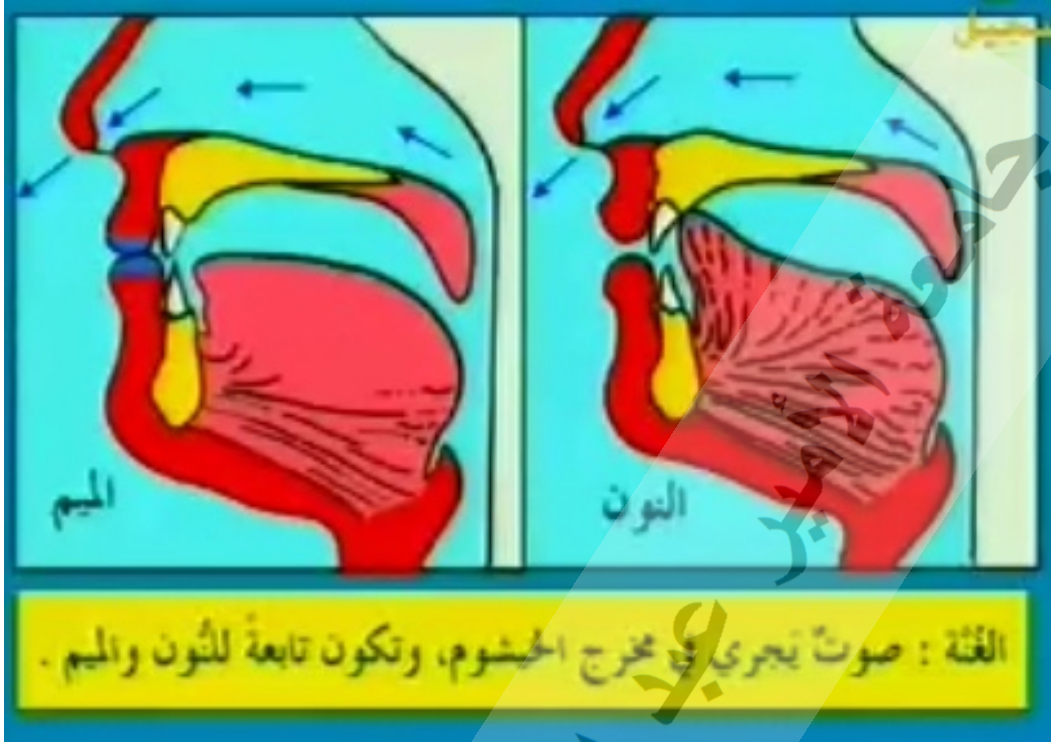
أخلص ممّا سبق إلى أنّ صوت الميم يتقارب مع صوت الباء في المخرج و الصفات، و يتقارب مع صوت النون في آلية النطق و صفة الغنة كما أشرت سابقاً في الحديث عن الغنة. و يمثل الجدول الآتي تقارب صوتي الباء و الميم من حيث المخرج و الصفات.

الصفات				المخرج	الصوت
منفتح	مستفل	ذلق	متوسط بين الشدة و الرخاوة	مجهور	الميم شفوي (الشفة السفلى مع العليا)
منفتح	مستفل	ذلق	شديد	مجهور	الباء شفوي (الشفة السفلى مع العليا)

يتضح من الجدول التقارب الكبير بين صوتي الميم و الباء في مخرجهما الشفوي و أعضائهما الناطقة و هي الشفة السفلى مع الشفة العليا مع تسجيل أنّ الباء أقوى من الميم كون الأولى شديدة و الثانية متوسطة بين الشدة و الرخاوة و الذي يرجع إلى أن انغلاق مجرى الهواء في الميم ليس تاماً بسبب تسرب الهواء عبر تجويف الخيشوم. و قد انتبه القدماء إلى هذا التقارب بين الباء و الميم، فأجازوا إدغام الباء مع الميم إدغاماً بغنة، كمثل قوله تعالى: ﴿أَرْكَبْ مَعَنَا﴾¹. بل و أجازوا إبدال الميم من النون إذا سبقت النون ساكنة و متبوعة بالباء، في مثل: (عَنْبَرٌ) تُنطق (عَمْبَرٌ)، و (مَنْبَرٌ) تنطق (مُئْبَرٌ). و قال ابن جني ذلك بقوله: "و إنّما قُلِبَتْ كَمَا وَقَعَتْ سَاكِنَةً قَبْلَ الْبَاءِ مِنْ قَبْلِ أَنْ الْبَاءِ أَخْتِ الْمِيمِ، وَ قَدْ أَدْغَمْتَ النُّونَ مَعَ الْمِيمِ فِي نَحْوِ: مِنْ مَعَكَ، وَ مِنْ مُحَمَّدٍ، فَلَمَّا كَانَتْ تَدْغَمُ النُّونَ مَعَ الْمِيمِ الَّتِي هِيَ أَخْتُ الْبَاءِ أَرَادُوا إِحْلَالَهَا أَيْضاً مَعَ الْبَاءِ إِذْ قَدْ أَدْغَمُوهَا فِي أَخْتِهَا الْمِيمِ"². في نهاية حديثنا عن صوتي النون و الميم نورد شكلا الشكل (ج) يبيّن اختلاف الصوتين من حيث المخرج، وتشابههما في صفة الغنة التي تنتج عن تسرب الهواء إلى تجويف الأنف. و هي صفة لصيقة بهما و مميّزة لهما دون سائر الأصوات اللغوية الأخرى.

¹. هود/ 42.

². ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص: 421، 422.



الشكل (ج): مخرج صوتي الغنة (النون و الميم).

بأ - الصوت المنحرف (اللام):

اللام صوت "مجهور متوسط بين الشدة و الرخاوة"¹، فأما الجهر فلتقارب الوترين الصوتين عند النطق به إلى حدٍّ أشبه بالالتصاق، ثم يُباعَدُ بينهما بقوة من الأسفل إلى الأعلى التيار الرئوي الهوائي المتدفق خلال فتحة المزمار، و تتكرر عملية الملامسة و التفريق مكونة ذبذبة² تؤدي إلى إنتاج الصوت المجهور.

و أما المتوسط بين الشدة و الرخاوة، فلأنه "من الحروف الرخوة، لكنه انحرف به اللسان مع الصوت إلى الشدة، فلم يعترض في منع خروج الصوت اعتراض الشديدة و لا خرج معه الصوت كله خروجاً مع الرخوة"³. بل هو متوسط بين الشدة و الرخاوة، و يوافق وصف مكّي لصوت اللام وصف سيبويه الذي يصفه: "و منها (المنحرف) و هو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت"⁴، فيتسرب الهواء من المنفذ

¹ . إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 55.

² . أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1997، ص: 128.

³ . مكّي بن أبي طالب، الرعاية، ص: 132.

⁴ . سيبويه، الكتاب، ج4، ص: 435.

الجاني، و يحرف مساره، ممّا ينتقل بصوت اللّام من صفة الشدّة إلى الرخاوة، فالانحراف الذي في نطق صوت اللّام إمّا هو "الحرف عن الشدّة إلى الرخاوة"¹، و هذا ما يفسّر وصف اللغويين له بالصامت المنحرف.

و يُنطق صوت اللّام ب"اعتماد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة، بحيث توجد عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء، و لكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم أو أحدهما"²، و هذا ما يفسّر جانبية الصوت، و تذبذب الأصوات (الجهر) حال النطق به و يتفق جمهور العلماء على أن اللّام نوعان: مرققة، ومغلظة³ غير أن "أكثر ما يقع لفظ اللام مرققاً غير مغلظ، لا سيما إذا كان بعدها ألف"⁴. مع الإجماع على أن اللام في لفظ الجلالة (الله) يُقرأ بالتفخيم دائماً ما عدّا إذا سبق بكسر نحو: باسم الله، و تُقرأ بالتفخيم مطلقاً في سائر اللفظ إذا كانت مفتوحة، أو سُبقت بصوت استعلاء (الصاد، و الطاء، و الضاء)⁵.

يمثل المخطط (أ) مواضع تفخيم و ترقيق اللام في اللغة العربية:



الشكل (أ): مواضع تفخيم اللام و ترقيقها.

¹ محمد يحي سالم الجبوري، مفهوم القوة و الضعف في أصوات العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص: 52.

² كمال بشر، علم الأصوات، ص: 347.

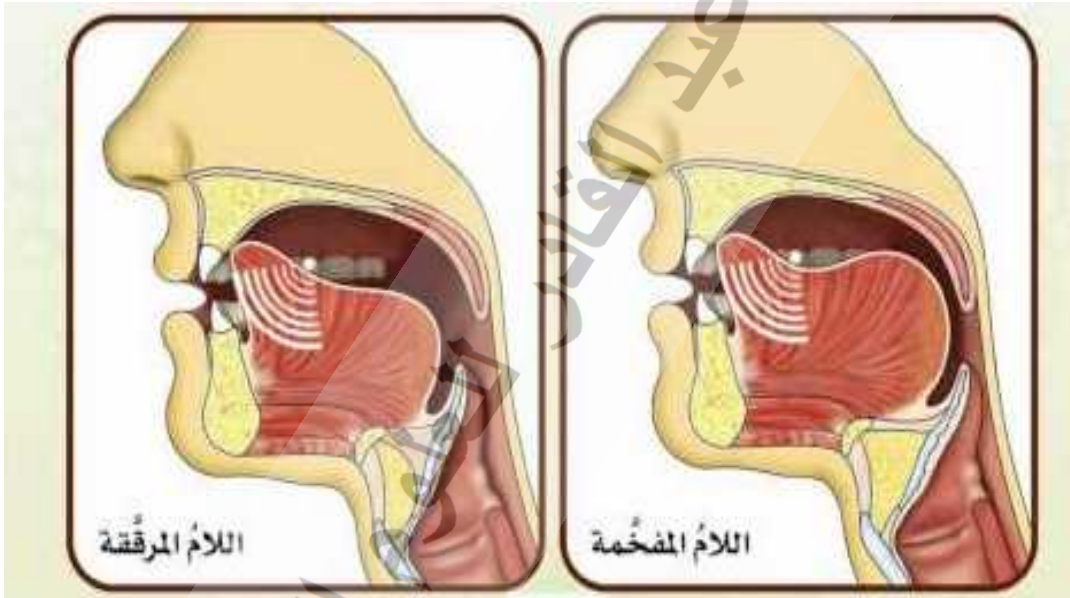
³ تنقسم الأصوات اللغوية من حيث التفخيم و الترقيق إلى ثلاثة أقسام: قسم يفخم دائماً و هي حروف الاستعلاء: ح ص ع ط ق ط. و قسم يرقق دائماً و هي حروف الاستفال كلها (ماعداً حرفي اللام و الراء). و قسم يفخم أحياناً و يرقق أحياناً و هي: الراء، و لام لفظ الجلالة، و الألف اللينة، و التفخيم هو تسمين الحروف و تغليظها عند النطق بما حتى يبدو الفم ممثلاً بالحرف و الترقيق حالة من الرقة و التنحيف تدخل على صوت الحرف عند النطق به.

⁴ مكّي بن أبي طالب، الرعاية، ص: 188.

⁵ ينظر: مكّي بن أبي طالب، الرعاية، ص: 189، 190، و الداني، التحديد في الإتيان و التجويد، ص: 159، 160.

و الفرق في نطق اللام مغلظة أو مرققة يكمن في وضع اللسان، و "اللسان مع المغلظة يتخذ شكلا مقعراً كما هو الحال مع أصوات الإطباق"¹، ليكون الفرق بين اللامين شبيهاً بالفرق بين التاء المستغلة و الطاء المستعلية، غير أن اللام المغلظة لم تحظ بترميز خاص. و مكّن العلم الحديث من التدقيق أكثر في وصف نطق اللامين، ف جاء أنه "عند نطق اللام المفخمة فإن قمة اللهاة ترتفع لشد الحلق الأنفي، و يتقعر وسط اللسان ليقترّب مؤخره من الطبق و يتصل قوس مستدّقه بقوس اللثة، و يهبط الفك السفلي بزاوية قدرها 37.5° "²، بمقابل امتداد اللسان بشكل مستقيم تقريباً عند النطق باللام المرققة.

يمثل الرسم (ب) توضيحاً لشكل اللسان عند نطق باللام المرققة و اللام المفخمة.



الشكل (ب): الفرق النطقي بين صوتي اللام المفخمة و اللام المرققة.

¹ . إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 56 .

² . محمد فتح الله الصغير، الخصائص النطقية و الفيزيائية للصوامت الرنينية، ص: 84.

ت - الصوت المكرر (الراء):

يأخذ الراء عند الخليل حيناً واحداً مع اللام و النون ¹ . و وصفه بالذلق ² . التي كثر استعمالها في لغة العرب، و يصفه الداني بأنه " حرف مجهور، شديد، مكرّر، حركته تعدّ حركتين لتكريره " ³ ، متفرد بصفة التكرار من غيره من الأصوات، و الذي فسّر بـ "ارتعاد طرف اللسان بالراء، مكرّراً لها" ⁴ . و الذي يظهر أكثر إذا كان مشدّداً. و يرى سيبويه أن التكرار صفة أساسية في الراء و لا يتم النطق الصحيح إلّا بها في تعريفه للراء: و منها (المكور) و هو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره و انحرافه إلى اللام، فتجاني للصوت كالرخوة، و لو لم يُكرّر لم يجد الصوت فيه، و هو الراء" ⁵ . و هو يقع عنده بعد اللام و قبل النون.

و يفصل ابن سينا أكثر في ميكانيكية النطق به فيقول: " و إذا كان الحبس ايس و ليس قوياً و لا واحداً بل يتكرّر الحبس في أزمنة غير مضبوطة كان منه الترعيدات في الإيقاعات، و ذلك لشده اهتزاز سطح اللسان حتى يُحدث حساً غير محسوس حدث الراء" ⁶ ، فيتكرر التقاء طرف اللسان بالحنك الأعلى غير مرّة عند النطق به، وكأنه يطرقه طرقاً خفيفاً. و يصنف مكّي بن أبي طالب الراء صوتاً منحرفاً " لأنه انحرف عن مخرج النون إلى مخرج اللام، فهو من الحروف المنحرفة و لأنه، انحرف عن الرخاوة إلى الشدة" ⁷ ، أو ما يُعرف بالتوسط بين الشدة والرخاوة و الذي نشأ من تسرب الهواء بسبب الاتصال الضعيف بين عضوي النطق.

و للراء صورتان نطقيتان: المفخمة و المرققة و تفخّم الراء في ثمان حالات:

- إذا كانت مفتوحة.
- إذا كانت مضمومة.
- إذا كانت ساكنة بعد فتح.
- إذا كانت ساكنة بعد ضم.
- إذا كانت ساكنة بعد ساكن يسبقه مفتوح .
- إذا كانت ساكنة بعد ساكن يسبقه مضموم.

¹ . يعدّ (مكّي) صوت الراء مؤاخياً لصوتي النون و اللام لتقارب مخرجه إلى مخرجهما: " لأنه (أي حرف الراء) حرف مؤاخٍ للنون و اللام، و لأنه من مخرج النون، و لأنه انحرف عن مخرج النون إلى مخرج اللام". الرعاية، ص: 195.

² . الخليل، العين، ج1، ص: 58.

³ . الداني، التحديد في الإتقان و التجويد، ص: 151.

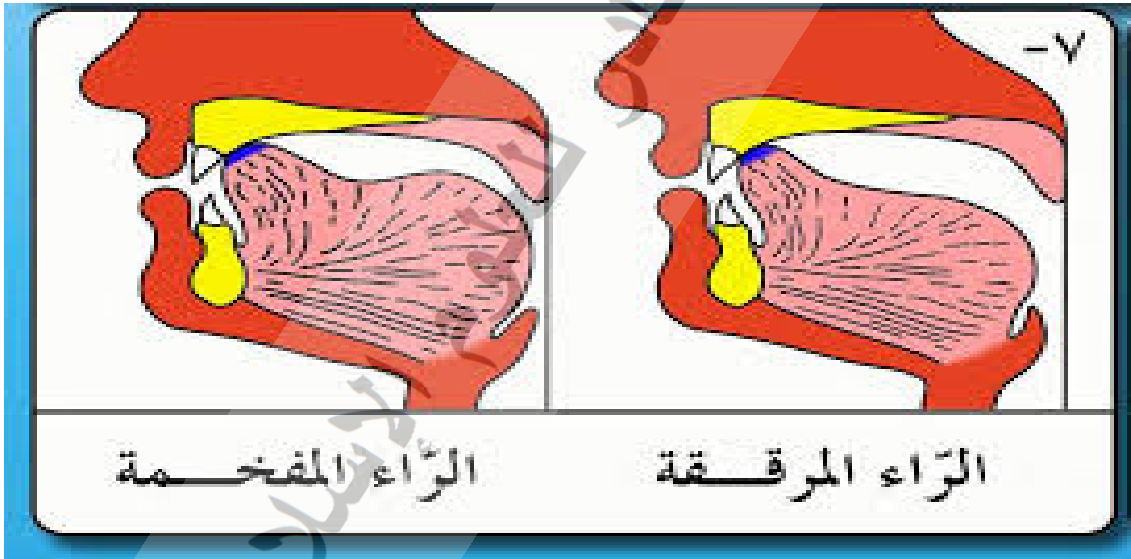
⁴ . مكّي، الرعاية، ص: 196.

⁵ . سيبويه، الكتاب، ج4، ص: 435.

⁶ . ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص: 82.

⁷ . مكّي ، الرعاية، ص: 131.

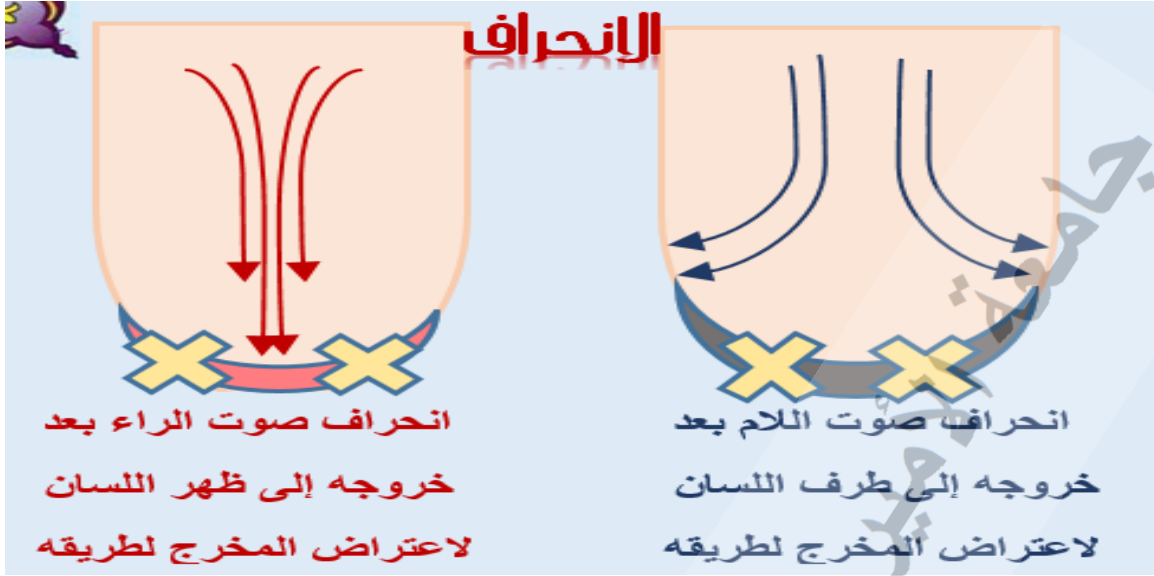
- إذا كانت ساكنة بعد كسر عارض (همزة وصل) .
 - إذا كانت ساكنة بعد كسر أصلي، و بعدها حرف استعلاء في كلمة واحدة (مرصاد).
 - و ترقق الراء في ست حالات:
 - إذا كانت مكسورة.
 - إذا كانت ساكنة و قبلها كسر أصلي و بعدها مستقل (فرعون).
 - إذا كانت ساكنة و قبلها كسر أصلي و بعدها مستقل في كلمة منفصلة (أَنْدِرُ قومك).
 - إذا كانت ساكنة و قبلها ساكن مسبوق بمكسور (حجر).
 - إذا كانت ساكنة و قبلها ياء ساكنة (نذير، خير)، (مدية أو لينة).
 - إذا كانت ساكنة و قبلها متطرقة و قبلها كسر.
- أما الفرق بين الراء المفخمة و الراء المرققة من حيث آلية نطقهما فهو الفرق نفسه بين اللامين المفخمة و المرققة، إذ يتعلّق الأمر باتخاذ اللسان شكلا مقعرا.
- يمثل الرسم (أ) توضيحا لشكل اللسان عند نطق بالراء المرققة و الراء المفخمة.



الشكل (أ): الفرق النطقي بين صوتي الراء المفخمة و الراء المرققة.

يتشابه صوتا اللام و الراء، إضافة إلى تقارب مخرجيهما و تشابههما في بعض الخصائص، في خاصية انحراف الهواء عند النطق بهما، إذ يجري الهواء من الرئتين إلى الحلق مارا بالحنجرة، و يخرج نحو الفم، فإذا ضاق المخرج بالتصاق العضوين الناطقين انحرف الهواء باحثا عن منفذ له، فيخرج من جانبي اللسان حين النطق باللام، و يتسرب من الأمام عند تكثّر ضربات اللسان حين النطق بالراء.

يمثل الشكل (ب) الفرق بين انحراف الهواء عند النطق باللام و انحرافه عند النطق بالراء.



الشكل (ب): انحراف الهواء عند نطق صوتي اللام و الراء.

2. الحروف المقلقة:

أجمع اللغويون على أنّ الحروف المقلقة خمسة، و جمعوها في عبارة (قطب جد)، وهي حروف اشتركت في صفة القلقلّة إضافة إلى صفتي : الشدّة، والجهر . وسميت مقلقةً " لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقوف عليهم، وزيادة إتمام النطق بهنّ، فذلك الصوت في الوقف عليهنّ أبين في الوصل بهنّ، وقيل أصل هذه الصّفة القاف، لأنّه حرف لا يقدر أن يؤتى به ساكناً إلّا مع صوت زائد لشدّة استعلائه، وأشبهه في ذلك أخواته"¹ .

وصف سيبويه هذه الأصوات بـ (المشربة)، فقال: "و أعلم أنّ من الحروف حروفاً مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صوت ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلّة.... وذلك القاف والجيم والطاء والباء والدليل على ذلك أنّك تقول: الحذق، فلا تستطيع أن تقف إلّا مع الصوت لشدّة ضغط الحرف، وبعض العرب أشدّ صوتاً كأنهم الذين يرومون الحركة"² . شبّه مكّي ذلك الصوت بالنبرة حيث أورد : " و إنما سميت بذلك لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن، و إرادة إتمام النطق بهن " ³ . و يبدو أنّ قول ابن جني أوضح من كلام سيبويه حيث وصف القلقلّة بـ " حفز الحروف في الوقف و ضغطه عن موضعه " ⁴ . و الحفز في اللغة " حثك الشيء من خلفه سوفاً و غير سوق . و محفزة الحزام: الفرس تدفع الحزام بمرفقيها من شدة

¹ . ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص: 36.

² . سيبويه، الكتاب، مج4، ص: 174.

³ . مكّي، الرعاية، ص: 124.

⁴ . ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 61.

جريها،... قال الراجز تريح بعد النَّفْسِ المحفوز. يريد النَّفْسَ الشديد المتتابع كأنه يحفز أي يدفع من سباق¹، مما يدلّ على شدّة الحبس الذي يعترض الهواء من طرف الأعضاء الناطقة عند نقطة المخرج. و قد استعار الزمخشري مصطلح الحفز، فقال في المفصل: "و القلقلّة ما تحسّ إذا وقفت عليها من شدّة الصوت المتصعد من الصّدر مع الحفز و الضّغط"²، مولّدا صوتا أشبه بالانفجار.

إنّ النطق بهذه الأصوات المقلقلة، من حيث أنّها أصوات شديدة مجهورة، يحدث وفق ثلاث مراحل سريعة، تتمثل في:

أ- الحبس الذي يتمّ بالتّصال عضوين، ينتج عنه وقف مجرى الهواء وقفاً كاملاً.

ب- الإطلاق الذي يتمّ بانفصال العضوين انفصالاً سريعاً، ما حدّ بعض المحدثين إلى تسميتها بالوقفات الانفجارية³.

ج- إصدار صوت يتبع الإطلاق؛ " فالصّوت الشديد (الانفجاري) لا يتمّ نطقه النطق الكامل من غير أنّ يُتبع بصوت آخر مستقل عنه، هو هذا الهواء المنذفع"⁴.

و يبدو ممّا سبق من كلام، أنّ صفة القلقلّة تتعلّق بهذا الصوت، كما يسمّيه ابن جيّ، الحاصل لتمام النطق بهذه الأصوات، و هو " في حقيقة الأمر مجرّد إطلاق الهواء (release) بعد الوقفة الحادثة عن بداية النطق بالصّوت الشّديد المجهور ليحدث الانفجار، فيكتمل نطق هذا الصّوت الشديد ويتحقّق، إنّّه صوت شديد أي وقفة انفجارية، والنطق به ساكناً دون قلقلّة يفقده عناصر الانفجار، وهو جزء متمم لنطق الصّوت"⁵، فالقلقلّة صفة أساسية في أصواتها و دليل على نطقها السليم.

لا تشترك الأصوات المقلقلة في صفة القلقلّة فقط، بل تجمع بينها صفات أخرى كالشدّة و الجهر، مع تقارب ملحوظ في مخارج بعضها. يبين الجدول الآتي مخارجها و صفاتها و ميكانيكية نطقها:

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج4، مادة (ح ف ز).

² الزمخشري، المفصل في علم العربية، دط، دت، ص: 190.

³ فضّل الدكتور كمال بشر في وصف الحروف المقلقلة ووقفاتها الانفجارية وأضاف على الحروف التي ذكرنا: الهزمة، والكاف، والناء في مؤلّفه علم الأصوات، ص: 378، 393.

⁴ غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية وأثرها في القراءات القرآنية، دار عمّار، عمان، ط1، 2003، ص: 257.

⁵ كمال بشر، علم الأصوات، ص: 380.

الحرف	المخرج	ميكانيكية النطق	الصفات
القاف	لهوي (مؤخر اللسان مع اللهأة).	يمر الهواء بالحنجرة نحو الحلق حتى يصل إلى أدنى الحلق ، و ينحبس باتصال أدنى الحلق و اللهأة بأقصى اللسان ثم يحدث الانفصال المفاجئ الذي يصدر صوت القاف.	مجهور ¹ - شديد - مستقل - مصمت - منفتح - مقلقل.
الطاء	أسناني لثوي.	يبدأ الهواء عبر الحنجرة محرّكاً الوترين الصوتين، و لا ينحبس إلاّ بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا مع اللسان شكلاً مقعراً منطبّقاً على الحنك الأعلى، ثم يحدث الانفصال.	مجهور - شديد - مستقل - مصمت - مطبق - مقلقل.
الباء	شفوي (الشفة، العليا مع الشفة السفلى).	يمر الهواء بالحنجرة فيتحرك الوترين الصوتيين، و يمرّ بمجرى الحلق إلى الفم و ينحبس عند الشفتين المنطبتين تماماً، و عند انفراجهما يُسمع صوت الباء.	مجهور - شديد - مستقل - ذلق - منفتح - مقلقل .
الجيم	غاري (مقدمة اللسان مع الحنك الصلب (الغار)).	يندفع الهواء إلى الحنجرة محرّكاً الوترين الصوتيين، و يتجه نحو الفم عبر الحلق حتى يصل مخرجه بالتقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى، و بعد الغلق يحدث الانفتاح البطيء الذي يصدر صوت الجيم.	مجهور - شديد - مستقل - مصمت - منفتح - مقلقل.
الذال	أسناني لثوي.	يندفع الهواء محرّكاً الوترين الصوتيين، و يأخذ مجرى الحلق إلى الفم حتى يصل المخرج و هو التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا فينحبس الهواء فترة قصيرة جداً ثم ينطلق بعد انفصال العضوين.	مجهور - شديد - مستقل - مصمت - منفتح - مقلقل.

¹ . أشار بعض الباحثين المعاصرين إلى أنّ القاف صوت مهموس على خلاف وصف القدماء له بأنه مجهور، منهم: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص:74. حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب، ص: 99. جان كاتينو، دروس في علم أصوات العربية، تر: صالح قوماي، ص:107-110، حيث أورد هذا الأخير: "و بما أن قسمًا كبيرًا من الألسن الدارجة العربية ينطق أصحابها بقاف مجهورة، أمكننا الاعتماد على سبيل الاحتمال و الترجيح بأنّ القاف كان فعلاً حرّفاً مجهورًا في العربية القديمة، و يمكن أن يكون نطقه مهموسًا في العربية الفصحى اليوم ناجمًا عن كونه أصبح مهموسًا في اللهجات الحضرية المدنية لأنّ أغلبية المثقفين اليوم هم من أصل مدني" (ص:107)، و تُوحي هذه الآراء بانتقال القاف من صفة الجهر في نطق القدماء إلى الهمس في نطق المحدثين.

3. أصوات المد:

حروف المد في اللغة العربية ثلاثة: الألف، و الواو الساكنة التي قبلها ضمة، و الياء الساكنة التي قبلها كسرة. و المد في اللغة "الجدب و المطل و مدّه في غيّه أي أمهله و طول له"¹.

و هو كذلك "السَّيْل ، و ارتفاع النهار، و الاستمداد من الدواة، و كثرة الماء، و البسط، و طموح البصر إلى الشيء، و الإمهال،... و المديد المحدود و الطويل"².

و جاءت مادة مدد في القرآن الكريم في عدة مواضع منها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا

﴿ ٤٥ ﴾³

و قوله أيضا: ﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾⁴ ﴿ ٧٩ ﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾⁵ ﴿ ١٥ ﴾

يتقارب المعنى اللغوي كثيراً مع المعنى الاصطلاحي لحروف المد، و التي تتعلق بالزيادة و الإطالة، فحروف المد سميت كذلك " لأن مدّ الصوت لا يكون في شيء من الكلام إلا فيهن، مع ملاصقتهنّ لساكن بعدهن، أو همزة قبلهن أو بعدهن، و لأنهن في أنفسهنّ مدّات"⁶.

و تُسمى أصوات المد في بعض المصنفات بحروف اللين، وقدّم مكّي بن أبي طالب سبب هذه التسمية في (الرعاية) فأورد: " وإنما سمّين بحروف اللين، لأنهن يخرجن من اللفظ في لين من غير كلفة على اللسان و اللهوات بخلاف سائر الحروف، و إنما يتسللن عند النطق بهن انسلافاً بغير تكلف"⁷. فلا يعترض طريق الهواء حين النطق بهن عارض و لا يقطع طريقه قاطع، فيأتي النطق بهن ليلاً سلساً.

¹ . إبن منظور، لسان العرب، ج14، مادة (م د د) .

² . الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (م د د) .

³ . الفرقان، الآية 45.

⁴ . مريم، الآية 79.

⁵ . البقرة، الآية 15.

⁶ . مكّي بن أبي طالب، الرعاية، ص: 125.

⁷ . السابق، ص: 125.

و يسمي الخليل حروف المد بحروف (الجوف)، و "سميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة مدارج اللسان، و لا من مدارج الحلق، و لا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها خير تُنسب إليه إلا الجوف"¹.

و يرجع بعض اللغويين أصل أصوات المدّ إلى الحركات: الفتحة و الضمة و الكسرة، و ذلك عن طريق تمديد زمن النطق، من هؤلاء ابن جني الذي أورد: "اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المد و اللين، و هي الألف و الياء و الواو. فكما أن هذه الحروف ثلاثة، كذلك الحركات ثلاث، و هي الفتحة و الكسرة و الضمة، فالفتحة بعض الألف، و الكسرة بعض الياء و الضمة بعض الواو. و قد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، و الكسرة الياء الصغيرة، و الضمة الواو الصغيرة"². فليس الفرق بين الحركات القصيرة (الفتحة و الضمة و الكسرة) و الحركات الطويلة (الألف و الواو و الياء) إلا فرقا في الكمية الصوتية، دون اختلاف في نوعية الصوت و آلية نطقه و هو ما أشار إليه ابن سينا في قوله "ثم أمر هذه الثلاثة هليّ مشكل، و لكني أعلم يقيناً أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة و أنّ الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصحّ فيها الانتقال من حرف إلى حرف. وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة، و الياء المصوتة إلى الكسرة"³، و هذا هذا ما يؤيده الدرس الحديث الذي أثبت أن الفرق مثلا بين الفتحة الطويلة و القصيرة هو أن الزمن الذي تستغرقه الأولى ضعف الذي تستغرقه الثانية"⁴.

أجمع جمهور العلماء القدامى و المحدثون على أنّ الصوائت في اللغة العربية ستة هي:

أ- صوائت قصار: وسميت بالحركات، و هي الفتحة و الضمة و الكسرة.

ب- صوائت طوال: و سميت أيضا أصوات المد، العلل، أصوات اللين و هي: الألف و الواو و الياء .

إلا أنّهم اختلفوا في أسبقيتها؛ فقال فريق بأنّ الحروف (أ، و، ي) سبقت الحركات (الفتحة الضمة، الكسرة)، وقال آخر بأنّ الحركات أسبق، وقال فريق ثالث بحصولها معاً. و عرض ابن جني لهذه القضية في (الخصائص): وناقش أدلة كل فريق، ثمّ أنتصر لسيبويه الذي يرى بأنّ الحرف أسبق من الحركة. يقول ابن جني مُتَحَجِّجًا "فَمِمَّا يشهدُ لسيبويه بأنّ الحركة حادثة بعد الحرف وجودنا إياها فاصلة بين المثليين مانعة من إدغام الأول في الآخر؛ نحو الملل و المشش و الضفف، كما تفصل الألف بعدها بينهما؛ نحو الملال و الضفاف

¹. الخليل، العين، المقدمة، ص: 57.

². ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص: 17.

³. ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص: 85.

⁴. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 81.

والمشاش .وهذا مفهوم . وكذلك شددت و مددت فلن تخلو حركة الأوّل من أن تكون قبله أو معه أو بعده .
فلو كانت في الرتبة قبله لما حجزت عن الإدغام ؛ ألا ترى أنّ الحرف المحرّك بما كان يكون على ذلك بعدها
حاجزًا بينهما و بين ما بعده من الحرف الآخر".¹

و أما القائلون بأسبقية الحركات على الحروف فقد "استدلّوا على ذلك بأنّ الحركات إذا أشبعت حدثت منها
هذه الحروف الثلاثة ،واستدلّوا أيضا أنّ العرب قد استغنت في بعض كلامها عن الواو بالضمّة وعن الياء
بالكسرة ،وعن الألف بالفتحة ،فيكتفون بالأصل عن الفرع ، لدلالة الأصل على فرعه"².

أمّا الفريق الثالث فرأى أنّه "ليست الحروف مأخوذة من الحركات ولا الحركات من الحروف ؛ إذ لم يسبق أحد
الصنفين الآخر"³، و لكلّ صنف خصائص صوتية مختلفة.

و بمقارنة الصّوائت القصار والطّوال تقف عند النقاط التالية :

1. تشترك الصّوائت القصار والصّوائت الطّوال في طريقة النطق إذ عند "التلفّظ بما يمرّ الهواء عبر جهاز
النطق بطلاقة ، والأمواج الصوتية ، في هذه الحالة ،تحدها الأوتار وحدها"⁴
2. تختلف الصّوائت القصار عن الصّوائت الطّوال في المدة التي يتم فيها النطق بها ؛ ف "الحركة إذا أطيل زمن
النطق بها صارت حرف مد ،وكذلك حرف المد إذا قصّر زمن النطق به رجع إلى الحركة"⁵.
3. تعتبر كل من الصّوائت القصار والصّوائت الطّوال مهمة في المحافظة على دلالة الكلمة المقصودة.
و الصّوائت كالصّوامت تؤدّي دلالات معينة في التشكيل الصوتي سواء منها القصيرة أو الطويلة . وقد انتبه
القُدّامى إلى هذه القضية ، إلا أنّهم ركّزوا اهتمامهم على الصّوائت الطّوال دون القصار باعتبار أن الأولى ذات
رموز خطية لا استغناء عنها ،أمّا الثانية فإنهم "لم يلتفتوا إليها التفاتا كافيا ينبئ عن موقعها بوصفها مكونات
النظام الصوتي للغة . لقد نظروا إليها وتعاملوا معها كما لو كانت شيئاً عارضاً ، أو تابعاً للحروف (الأصوات
الصامتة) ليس لها استقلال أو كيان خاص. نلمس هذا من جملة ما صنعوا معها ، بل عدّها بعضهم
«زوائد»، ليست أصلاً في بناء الكلمة "⁶.

1. ابن جني: الخصائص، تح محمد علي النخّار، دار الكتب المصرية، دت، ج2، ص: 322.

2. ابن الجزري : التمهيد في علم التجويد ، ص: 30 .

3. السابق ، ص: 31.

4. مصطفى حركات : الصوتيات والفونولوجيا، ص: 49

5. غانم قدّوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، ص: 426.

6. كمال بشر : علم الأصوات ، ص: 426، 427.

و من ناحية ميكانيكية النطق، فقد أنشأ (ابن سينا) في أسباب حدوث الحروف إلى أن نطق الحركات وحروف المد واحد، فأورد:

"و أما الألف المصوتة و أختها الضمة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء سلسًا غير مزاحم.

و أما الواو المصوتة، و أختها الضمة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدني تضيق للمخرج و ميل به سلس إلى فوق.

وأما الياء المصوتة و أختها الكسرة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء من أدني تضيق للمخرج و ميل سلس إلى الأسفل"¹.

و يبدو من كلام ابن سينا أنه جعل الحركات الطويلة أخوات الحركات القصيرة و جمع بينها في مخرج واحد. ويلاحظ في وصفه للمخرج إهماله لحركة الشفتين في النطق، و التي أحسبها، فارقًا أساسيا في إصدار حروف المد الثلاث مع انتباهه إلى أنها أصوات تتسع فيها مخارج الهواء عند النطق أكثر من اتساعها في الصوامت. و قد سجل سيوييه هذه الملاحظة مع انتباهه علي حركة الشفتين فأورد: " و منها (اللينة) و في الواو و الياء، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك: و أي، و الواو. و إن شئت أجريت الصوت ومددت. و منها (الهاوي) و هو حرف لين اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء و الواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو و ترفع في الياء لسانك قبل الحنك، و هي الألف"².

و هنا يلفت سيوييه انتباهنا إلى ملاحظة أخرى و هي أن الألف أوسع مخرجًا من الياء و الواو. و ذلك ما يشبهه في قوله لاحقًا: " و هذه الثلاثة (يقصد الألف و الواو و الياء) أخفي الحروف لا تتسع مخرجها، و أخفاهن و أوسعهن مخرجًا: الألف، ثم الياء، ثم الواو"³. و هذه الملاحظة تكشف لنا عمق التحليل في اجتهادات سيوييه، حيث أثبتت الدراسات الحديثة التي أجراها بعض اللغويين ك: وولف، جيسبرسن، دانيارجوتر، حول الوضوح السمعي أن الصوائت أوضح سمعًا من الصوائت و أن الصائت (a) أشد وضوحًا من جميع الصوائت، و أن الصوامت المهموسة هي الأضعف وضوحًا⁴. و أصوات المد من أكثر الأصوات شيوعًا في اللغة العربية و في متونها من القرآن إلى الشعر إلى كلام العامة و لعل ذلك يرجع في الأساس إلى سهولة نطقها و عذوبة صوتها.

¹ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص: 84 - 85.

² سيوييه، الكتاب، ج4، ص: 435، 436.

³ السابق، ص: 436.

⁴ ينظر خلدون أبو الهيجاء، فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، ص: 152، 237.

و إضافة إلى أن حروف المد تؤدي إلى وظائف دلالية متعددة، إذ تدخل في بناء معظم الأبنية الصرفية، و تساهم بفعالية في إضفاء دلالات جديدة مع كل صيغة جديدة، " و الحركات الطوال لها وجود فونيمي في العربية، ذلك أنّ إطالة الحركة القصيرة لتصبح حركة طويلة في كثير من الكلمات، تؤدي إلى تغيير معناها"¹. من منطلق أن كل زيادة في المبنى هي زيادة في المعنى، فإنها تؤدي وظائف نغمية تتمثل في تمكين التطريب و التغمي من خلال إمكانية المدّ فيها، و لهذا شاع استعمالها في لغة العرب. يقول سيبويه في هذا: "أما إذا ترموا فإنهم يلحقون الألف و الياء و الواو ما ينون و ما لا ينون، لأنهم أرادوا مدّ الصوت، و ذلك قولهم و هو لامرئ القيس: قَمًا نَبَكِ مِنْ دِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِي"². حيثُ مُدَّت اللام المكسورة في (مَنْزِل) بالياء. لأن أصل الترنم مدُّ الصَوْت .

شاع في القرآن الكريم ختم الفواصل بحروف المد³ مطلقاً أو بحرف صامت مسبق بحرف مد. و فيه استثمار كبير للطاقة التعبيرية لها التي تبرز أكثر في تحقيق لذة السّماع إذا كان ورودها متكرراً علي فواصل متتالية/ إضافة إلى قدرة حروف المد على لفت انتباه المستمع إلى دلالة اللفظ التي تتحقق و تتعمق أكثر بالمدّ و لذلك نجد الكثير من القراء يستغرقون في تحقيق المدّ الزائد في الفواصل القرآنية.

¹ . سمير استيتية، القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية، عالم كتب الحديث الأردن، 2004، ص: 128.

² . سيبويه، الكتاب، ج4، ص: 205 .

³ . يقسم علماء القراءات المدّ حسب موقعه إلى عدة أقسام، منها المدّ المنفصل الذي يقع على حرف المد الذي في آخر الكلمة إذا كانت متلوة بهمزة، مثل (يا أيها) و مقداره أربع حركات. و المدّ المتصل الذي سببه وجود حرف المدّ و الهزمة في كلمة واحدة، مثل (الملائكة)، و مقداره أربع أو خمس حركات.

III. العلاقات الصوتية القائمة بين أصوات الفواصل القرآنية:

تبنى أصوات الفواصل على عنصر الجمال الذي يتمثل في التناسب الحاصل بينها من جهة، و الحاصل بينها و بين الدلالة من جهة أخرى، و سنعرض في هذا المبحث إلى جماليات التناسب الصوتي الحاصل بين أصوات الفواصل في ربع يس و الذي ارتأيت تقديمه في ثلاث نقاط:

أ - التماثل الصوتي:

نقصد بالتماثل الصوتي تماثل الصوت اللغوي الواحد و تكرره في عدد من الفواصل المتتالية. و هو ما يخلق نسقا صوتيا مميّزا، و يضفي جواً موسيقيا خاصا. و يتعدّد التماثل الصوتي في السورة الواحدة و قد يتوحد. و كل تماثل له تشكيل إيقاعي منفرد يتحدّد بحسب صوت التماثل: مخارجه، صفاته، بنيته (صوت مركب أو مفرد).

1. التماثل الصوتي الأحادي:

و هو من أهم الظواهر الصوتية التي تميز أصوات الفاصلة و تنظمها في نسق بديع، حيث يتكرر الصوت الواحد المفرد في عدة آيات متتاليات، و يخلق الصوت المكرّر جرسا موسيقيا يتوقف على خصائص الصوت في ذاته من جهة، و على كمية تكراره من جهة أخرى.

❖ و في ربع يس سور تماثلت أصوات الفواصل فيها تماثلا أحاديا كليا، أي خلال كل فواصل السورة. و بيانه في الجدول الآتي:

السورة	عدد الآيات	الصوت الأحادي المتماثل	الفواصل.
الإخلاص	04	الذال	أحد. الصمد. يولد. أحد.
الكوثر	03	الراء	الكوثر. النحر. الأبت.
العصر	03	الراء	العصر. خسرو. الصبر.
القدر	05	الراء	القدر. القدر. شهر. أمر. الفجر.
الأعلى	19	ألف مقصورة	الأعلى، فسوى، المرعى، أحوى، تنسى، يخفى، ليسرى...
المنافقون	11	النون	لكاذبون، يعملون، لا يفقهون، يؤفكون، مستكبرون، الفاسقين...
القمر	55	الراء	القمر، مستمرّ، مستقرّ، مزدجر، نكر، منتشر، عسر،...

الفتح	29	ألف طويلة	مبينا، مستقيما، عزيزا، حكيما، عظيما، مصيرا، ...
الجن	28	ألف طويلة	عجبا، أحدا، ولدا، شططا، كذبا، رهقا، أحدا، شهبأ، رصدا...

نلاحظ من الجدول أن تماثل الفواصل في جميع آيات السورة:

✓ ظاهرة شائعة في القرآن الكريم.

✓ ظاهرة تشيع أكثر في السور القصار.

❖ أما التماثل الجزئي لأصوات الفواصل في القرآن الكريم فهو الظاهرة الأكثر شيوعا على الإطلاق، حيث

تتماثل أصوات فواصل متتالية حتى تشكل نسقا صوتيا معيناً تتحسسه الأذن و تألفه، ثم ينكسر النسق الأول

بنسق ثان ناتج عن تماثل صوتي جزئي آخر. و من ذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَظُنُّ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوٰى ۝١٦ تَدْعُوٰمَنْ

أَذْرَبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۝١٨﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذْ أَمَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذْ أَمَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾¹.

و قد يكسر النسق الصوتي الثاني بثالث، و يكسر الثالث برابع. و تختلف الفاصلة في كل نسق عن نظيرتها في

النسق الآخر. كقوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَن لَّنْ جَمْعَ عِظَامِهِ ۝٣ بَلَىٰ

قَدَرِينَ عَلَيَّ أَن نُّسَوِي بِنَانِهِ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝٥ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ

السَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلْ

الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۝١٥ لَا تُحْرِكُهُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ

قُرْآنَهُ ۝١٨﴾².

2. التماثل الصوتي المركب:

و هو من أكثر الظواهر الصوتية شيوعا في فواصل القرآن الكريم. و فيه يتم تشكّل نسق صوتي بديع ناتج عن

ملازمة تكرار صوت مركب خلا عدة فواصل متتالية. و يمكن أن نقسمه حسب أطراده في القرآن الكريم إلى

نوعين:

¹. المعارج/15، 21.

². القيامة/01، 18.

❖ التماثل الصوتي المركب الكلي:

و هو ظاهرة تتشكل بملازمة تكرار الصوت المركب خلال كل فواصل السورة الواحدة. و لم نسجل هذه الظاهرة سوى في سورتين اثنتين:

السورة	عدد الآيات	الصوت المتماثل المركب	الوصف	الفواصل
الناس	06	ا + س	صائت طويل + صامت + صائت قصير.	الناس. الناس. الناس. الحناس. الناس. الناس.
الشمس	15	ا + ه + ا	صائت طويل + صامت + صائت قصير + صائت طويل.	ضحها. تلاها. جلاها. يغشاها. بناها. طحاها. سواها. تقواها. زكاها. دساها. بطغواها. أشقاها. سقيها. فسواها. عقباها.

حيث انتهت كل فواصل سورة الناس بثلاث أصوات متماثلة هي النون متبوعة بألف المد و السين. وانتهت كل فواصل سورة الشمس بالمركب الصوتي المكون من هاء المتوسطة لحرفي مد، و من التماثل الصوتي يعطي السورة ملمحًا صوتيًا مميزًا و خاصة و خاصة إيقاعية ذات طاقة تأثيرية كبيرة على المستمع.

❖ التماثل الصوتي المركب الجزئي:

و تتمثل هذه الظاهرة في ملازمة تكرار صوت مركب في عدد من فواصل آيات السورة و ليس كلها لتصنع نسقا معينًا. ثم يتوقف هذا النسق لبيدًا نسق صوتي آخر ناتج عن تماثل صوت مركب آخر.

و الأمثلة عن ذلك في ربع يس قليلة، نورد منها:

قال تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١١﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٢﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا ﴿١٣﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٤﴾ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رُجُومَ الْحَمِيمِ ﴿١٥﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٦﴾ ١.

حيث كانت فيه الأصوات المركبة كما يلي:

١. المدثر/09، 14.

الآية	الفاصلة	الصوت المركب المتماثل	الوصف
09	عسير	س+ي+ر	صامت+صائت قصير+صائت طويل + صامت.
10	يسير	س+ي+ر	صامت+صائت قصير+صائت طويل + صامت.
11	وحيدا	ي+د+ا	صائت طويل + صامت + صائت قصير + صائت طويل.
12	ممدودا	و+د+ا	صائت طويل + صامت + صائت قصير + صائت طويل.
13	سهودا	و+د+ا	صائت طويل + صامت + صائت قصير + صائت طويل.

بأ - الأنساق الصوتية:

النسق الصوتي ظاهرة تشيع بكثرة في فواصل الآيات القرآنية، و النسق الواحد " يجمع أصواتاً مختلفة في نوعها، و متفقة في خصائصها الصوتية"¹ و هو ما يشكل نظاما صوتيا فريدا يجمع الأصوات المختلفة ظاهريا المتفقة في صفاتها و مخارجها.

و لأن مخارج الأصوات و صفاتها متعددة و مختلفة، فإن الأنساق الصوتية التي تجمعها ستكون مختلفة و متعددة هي الأخرى. و رصدنا في ربع يس جملة من الأنساق نورد أهمها حسب نسبة الاطراد:

1. نسق الغنة:

ينتج هذا النسق عن تتابع صوتي الغنة في الفواصل، و هو ما يضيف على السياق الصوتي العام عذوبة خاصة تتعلق بالجمال الصوتي للغنة. و قد انتبه القدر ماء إلى التأثير الذي يحدثه صوتا الغنة على المستمع فاستثمره في غنائهم و أشعارهم.

و الغنة صفة صوتي النون و الميم، و ملمحها خروج الهواء من الأنف عند النطق بهما. و بين النون و الميم في اللغة العربية قرابة خاصة، من ذلك أن العرب تقلب النون ميمًا في بعض الكلمات، مثل كلمة أنباء التي تنطق (أمباء)، و تدغم النون مع الميم في كلمات مثل: من ما التي تصبح ممًا.

و قد كان نسق الغنة في ربع يس مسيطرا على عدد كبير من السور، بل إنه كان النسق الوحيد في عدد من السور، و بيانها في الجدول الآتي:

¹. عمر عتيق، المقالة، الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية، مجلة المنارة جامعة آل البيت، ع3، ص: 3.

صوت الميم	صوت النون	
شفوي	لثوي	المخرج
مجهور	مجهور	الصفات
متوسط بين الشدة و الرخاوة	متوسط بين الشدة و الرخاوة	
مستفل	مستفل	
ذلق	ذلق	
منفتح	منفتح	

و المتتبع للجدول يرى أن صوتي النون و الميم يشتركان في كل الصفات العامة، و حتى في الصفة الخاصة "الغنة"، و لا تختلفان إلا في المخرج، و هذا الاختلاف يسير بسبب تقارب مخرجيهما، و هو ما يعطيها نسبة كبيرة من التقارب لم تتوفر لصوتين آخرين في العربية.

2. نسق القلقلة:

و ينتج هذا النسق عن تتابع عدد من الأصوات المقلقلة في نهاية فواصل القرآن الكريم. و القلقلة هي صفة تتميز خمسة أحرف: ق ط ب ج د. و مفادها "صويت زائد يحصل في المخرج، ناتج عن اضطرابات اللسان بالحرف عند النطق بحروفها في المخرج حتى تسمع له نبرة قوية"¹. استطعت أن نرصد في ربع يس بعض السور التي جاءت فواصلها على نسق القلقلة:

السورة	عدد الآيات	عدد الآيات ذات الفواصل المقلقلة	النسبة	الحروف المقلقلة.
الفلق	05	05	100 %	ق. ب. د
الطارق	17	09	52.94 %	ق. ب. د
الجن	28	28	100 %	ق. ب. د
ق	45	40	88.88 %	ط. ب. ج. ب
البروج	22	20	90.90 %	ج. د. ق. ب. ط
المسد	05	05	100 %	ب. د

¹. يحيى بن علي بن يحيى المباركي، المدخل إلى الصوتيات العربية، خوارزم للنشر، جدة، 2007م، ص: 164.

نلاحظ من خلال الجدول أن أكثر الأصوات المقلقة أطرادا هي: القاف و الباء و الدال. و للتعرف على خصائص هذه الأصوات أكثر نأخذ المثال الآتي:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾¹.

إن رصد فواصل السورة يقودنا إلى تسجيل أن كل الفواصل الخمسة (5) انتهت بأصوات مقلقة. حيث تكررت كما يأتي:

الصوت	تكرره
القاف	02
الدال	02
الباء	01

و العلاقة القائمة بين هذه الأصوات لا تقتصر على القلقة فقط، بل هي تشترك في العديد من الصفات الأخرى، بيانها في الجدول الآتي:

المخارج	القاف	الدال	الباء
المخارج	لهوي	أسناني لثوي	شفوي
الصفات	مجهور	مجهور	مجهور
	شديد	شديد	شديد
	مستعلي	مستفل	مستفل
	مصمت	مصمت	ذلق
	منفتح	منفتح	منفتح

إن اجتماع هذه الأصوات المقلقة الثلاثة (القاف، و الدال، و الباء) في شكل متتابع في فواصل هذه السورة القصيرة يخلق سياقاً صوتياً خاصاً للسورة، يساعده في ذلك عاملان:

¹ . الفلق/1، 5.

✓ اشتراك هذه الأصوات في صفات أخرى غير القلقة و تقاربها في المخارج، و هو ما بيّناه في الجدول

السابق.

✓ تكرر الصوت المقلقل القاف ست (06) مرات في آيات السورة، فكانت بمثابة صدى لصوت القلقة.

و ساعدها في ذلك اجتماع أصوات مهموسة في الآيات، مثال ذلك أصوات: السين، و الشين، و الفاء. و هو ما خلق للأصوات المقلقلة الجوّ لإحداث قرع قوي في الفواصل بعدها أصواتا مجهورة.

3. نسق الهمس:

و هو نسق يقوم على تتابع أصوات مهموسة في الفواصل القرآنية. الهمس، و ضده الجهر، صفة الحروف

المجموعة في : ف ح ث ه ش خ ص س ك ت. و تنتج الأصوات المهموسة عندما يأخذ الوتران الصوتيان وضعية التباعد عند النطق، و عرّف سيبويه الصوت المهموس بقوله "أما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جري النفس معه"¹، و عرفه ابن الجزري بأنه "حرف جرى معه النفس عند النطق به لضعفه و ضعف الاعتماد عليه عند خروجه، فهو أضعف من المجهور، و بعض الحروف المهموسة أضعف من بعض"²، و المقصود بضعف الاعتماد عليه هو خروج النفس بسهولة دون أن يقابله اعتراض بسبب انفراج الوترين الصوتيين و اتساع الفتحة Glottis بينهما، و بذلك لا يتذبذبان.

و من أمثلة السور ذات نسق الهمس نورد:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۗ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۗ وَإِذَا الْجِبَاهُ سُعِرَتْ ۗ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْفِتْ ۗ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا

أَحْضَرْتَ ۗ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۗ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ۗ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۗ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۗ ۝۱۸﴾³.

فلاحظ في الآيات تتابع صوتي التاء و السين المهموسين المتقاربين في المخرجين، و المشتركين في صفات

أخرى بيّنها الجدول الآتي:

¹ . سيبويه، الكتاب، 4، ص: 434.

² . ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص: 34.

³ . التكويد/10، 18.

المخرج	التاء	السين
المخرج	أسناني لثوي	أسناني لثوي ¹
الأعضاء الناطقة	ظهر اللسان مع أصول الثنايا العليا	طرف اللسان مع ما فوق الثنايا السفلى
الصفات	مهموس	مهموس
	شديد	رخو
	مستقل	مستقل
	مصمت	مصمت

و في ختام هذا المبحث تجدر الإشارة إلى وجود أنساق أخرى كمنسق الأصوات المجهورة الذي تتوالى فيه أصوات: النون، و الميم، و الراء. و لكننا تناولنا الأنساق السابقة فقط لأمرين:

✓ شيوعها في ربع يس مقارنة بالأنساق الأخرى.

✓ حتى لا نقع في التكرار، فلو تناولنا مثلا نسق الأصوات الشديدة و التي هي: ج د ت ط ب ق ك،

سنورد أمثلة نسق الأصوات المقلقلة ق ط ب ج د نفسها. و لن نُغفل هذا الاشتراك في الصفات، بل سنس تشره في معرض الحديث عن الدلالة الصوتية في الفصل الثاني.

ت - الأنساق المقطعية: Sillabic structure

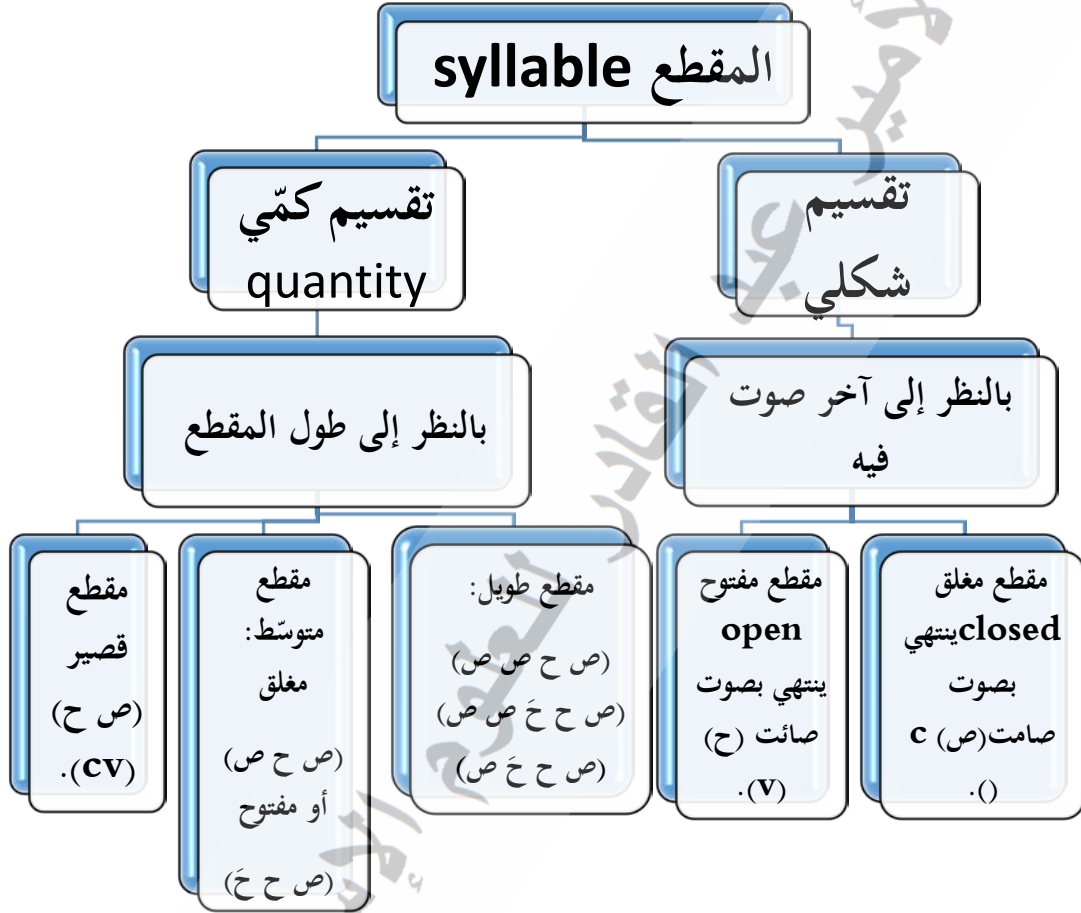
تعد البنية المقطعية حجر الأساس في دراسة تشكيل اللغات الإنسانية و تتبّع قواعدها الصوتية. و قد اختلف العلماء في تعريف المقطع بسبب اختلاف اللغات فيما بينها من جهة، و اختلاف وجهات النظر إليها من جهة أخرى (فيزيولوجية، فونولوجية، فيزيائية). و المتفق عليه أنه وحدة صوتية بنائية (تركيبية) على درجة واحدة من النبر أو من البروز الصوتي، و هو "من حيث بناؤه المثال أو النموذج ي أكبر من الصوت Sound و أصغر من الكلمة، و إن كانت هناك كلمات تتكوّن من مقطع واحد مثل (من) بفتح الميم أو كسرهما بلا فرق [Man. Min]"². و قد تتكوّن الكلمة من مقطع واحد و تسمّى أحادية المقطع Monosyllabic أو من عدّة مقاطع و تسمّى متعدّدة المقاطع Polysyllabic word . و تعدّ الحركات و الصوامت المادّة الأساسية التي يتكوّن منها البناء المقطعي، فهو " مزيج من صامت وحركة يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، و يعتمد على

¹. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص:114.

². كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للنشر، ص:503.

الإيقاع التنفسي، فكل ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرئتين يمكن أن ينتج إيقاعاً يعبر عنه مقطع مؤلف في أقل الأحوال من صامت و حركة (ص+ح)¹.

و في اللغة العربية ستة مقاطع فقط، و قد تم تقسيمها باعتماد مبدئين². و المخطط الآتي يوجز ما جاء في التقسيم:



مخطط أنواع المقاطع في اللغة العربية

¹ عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980، ص: 38.

² ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص: 500، 512، و شاهين عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 38، 40. و برتيل مالنبرج، علم الأصوات، تر: عبد الصبور شاهين، ص: 167، 172. و إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 87، 94. و عصام نور الدين، الفونيتيكا، علم الأصوات اللغوية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م. ص: 189، 191.

و للبنية المقطعية العربية Syllable structure arabic خصائص هي¹:

- ✓ أنواع المقاطع الصوتية ستة فقط.
 - ✓ كل المقاطع العربية تبدأ بصامت، و لا تبدأ بحركة عكس الفرنسية و الإنجليزية.
 - ✓ لا تبدأ المقاطع العربية بصامتين متتاليتين.
 - ✓ لا تتجاور في المقاطع العربية أكثر من حركتين (حركة قصيرة و أخرى طويلة).
 - ✓ لا تتجاور في المقاطع العربية أكثر من صامتين.
- على أن المقطع الصوتي الواحد لا يفيد دلالة بمفرده، فدلالة المقطع " تتشكل وفق تضافره مع المقاطع الأخرى، و وفق تتابع المقاطع في السياق الكلي للنص، و لا توجد دلالة منعزلة عن السياق"². و إذا كان تجاور المقاطع يصنع دلالات معينة، فإنه في الوقت ذاته يشكل بنية نسقية معينة، و مقاطع صوتية خاصة تتميز كل تركيب عن غيره من التراكيب الفنية.

و إذا أردنا دراسة البنية المقطعية في فواصل ربع يس، فالمنطق يفرض علينا أمرين:

- دراسة البنية المقطعية في فواصل كل سورة على حدة.
 - تمثيل البنية المقطعية على أساس مبدأ الوقف على الفواصل.
- و من دراستنا للبنية المقطعية لفواصل ربع يس سجّلنا جملة من الملاحظات:
1. من السور ما جاءت كل فواصلها على بنية مقطعية متطابقة في المقطع الأخير و المقطع ما قبل الأخير، و مثال ذلك سورة الشورى. و للتفصيل نورد جدول إحصائي للمقاطع الصوتية لفواصل آياتها التي جاءت كلها على نسق مقطعي واحد:

سورة الشورى				
عدد الآيات	المقطع ما قبل الأخير	صفاته	المقطع الأخير	صفاته
53	ص ح	قصير	ص ح ح ص	طويل
	CV	مفتوح	CVVC	مغلق

في سورة الشورى نظام معجز في الكم النغمي، و الزمن المستغرق في نطق ألفاظ فواصل السورة، رغم عدم تطابق الأوزان الصرفية لها، و تنوعها بين فعل و اسم.

¹. ينظر، إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 80، 84. و عصام نور الدين، الفونيتيكا، ص: 189. و سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، ص: 306، 300. و برتيل مالجرج، علم الأصوات، ص: 167.

². مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2007، ص: 55.

نلاحظ قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٦﴾ إِنَّ يَشَأُ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٧﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ وَأَعْفَ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٨﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٩﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبْرَ الْأَثْرِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٤١﴾ ¹.

فواصل السورة متجاورة بهذا الترتيب: كالأعلام، شكور، عن كثير، من محيص، يتوكلون، هم يغفرون. دون وجود تناسق صرفي أو صوتي تام بينها. فالتطابق التام للنسق المقطعي في السورة يعني في أحيان كثيرة عن النسق الصرفي و النسق الصوتي. و لعلّ في التناسق المقطعي إعجازا آخر يزيل العجب الحاصل في نفوسنا من عدم وجود نسق شكلي ظاهر للعيان.

و تجدر الإشارة إلى أن العديد من السور الطوال جاءت على هذا النسق من المقاطع الصوتية الطويلة المغلقة.
2. من السور ما تطابقت كلّ فواصلها في بنيتها المقطعية الثلاثية، أي تطابقت في المقاطع الثلاثة الأخيرة، تطابقا تاما. و من أمثلة ذلك سورة الزلزلة:

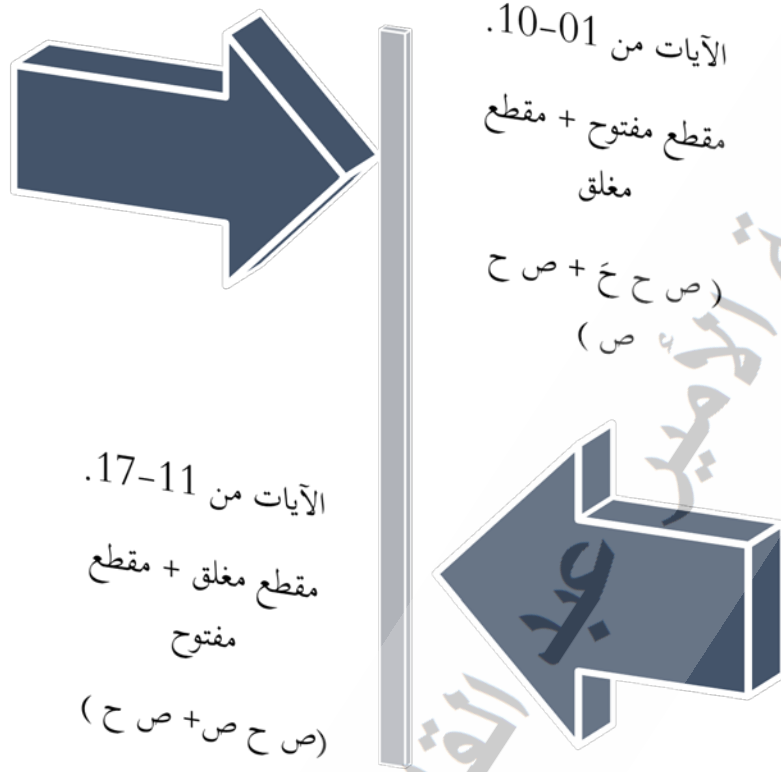
سورة الزلزلة					
المقطع الثاني قبل الأخير	صفاته	المقطع الأول قبل الأخير	صفاته	المقطع الأخير	صفاته
ص ح ح	متوسط	ص ح	قصير	ص ح ح	متوسط
CVV	مفتوح	CV	مفتوح	CVV	مفتوح

نلاحظ من خلال الجدول أن المقاطع الثلاثة الأخيرة كلها مفتوحة، و لعلّ فيه دلالة قوية على انفتاح الأرض التي تخرج يومئذ أنقالها، و يبعث من فتحاتها الناس لرؤية أعمالهم و المحاسبة عليهم.
3. يشيع في معظم فواصل السور القصار البنية المقطعية المتطابقة أو المتقاربة، التي تتكوّن من مقاطع قصيرة في العموم، و هي في حال اختلافها في السورة الواحدة تأتي على شكل أنساق، حيث تتشابه البنية المقطعية لفواصل معينة حتى تشكّل نسقا معيناً ثم ينكسر هذا النسق بنسق مقطعي آخر.
و لبيان ذلك نورد المثال الآتي:

¹. الشورى/ 32، 37.

سورة الطارق				
الآيات	المقطع ما قبل الأخير	صفاته	المقطع الأخير	صفاته
الرسق الأول	﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٥﴾ التَّجَمُّ الثَّاقِبُ ﴿٦﴾ ﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٧﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ بُدِيَ السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾	متوسط مغلق	ص ح ص	متوسط مفتوح
النسق الثاني	﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدَعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ ﴿١٣﴾ ﴿ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلٍ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾	قصير مفتوح	ص ح ص	متوسط مغلق

نلاحظ أن النسق الأول سار على طول عشرة آيات متتالية، ثم انكسر ليبدأ نسق مقطعي آخر سار على طول الآيات السبعة المتبقية. و لكن الملاحظ أن النسق الأول تكوّن من مقطع مفتوح متبوع بمقطع مغلق، على عكس النسق الثاني الذي تكوّن من مقطع مغلق متبوع بمقطع مفتوح، و هو ما شكّل تناظرا معجزا في البنية المقطعية. و نمثّل هذا التناظر في الشكل الآتي:



تناظر النسق المقطعي في فواصل سورة الطارق

4. تتجاور في بعض الفواصل مقاطع متشابهة، ما يخلق نسقا إيقاعيا فريدا يوزع زمن النطق بالتساوي على الفواصل القرآنية. و مثال ذلك فواصل قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝﴾¹.

سورة الفتح			
الآية	المقطع الثاني قبل الأخير	المقطع الأول قبل الأخير	المقطع الأخير
1	ص ح ص	ص ح ص	ص ح
2	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح
3	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح

¹. الفتح/ 01، 03.

يظهر من الجدول تشابه المقاطع المتجاورة في كل آية من الآيات المذكورة، حيث يتشابه المقطعان ما قبل الأخيران (ص ح ص) في الآية الأولى، و يتشابه المقطع الأخير و ما قبل الأخير في الآيتين الثانية و الثالثة و هو متوسط مفتوح (ص ح خ). مع تسجيل أن هذا التماثل في المقاطع لم يمس كل آية على حدّا بل حدث تماثل و تقارب في البنية المقطعية للآيات الثلاثة فيما بينها.

5. من السور القصار ما جاءت فواصلها من المقاطع الطويلة. و مثال ذلك قوله تعالى: ﴿لِيَأْلَفَ قُرَيْشٌ إِلَىٰ آلِفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ حَوْفٍ﴾¹.

سورة قريش				
الآية	المقطع ما قبل الأخير	صفاته	المقطع الأخير	صفاته
01	ص ح	قصير مفتوح	ص ح ص ص	طويل مغلق
02	ص ح ص	متوسط مغلق	ص ح ص ص	طويل مغلق
03	ص ح ص	متوسط مغلق	ص ح ص ص	طويل مغلق
04	ص ح ص	متوسط مغلق	ص ح ص ص	طويل مغلق

و نلاحظ أن كل المقاطع الأخيرة جاءت طويلة مغلقة من نوع (ص ح ص ص)، و جاءت في الآيات الثانية و الثالثة و الرابعة كذلك و مسبوقه بمقاطع متوسطة مغلقة (ص ح ص). و المقطع (ص ح ص ص) من المقاطع " الأقل شيوعا في اللغة العربية، إذ أنّ هناك قيودا على توزيعه و على أنواع الصوامت التي يمكن لها أن تأخذ مكان الصامتين... و هذا المقطع يستعمل فقط في حالة السكون على الصامتين الأخيرين"²، و لعلّ هذا ما يفسر وجوده بكثرة في نهاية الفواصل القرآنية التي يتم الوقف عليها بالإسكان.

أما في أبعادها الدلالية، فواضح ما للمقاطع الطويلة المغلقة من دلالة على الصعوبة و المعاناة و ما ينطبق على حال القرشيين قبل أن ينعم الله عليهم بالأمن بعد الخوف و الإطعام بعد الجوع³. كما أنّ هذا النوع من المقاطع يستغرق أطول وقت عند النطق به و هو ما فيه إشارة إلى طول الرحلة التي تستغرق منهم أشهراً في الشتاء و الصيف بين الشام و اليمن.

¹ . قريش/01، 04.

² . عصام أبو سليم، البنية المقطعية في اللغة العربية، مجلة جامعة اليرموك الأردن، ص: 52.

³ . قال الزخسري: " التذكير في جوع و خوف لشدةتهما: يعني أطمعهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما، و آمنهم من خوف عظيم و هو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلادهم و مسائرهم، و قيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف و العظام المحرقة، و آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلادهم، و قيل ذلك كله بدعاء إبراهيم صلوات الله عليه". الكشاف، ج 4، ص: 288.

6. تتطابق بعض الآيات المتتالية في بنيتها المقطعية تطابقاً تاماً على مستوى عدّة مقاطع و ليس على ومستوى الفواصل فقط. و من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكَتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦﴾¹.

سورة الطور	
الآية	البنية المقطعية
04	ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص.
05	ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص.
06	ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص.

من خلال الجدول نسجل ملاحظات:

✓ هذه الآيات المتتالية من سورة الطور تتكوّن من خمسة مقاطع، أربعة منها هي تكرار للمقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)، منتهية بمقطع طويل مغلق (ص ح ص)، و قد ساعد تكرار هذه المقاطع الصوتية على خلق قرعة و جوّ مشحون تصوّر توالي الأحداث يوم القيامة، و إنزال الرعب و الخوف على الكافرين، و انصباب العذاب بشدة و توالي و تكرار.

✓ كل مقاطع هذه الآيات من النوع المغلق، و هذه الفئة من المقاطع المغلقة "حادّة حاسمة في موقف الجدّ والفصل"²، و عبّرت أيما تعبير عن الآيات التي تصوّر مشاهد يوم القيامة حين يقع عذاب الله على المكذّبين وما له من دافع.

و قد ساعدتها في ذلك البنية المقطعية للآيات السابقة لها التي جاءت أغلبها مغلقة. إضافة إلى ذلك التكرار الذي مسّ المقاطع المتوسطة المغلقة، و انتهائها بنفس المقطع الطويل المغلق الذي انتهت به الآيات اللاحقة لها. و هو ما بيّنه الجدول الآتي:

الآية	البنية المقطعية
01	ص ح ص. ص ح ص
02	ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص.
03	ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص. ص ح ص.

¹ الطور/01، 06.

² محمود أحمد نخلة، لغة القرآن الكريم في جزء عمّ، ص: 361.

و في الجدول يظهر التشابه الكبير للبنية المقطعية للآيات المتتاليات خاصة على مستوى الفاصلة التي جاءت متطابقة كلياً في جميع الآيات المذكورة (01-06) حيث كانت مكونة من مقطعين: ص ح ص، ص ح خ ص. الأول متوسط مغلق، متبوع بطويل مغلق. و لعلّ فيه دلالة قوية على انغلاق أبواب النجاة من عذاب الله عزّ وجلّ يوم القيامة، و هو المشهد الذي تصوّره الآيات اللاحقة قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُكَدِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعْوًا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾¹.

¹. الطور/ 07، 14.

المبحث الثاني: الإيقاع الصوتي في الفواصل.

I. مفهوم الإيقاع :

الإيقاع من المصطلحات التي أجمع اللغويون و الباحثون في مختلف المجالات علي صعوبة ضبطها، ولعل ذلك راجع إلي تداخل مفهومه مع مصطلحات أخرى كالوزن، والقافية والنغم . إلا أن معظم الدراسات تجمع على أن الإيقاع Rythme هو كلمة من أصل إغريقي Rhythmos، ثم انتقلت إلى اللاتينية باسم Rythmios و فد انطلقت عناية الإنسان بالإيقاع من " عمق الروح الفنية للإنسان التي تستجيب لأشياء لها علاقة " زمكانية " بواقع المعيش وفضائه المتسع هي هذه العناصر التي لا يمكن التغاضي عنها " Monotonie والتي تخص انسياب الإيقاع في استمرارية خاصة ومنتظمة، و " السيمترية Symétrie " التي تعني قياس الأزمنة والأمكنة المتشابهة أي بنفس التناسب والانتظام، و " المفاجأة Surprise " و هي عامل من عوامل الإيقاع التي تحدث نتيجة التوقع و الخيبة"¹

و إذا ما تتبعنا مصطلح الإيقاع في قواميس اللغة، وجدنا أنه منشق من الفعل وقع، و مادة " وقع " في القاموس المحيط سيجد أن له معاني كثيرة مرتبطة غي أغلب الأحيان بأمرين : الارتفاع والشدة من جهة ، والسرعة والتكرار الزمني من جهة أخرى .

و لا يتعد المعنيان كثيرا عن معني الإيقاع في المعجم ذاته "إيقاع ألحان الغناء، وهو أن يوقع الألحان و بينها"².

المعني العام	معناها بالقاموس	المفردة
الارتفاع	سقط	وقع
الارتفاع	المكان المرتفع من الجبل	الوقع
الزمن	سرعة الانطلاق والذهاب	الوقع
الشدة والتكرار الزمني	بالحرب، صدمة بعد صدمة، والاسم الوقعة	الوقعة
الشدة والارتفاع	النازلة الشديدة والقيامة	الواقعة
الزمن	العرب : أيام حروبها	وقائع
الشدة	المطرقة والموقعة المضروبة بالميقعة، النصال	المبقة

¹ . عبد الرحمان تيرماسين ، الإيقاع وعروض الشعر العربي ، دار الفجر، الجزائر، دت، ص: 80 .

² . الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشام، دار الحديث، القاهرة، 2008، مادة: (و ق ع).

و الإيقاع ظاهرة صوتية طبيعية أو آلية مرتبطة بواقعها اليومي لذا لقيت عناية العلماء قديما وحديثا و في الجدول الأتي نجمع بعض التعريفات التي خص بها العلماء والدارسون ظاهرة الإيقاع (قديما وحديثا)

العالم أو الباحث	التعريف
الفراي	"النقلة على النغم في أزمنة محدودة المقادير والنسب" ¹ .
الحسن بن أحمد الكاتب	"قسمة زمان اللحن بنقرات، و هو النقلة على أصوات مترادفة في أزمنة تتوالى متساوية" ² .
ابن منظور	"الإيقاع من إيقاع اللحن و الغناء، وهو أن يوقع الألحان و يبينها، و سمي الجليل رحمه الله كتابا من كتبه في ذلك المعني، كتاب الإيقاع" ³ .

المتأمل في التعريفات السابقة لمصطلح الإيقاع سيجد أن:

- 1 - مصطلح الإيقاع مصطلح موسيقي، وما تواجد فيها من تعريفات تؤكد طبيعته الموسيقية .
 - 2 - اقترن مفهوم الإيقاع في التراث العربي بحاسة السمع وتحقيق اللذة السماعية وراحة النفس لها والناجئة عن الانتظام والتساوي والتناسق في الحزم الصوتية.
 - 3 - يعتبر الزمن العامل الأساسي الذي أجمعت التعريفات السابقة على أهميته في تحديد مفهوم الإيقاع، و ذلك باعتبار أن الإيقاع يتشكل من أنغام تتوزع بشكل منتظم في سلاسل زمنية متساوية.
 - 4 - يبدو من التعريفات أن القدامى انتبهوا إلى ضرورة توفر عناصر أساسية لتشكيل الإيقاع وهي: الزمن، المقادير أو الكمية، النسبة، التكرار أو التوالي، النقرة (أو مركز إحداث الصوت سواء كان طبيعيا أو أليا). إذا كان هذا مفهوم الإيقاع في الدرس التراثي القديم، فكيف نظر المحدثون إليه ؟
- نسوق فيما يلي مجموعة من التعريفات الحديثة:

¹ . الفراي، الموسيقي الكبير، ص: 436.

² . الحسن بن أحمد الكاتب، أدباء الغناء، ص: 92. نقلا عن عبد الحميد زاهيد، علم الصوت و الموسيقى، دار يافا، 2009م، ص: 49.

³ . ابن منظور، لسان العرب، ج12، مادة وقع.

<p>"بتطبيق المعنى العام لمصطلح الإيقاع (Rhythm) في علم الأصوات نجد أنه يدل على الوحدات الملاحظة و المتكررة بشكل منتظم في أقوالنا. هذه الوحدات المنتظمة قد تصنف بنماذج لمقاطع مشددة أو غير مشددة، طويلة أو قصيرة، مرتفعة أو منخفضة، أو مزيج من هذه المتغيرات"¹</p>	<p>دافيد كريستال David Crystal قاموس اللسانيات و الصوتيات</p>
<p>"الإيقاع هو تردد ارتسامات سمعية متجانسة بعد فترات ذات مدى متشابه"².</p>	<p>جان كانيينو Jean Cantineau. Cours de phonétique arabe (علم أصوات العربية)</p>
<p>"الإيقاع" يستمد تعريفه من ائتلاف أو تأليف الأنغام، فالأنغام تتألف ففتوالي مشكلة بذلك لحنا شريطة أن تتخلل النغم المتواليه أزمنا ... وبذلك يكون الإيقاع تقسيما لمدة الصوت و النغم تقسيما متناسبا"³.</p>	<p>مبارك حنون (التنظيم الإيقاعي في اللغة العربية).</p>
<p>"الإيقاع مجموعة من الخصائص الفيزيائية من تردد وشدة ومدة، تنعكس على المستوي الإدراكي بخلق توازن صوتي تدركه الأذن"⁴.</p>	<p>عبد الحميد زاهيد(علم الأصوات وعلم الموسيقى)</p>
<p>"الإيقاع هو تنظيم لأصوات اللغة في إطار معين، بيد أنه يتسع ليشمل عناصر أخرى تراعي خصائص الأصوات من الجهر والهمس والنبر والتنغيم فظلا عن ظاهرة التكرار و ضروب البديع"⁵.</p>	<p>هدى الصحنوي (الإيقاع الداخلي في القصيدة المعاصرة).</p>
<p>"يشمل مفهوم الارتفاع ظاهرة التناوب الصحيح للعناصر المتشابهة، كما يشمل تكرار هذه العناصر، و هذه الخاصية من خواص العمليات الإيقاعية، نعي بذلك خاصة التردد، هي بعينها ما يجدد معني الإيقاع، إن في الحركات الطبيعية للإنسان، وإن في نشاطه العملي"⁶.</p>	<p>يوري لوتمان (بنية القصيدة).</p>

¹ David Crystal. A dictionary of linguistics and phonetics. by blackwell. 2008. P:443..

² . جان كانيينو، علم الأصوات العربية، تر: صالح قرمادي، الجامعة التونسية، مركز الدراسات و البحوث، 1966م، ص: 197.

³ مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: 49.

⁴ عبد الحميد زاهيد، علم الأصوات وعلم الموسيقى ، ص: 46.

⁵ هدى الصحنوي، الإيقاع الداخلي في القصيدة المعاصرة، مقال، مجلة جامعة دمشق مج 30، العدد 2+1، 2014م .

⁶ .يوري لوتمان، تحليل النص الشعري(بنية القصيدة). تح محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، 1995م.

خلاصة القول أن الإيقاع قانون عام، و ظاهرة مضطردة في شتى نواحي الحياة، صحيح أنه أخ ذ من علم الموسيقى ولكنه مرتبط في الأساس بالحياة الطبيعية للإنسان، واستفادت منه مختلف العلوم والمعارف، وأهمها علم اللغة التي جعلته أساسا في دراسة الأنماط الأدبية، خاصة الشعرية منها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

II. الإيقاع في القرآن:

تفرد القرآن باستعمال إيقاعي معجز، لفت انتباه العلماء منذ نزوله، فأخذوا تحت تأثيره الجمالي والدلالي يدرسون ويفسرون، فأتجه بعضهم نحو إعجاز نظمه وجمال ألفاظه وتناسق أصواته، وراح بعضهم يبرئ شبهة الشعر والقافية عنه، ومن تلك الدراسات:

- عمرو بن بجر الجاحظ (ت 255 هـ): نظم القرآن.
- محمد بن زيد الواسطي (ت 307 هـ): إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه.
- أبو زكرياء، يحيى الفراء (ت 207 هـ): معاني القرآن.
- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276 هـ): تأويل مشكل القرآن.
- الباقلاني أبو بكر (ت 403 هـ): التمهيد- الانتصار- الإعجاز.

خلصت هذه الدراسات في مجملها إلى الاعتراف بما يحويه القرآن من جمال المعاني المقرون بتناسق الحروف وتلفها، و انسياب الفواصل وتدفق نظمه على إيقاع لا تملأ الأذن ولا تتعثر فيه الألسنة، فلا هو شعر كالذي نظمته العرب، و لا هو نثر كالذي عهدته، بل هو نمط متفرد، و نسق معجز، فقد جمع "النسق القرآني بين نمطي التعبير: النمط الذي يتجه نحو الشعر، والنمط الذي يتجه نحو النثر، جمع مزايا هذا ومزايا ذاك، ثم شأى اللونين معا وفاقهما في استغلال أدواتهما علي التعبير والأداء"¹.

و قد تنوعت المصنفات القديمة في تفسير إعجاز القرآن، فذكروا في ذلك أمورا كثيرة، كقول بعضهم بالبيان والفصاحة، وآخرون بالإيجاز مع البلاغة، و قال أغلبهم بالرصف والنظم، وجمال الصوت، ف "قارته لا يمله، وسامعه لا يمحجه، بل الانكباب على تلاوته يزيد حلاوة، وترديده يوجب له المحبة، و غيره من الكلام يعادى إذا أعيد، و يمل مع التردد، و لهذا وصف صلي الله عليه وسلم القرآن بأنه (لا يخلق على كثرة الترداد)"².

جمع القاضي عياض³ أسرار إعجاز القرآن في (الشفاء) فقال: "اعلم أن القرآن منطوق على وجوه من الإعجاز وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه:

¹. نعيم الباني، ثلاث قضايا حول الموسيقى في القرآن، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع17، 1985م، ص: 100.

². السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 805.

³. أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي (1143-1081) م. العلامة والفقير والمؤرخ، كان من بين الناس العارفين بعلوم عصره. له مصنفات كثيرة، يصفها ابن خلكان في وفيات الأعيان: "كل تواليفه بديعة". أشهرها كتاب "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى".

أولها : حسن تأليفه و الثام كلمه و فصاحته و وجوه إيجازه.

الثاني : صورة نظمه العجيب، و الأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، و منهاج نظمها و نثرها الذي جاء عليه، و وقفت عليه مقاطع آياته، و أنته تاليه فواصل كلماته.

الثالث: ما انطوي عليه من الإخبار بالمغيبات.

الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة¹.

و وجه الإعجاز في القرآن الكريم أنه قد أوحى به في أرض العرب و في زمن بلغ فيه أهلها مبلغا كبيرا في الفصاحة و البلاغة و قول الشعر حتى لم يكن للعرب قبلهم و لا بعدهم ما كان لهم من القدرة النظم و نقد النظم بما لهم من تمكن و ذائقة أصيلة، و كان لكلامهم المنثور و المنظوم فضائل كثيرة و متفاوتة، بين البليغ، والفصيح، و الرصين الجزل و الغريب السهل، و هذه الخصائص الثلاث على العلل في أنواع الكلام، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه، فلم توجد إلا في كلام العلي القدير: "فأعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف مضمنا أصح المعاني"².

و لهذا كانت العرب تقف أمام أصوات القرآن فتسمعها بقلبها قبل أذنها، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾³. فراحت تصفه بما يترك فيها من المهابة و اللذة و الحلاوة والطلاوة و النفاذ إلى الأعماق البشرية، ليس لجمال صوته فقط، و لا لبلاغة معانيه فقط، و لكن لتألف معانيه بألفاظه، و تعبير أصواته عن معانيه، و ذلك رغم أن كلماته من كلام العرب، و معانيه مما يصفون و يخطبون. فعجزوا على تصنيفه أو الإتيان بمثله على كثرة الشعراء و الخطباء فيهم، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾⁴.

و لعل في ذلك إعجازا آخر، و هو قصور الخلق على الإتيان بمثله رغم ما أوتوا من علوم اللغة. و رغم أن كل من يسمع القرآن، من العرب و العجم، يُجمعون على وجود نسق صوتي خاص فيه، فإن اللغويين و الدارسين له

¹ . القاضي عياض ، الشفا، تح عامر الجزائر، دار الحديث، القاهرة، 2004م، ص:60.

² . الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، من كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تح محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976، ص: 26 .

³ . الزمر/ 04.

⁴ . الإسراء/ 88.

انقسموا بين قائل بوجود إيقاع في القرآن، و بين رافض للقول متحجج بشرف مكانة القرآن التي لا تسمح باستعمال مصطلحات: كالموسيقى، الإيقاع، اللحن، النغم ...

و لأني بيّرت فيما سبق أنّ الإيقاع غير مرتبط بالشعر أو الغناء فقط، بل هو نسق حياتي في وجودنا اليومي، الزمني، الطبيعي، الحركي، الشعوري، الجسمي... فأجيز لنفسي استعمال مصطلح إيقاع في دراسة النسق الصوتي لفواصل القرآن الكريم، و إذا كانت الأوزان و القوافي ميزة الشعر عن النثر فإن الإيقاع ميزة تجمعهما معا إضافة على أنماط تعبيرية و تصورية أخرى، مع الاحتفاظ لكل نمط تعبيرى بخصائص تميزه عن باقي الأنماط، و تصنع له حدود الاختلاف و التعريف قد يعود سبب رفض البعض القول بوجود إيقاع في القرآن هو كونهم يضيّقون من دلالة الإيقاع فيقصرونه على معنى الدور أو التردد، و يحدّدونه في معنى نطاق الوزن والتفاعيل (أي عودة انطباعات سمعية متشابهة عودة منتظمة)، ونحن نؤثر الدلالة الواسعة الكيفية له التي توثق صلته بالنغم و تربطه بالصعود و الهبوط و البطء و السرعة و الحركة و التوقف، كما تراه في المماثلة و المخالفة و الموازنة و المقابلة، في الوحدة و التنوع، نجده في صوت الكلمات و موسيقى الجمل و العبارات .

فإعجاز النسق الصوتي في النص القرآني قضية متفق عليها من طرف الدارسين، و أما ما تنوعت آراؤهم فيه فهو طبيعة و أدوات هذا النسق الصوتي، و ما ذاك التنوع في الحقيقة إلا إضافات إيجابية تغني المكتبة القرآنية و تبين عن مواطن إعجاز أخرى كانت مبهمّة، وهو تنوع ناتج في الأساس عن تنوع الدراسات و أدواتها و مناهجها.

فمن الدارسين من رأى أن "أهم قواعد التشكل في موسيقى القرآن تسع هي: التنوع، التقابل، الترجيح، التوقع، الإضافة، الترم، السكت، القفلة، الفاصلة"¹، و هي مصطلحات مألوفة في الدراسات القرآنية، تُبنى في الأساس على جرس الأصوات و تناسبها مع المعاني و تتموقع في أغلب الأمثلة التي قدمها الباحثون، في نهايات الآيات القرآنية خاصة منها: التوقع، والترنم، و السكت، و الفاصلة. و هو ما يجعلنا نتفق على أن الفواصل القرآنية هي أهم عناصر تشكّل الإيقاع و ذلك بمعطياتها الصوتية و الدلالية. و من الباحثين من أشار إلى "أن ثمة أمرين لتبلغ الموسيقى في الكلام ذروتها، و تفعل بالنفس فعلها، و تحقق أثرها:

الأول: طبيعة الكلمة...

¹ . د. نعيم الباقي، قواعد تشكيل النغم في موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع16، 15، 1984م.

الثاني: موقع الكلمة من الكلام...¹

بتعبير آخر، هو الجمال الصوتي المتشكل في مستويين مستوى الأصوات التركيبية المتمثلة في الحركات القصار و الطوال و تجانس أصوات الكلمة الواحدة، و خدمتها للدلالة العامة و مستوى الأصوات فوق التركيبية (فوق القطعية) و المتمثلة في علاقة الكلمة الواحدة مع الكلمات الأخرى (صرفياً، دلالياً، صوتياً) التي تشكل معها نسيجاً متصل الألفاظ والمعاني. و هو ما أشار إليه مصطفى صادق الرافعي من أن جمال النسق الصوتي في القرآن نابع من كونه "صوت النفس و هو الصوت الموسيقى الذي يكون من تأليف النغم بالجوف و مخارجها و حركاتها، و مواقع ذلك من تركيب الكلام و نظمه على طريقة متساوقة، و على نضد متساوٍ، بحيث تكون الكلمة كأنها خطوة للمعني في سبيله إلى النفس، إن وقف عند هذا المعني قطع به..."² و هو انتباه ذكي إلى أن الجمال الصوتي ينطلق من أصوات الكلمة الواحدة، و ينتهي إلى الصوت العام الناتج عن تضافر أصوات الكلمات في نسيج واحد. و رغم ذلك هناك تقدم لأهمية الأصوات فوق التركيبية على التركيبية مع الاعتراف بأهميتها معاً، من منطلق أنه لا تظهر الخاصة الموسيقية في الأصوات، و الألفاظ، و الحركات و الصيغ كما تظهر في التراكيب، ذلك لأن عناصر الكلام إنما أهميتها في تراكيبه و عباراته، التي تؤدي عن المعاني و الأفكار³.

و خلاصة الحديث عن الإيقاع في القرآن الكريم أجمعه في النقاط الآتية:

1 يعترف جميع الدارسين بوجود نسق صوتي معجز في النص القرآني، يبتعد عن الخصائص الفنية لكل من الشعر والنثر، بل هو يمتلك قيمة جمالية خاصة به.

2 تختلف الدراسات في دراستها للإيقاع في القرآن بين من نظر إليها من زاوية لغوية تقوم على دراسة خصائص الأصوات اللغوية و صفاتها ومخارجها، و من نظر إلى تأثيرها على النفس و القلب، و بين فني حاول الاستفادة من علم الموسيقى و يبحث في دلالة الأصوات على المعاني و ما تخلفه في النفس.

3 يُبني الإيقاع في النص القرآني على عدة معطيات صوتية، صرفية، بلاغية. و من خلال عدة ظواهر كالتكرار، الحذف، الزيادة، الترميم، الفاصلة، أجراس الأصوات و تألفها....

4 للدراسات التي خاضت في موضوع الإيقاع في النص القرآني لم تقنن له، و إنما هي ملاحظات فقط،

ومحاولات لتفسير النسق الصوتي في القرآن.

¹. كمال أحمد غنيم، و رائد الندية، جماليات الموسيقى في النص القرآني، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مج 20، العدد 2 يونيو 2012، ص:6.

². مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، لبنان، ط9، 1973م، ص:221.

³. رمضان محي الدين، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، ص43، نقلاً عن كمال أحمد غنيم، جماليات الموسيقى في النص القرآني، ص: 09.

5 يتميز الإيقاع في القرآن عن غيره من الأشكال التعبيرية الأخرى بعدم وجود قانون ثابت ينطبق على كل الآيات، و لا توجد ظواهر صوتية مطّردة في جميع متنه، ولعلّ جمال الإيقاع في القرآن نابع من كسر الإيقاع في ذاته، و التنوع في الأنساق الصوتية .

6 رغم ثبوت وجود بعض الظواهر الصوتية التي يتشكل من خلالها الإيقاع في القرآن، فإنه لا يمكن الجزم بأن وضع صوت معين أو لفظ معين إنما كان لضرورة تحقيق الإيقاع و ليس من أجل المعنى. فهذا هو لب الإعجاز في النظم القرآني الذي يجمع جمال الصوت إلى دقة المعنى.

7 يمكن دراسة الإيقاع في القرآن من خلال مستويين مستوي تركيبي يعنى بدراسة الأصوات في اللفظة الواحدة من خلال أجراسها و نطقها مع الأصوات المجاورة، و ملاءمتها لمعنى الكلمة، و مستوى فوق تركيبي يعنى بدراسة علاقة الكلمة (صرفيا - دلاليا- صوتيا) بما يجاورها في التركيب، و التلاؤم الحاصل بينها لتحقيق نسق صوتي معين يؤدي الدلالة المقصودة.

8 يحكمّن الإفادة في دراسة الإيقاع في النص القرآني من المصطلحات و النتائج و الآليات التي تتيحها العلوم الحديثة و خاصة اللغوية منها، و الفنون كالموسيقى و ما وصلت إليه من تقنين متقدم لآلية تشكل الأصوات في أنساق محددة.

III. أنواع الإيقاع في الفواصل القرآنية:

1) الإيقاع الصرفي:

إنتبه اللغويون الأوائل - كما أشرنا سابقاً - إلى أن للبنية الصرفية أهمية كبيرة في تحديد الدلالة، من ذلك ما أشار إليه الخليل من مدّ الصوت و تقطيعه و ما إنتبه إليه ابن جني من دلالة المصادر الرباعية المضعفة على الزعزعة و القلقلة أمّا تكرار قالب الصوتي (أي الوزن الصرفي) عدّة مرات في الفواصل القرآنية فهو قضية تفرض دلالتها وتلفت الانتباه إليها ، لما تتركه من وقع صوتي و جرس تألفه الأذن و تحفظه الذاكرة بسرعة. و قد أردنا أن نتناول الإيقاع الصرفي من جانبين:

1) إيقاع الأوزان و الصيغ:

و هو إنتهاء الآيات القرآنية بفواصل متفقة الوزن أي على وزن واحد. و قد انتبه إلى ذلك العلماء المتقدمون، فجعلوها "الفواصل المتوازنة" نوعاً من الفواصل يتمّ تحديده بمفهوم الفواصل التي فيها "يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط"¹ دون مراعاة حروف السجع. و معيار الأوزان الصرفية لا يعتمد على البنية الصوتية فقط، فكلّ وزن هو كيان دلالي، بل إنّها (الأوزان) "قوالب فكرية تصبّ فيها المعاني العامة، فتحدّدها و تعطيهما حجمها ومعناها، أي أنّها تجعلها على سمتها كما و كيفاً"²، فتشترك بواسطتها الجذور اللغوية المختلفة في معاني عامة مشتركة تحدّدها البنية. فدلالة اللفظة الواحدة بصيغتها مقترنة بمعناها المعجمي و معناها التركيبي، "فالقادمي رأوا أنّ المعاني الإفرادية للصيغ هي مجرد صور ذهنية تستدعي ألفاضها الموضوعية لها في لغة ما، و هي مجرد صورة ذهنية يسبق تصوّرها في النفس حدوث المواضع، و هي المعاني الوظيفية لتلك الصيغ الصرفية يتصوّرهما العقل قبل النطق بها بتلك الصيغ"³، من ذلك احتفاظ العقل البشري بمعنى الفاعلية من صيغ فاعل، و معنى المفعولية من صيغة مفعول، فالصيغ مادّة خام، تحمل دلالة عامة تلبسها الألفاظ فتضيف إليها معاني خاصّة محدودة. و أمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم، نسوق بعضاً منها فيما يأتي:

• الإيقاع الصرفي في سورة الغاشية:

سورة الغاشية سورة مكية تأخذ الترتيب الثامن و الثمانون (88) ضمن ترتيب سور المصحف الشريف. و عدد آياتها ست و عشرون (26) آية. و الغاشية " هي الداهية التي تغشى الناس بشدائدها و تلبسهم أهوالها:

¹ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 113.

² كوليزار كاكل العزيز، القرينة في اللغة العربية، دار دجلة، الأردن، ط1، 2006م، ص: 75.

³ عاصم شحادة علي، المعاني الوظيفية لصيغة الكلمة في التركيب دراسة في الدلالة، مجلة دراسات، عمادة البحث العلمي الأردن، المجلد 35، ع3، 2008، ص: 549.

يعني القيامة¹، و قيل "هي صفة أُريدَ بها حادثة القامة سُمّيت غاشية على وجه الاستعارة لأنها إذا حصلت لم يجد الناس مفرًا من أهوالها فكأنها غاشٍ يَغْشى على عقولهم و يُطلق الغشيان على غيبوبة العقل فيجوز أن يكون وصف الغاشية مشتقًا منه"². و هي سورة يدور موضوعها حول القيامة و أهوالها و ما يصيب الإنسان المؤمن فيها من راحة و حسن الجزاء، و ما يصيب الإنسان الكافر من شقاء و عناد، كما تحمل السورة دعوة الله لخلقه للتمعّن في بديع صنعه و حكمة تديبه من السماء و الجبال و الأرض و الحيوان ، و "الإيماء إلى ما بيّن ذلك الإجمال كله بالإنكار على قوم لم يهتدوا بدلالة مخلوقات من خلق الله و هي نصب أعينهم، على تفرّده بالإلهية فيعلم السامعون أنّ الفريق المهتد هم المشركون"³.

و قد تميزت السورة بجرس صوتي خاص جعلها ألين قراءة و سمعًا و أقرب حفظًا و استرجاعًا. و من خصائص جرسها الصوتي إتباعها أوزان صرفية محددة في فواصلها شكلت لها إيقاعات صرفية متتالية نبيتها فيما يأتي:

- الإيقاع الصرفي الأول:

و يمتد من الآية الأولى إلى الآية 12، يتخللها تقطع خلال الآيتين 06 و 07.

قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَشِيَّةِ ① وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ② عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ③ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ④ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَائِنَةٍ ⑤ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ⑥ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ⑦ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ⑧ لَسَعِيَهَا رَاضِيَةٌ ⑨ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ⑩ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ⑪ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ⑫ ﴾⁴.

و قد نتج هذا الإيقاع الصرفي عن بناء الفواصل على وزن واحد هو وزن (فاعلة) أو (فاعل+تاء التأنيث) وهو صيغة تشق من الثلاثي المجرد (لازمًا كان أم متعديًا) على وزن فاعل⁵، و قد يضاع هذا الوزن لإسم الفاعل "للدلالة على من فعل الفعل على وجه الحدوث لا الثبوت"⁶. أو الصفة المشبهة "إذا قصد من الوصف المشتق عليه الثبوت و الدوام"⁷، ك: طاهر، فاضل.

و قد جاءت الفواصل الموزونة بهذا الوزن كما يلي:

1. جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 246.

2. ابن عاشور، التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م، ج 30، ص: 294.

3. السابق، ص: 293، 294.

4. الغاشية/ 01 ، 12.

5. قال ابن مالك في الألفية: كفاعل ضع اسم فاعلٍ إذا من ذي ثلاثة يكون كغذا.

6. سعيد بن محمد الأفغاني، الموجز في قواعد العربية، دار الفكر، بيروت، ج1، 2003م، دط، ص: 197.

7. محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية و نحوها و صرفها، دار الشروق، ط3، دت، ج1، ص: 239.

الغاشية (01)	الخاشعة (02)	عاملة ناصبة (03)
حامية (04)	آنية (05)	
ناعمة (08)	راضية (09)	عالية (10)
لاغية (11)	جارية (12)	

و هذه الفواصل جاءت في آيات تصوير حال الناس يوم القيامة و ما يكون شأنهم أمام رب العباد فجاء "ذكر حال الأشقياء و أهل النار، بذكر حال السعداء أهل الجنة"¹.

- الإيقاع الصرفي الثاني

و يمتد من الآية الثالثة عشر حتى الآية السادسة عشر:

قال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُورٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝۱۳ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝۱۴ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝۱۵ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝۱۶ ﴾².

و ينتج هذا الإيقاع من توالي الفواصل على وزن واحد هو وزن مفعول (+ تاء التانيث). و تشتق هذه الصيغة للدلالة "على من وقع عليه الحدث، على وجه الحدوث، لا الثبوت"³، و صيغة مفعول يؤخذ من الثلاثي المجرد.

و قد تدل على الصفة المشبهة أيضاً: "إذا قصد من الوصف المشتق عليه الثبوت و الدوام"⁴، كممدوح

كممدوح و محمود. و قد جاءت الفواصل الموزونة بهذا الوزن كما يلي

مرفوعة (13) موضوعة (14).

مصفوفة (15) ماثوثة (16).

و هي أوصاف للجنة و الموجودات فيها من أسرة مرتفعة و الأقداح المعدة المعدة للشراب و الوسائد المصفوفة إلى جانب بعضها و الزرابي الفاخرة⁵ و كل ذلك معدّ للمؤمنين في الجنة، و قد ناسبت صيغة مفعول الوصف لتعبّر عن التسخير الإلاه ي للموجودات من أجل استقبال المتقين بـ "بمقاعد أهل الجنة المشعرة بترف العيش من شراب و متاع، و هذا وعد للمؤمنين بأن لهم في الجنة ما يعرفون من النعيم في الدنيا"⁶.

¹ . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص552.

² . الغاشية/ 13، 16.

³ . محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية و نحوها و صرفها، ص: 237.

⁴ . السابق، ص: 239.

⁵ . "مرفوعة: من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خول له ربه من الملك و النعيم. و موضوعة: كلما أرادوها وجدوها موضوعة بين أيديهم عتيبة حاضرة لا يحتاجون إلى أن يدعوا بها، أو موضوعة على حافات العيون معدة للشراب. و مصفوفة: بعضها إلى جنب بعض مساند و مطارح أينما أراد أن يجلس على مسورة و استند إلى أخرى". جار الله الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص: 247.

⁶ . ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج30، ص: 303.

- الإيقاع الصرفي الثالث

و يمتد على مسافة أربع آيات،

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾¹.

ينتج هذا الإيقاع عن تكرار القالب الصرفي الواحد و هو فعلت و الذي يدل على الفعل الماضي المبني

للمجهول و المقترن ببناء التأنيث

و قد جاءت الفواصل كما يلي: خُلِقَتْ - رُفِعَتْ - نُصِبَتْ - سُطِحَتْ. و الفعل المبني للمجهول غير المعلوم، و هو "ما لم يذكر فاعله في الكلام بل كان محذوفاً لغرض من الأغراض"². و لنا أن نستبعد بدء الجمل بالفاعل لأن القائل هو الله و هو العالم بالغيب. و الحذف في هذه الآيات يفيد أغراضاً نحسبها:

1 - الإيجاز، و الابتعاد عن تكرار الفاعل في كل آية، ففي أول الآيات هذه ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

﴾، فيها "حصر في الفاعل من حيث المعنى فالخلق محصور في الله تعالى، فهو إذن صاحب الأفعال (رفعت، ونصبت، و سطحت) فهو الذي خلق، و شيء من التفصيل المرتكز إلى الإيجاز البلاغي"³، فالمعنى العميق المكتمل الأطراف لا يقتضي الاسترسال و الإطناب، و من إعجاز القرآن الكريم أنه يقدم أدق المعاني بأقصر العبارات و هو ما أشار إليه البعض بـ "القصدي في اللفظ و الوفاء بحق المعنى"⁴.

2 - لفت الانتباه إلى الحدث في ذاته و هو: خلق الإبل، و رفع السماء و نصب الجبال، و سطح الأرض.

وليس ذلك من باب الجهل بالفاعل أو أهمية الفعل على الفاعل، و لكن لتحقيق غرضي: التقرير و التحقيق. فالأحداث قد وقعت و الإنسان مطالب بالتدبر و الإقرار بعظمة الحدث لهذه الحوادث. فإذا انتبه الإنسان و أقر بعظمه للأحداث المذكورة قاده عقله إلى الإقرار بعظمة الخالق الرفع، الناصب، الساطع، و هذا ما يؤكد مطلع هذا الحزمة الإيقاعية التي بدأت بقوله تعالى: "أَفَلَا يَنْظُرُونَ" و هي دعوة من الخالق للمخلوق إلى النظر في الخلق نظرة تدبر و تفكر و اعتبار و من شأن هذه النظرة أن تقوده إلى الحقيقة.

¹ الغاشية/17، 20

² مصطفى الغلايني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 1997م، ج 1، ص: 50.

³ زاهد محمد حنفي، المبني للمجهول في القرآن الكريم، بحث في النحو و الدلالة، مجلة جامعة الخليل للبحوث، مج 3، ع 01، 2007م، ص: 57.

⁴ محمد عبد الله وراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، دت، ص: 109.

3 - أشار بعض الدارسين إلى أنّ بناء الفعل قد يتعلّق بالجانب الصوتي أو النظمي للكلام، ف" بينى الفعل

للمجهول في الشعر لتصحيح النظم و في القرآن الكريم لمناسبة الفواصل و الموازنة بين الجمل " ¹.

فجاءت فواصل هذه الآيات على نفس الأوزان ممّا خلق جرسًا موسيقيًا مميّزًا زانته تاء التانيث التي تسمع الإبل و الجمال و السماء و الأرض، على أنّه لا يصحّ القول أنّ هذا جاء لمراعاة النظم الصوتي فقط، فالفواصل في القرآن الكريم تأتي في مكانها نظما و معنا ثابتة مستقرة و المساس بحرف واحد هو إخلال بعمق المعنى و جمال المبني، فالنظم الصوتي في القرآن هو " القشرة السطحية للجمال القرآني، و ليس الشأن في هذا الغلاف إلاّ كشأن الأهداف مما تحويه من اللآليء النفيسة" ².

فالجوهر الثمين يستدل عليه من حجابته الذي يوفر له عوامل حفظه و بقاءه، بل الفواصل أجلّ و أعظم في أنّها تشارك الجوهر قيمته و تقاسمه لمعانه.

و أورد ابن جني في المحتسب أنّ عليا بن أبي طالب عليه السلام قرأ الآيات ببناء الأفعال للمعلوم، أي: خَلَقْتُ، رَفَعْتُ، نَصَبْتُ، سَطَّحْتُ، و فسّر له ذلك أنّ " المفعول هنا محذوف لدلالة المعنى عليه، أي: كيف خلقتُها، و رفعتها، و نصبتها، و سطحتها؟ و قد تقدّم القول على حسن حذف المفعول به، و أنّ ذلك أقوى دليل على قوة عربية الناطق به" ³. و هو ما أورده جار الله الزمخشري في الكشف و أضاف عليه عن "هارون الرشيد أنه قرأ سطّحت بالتشديد، و المعنى: أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا يُنكروا اقتداره على البعث" ⁴.

- و النسق الصوتي الناتج عن الفاصلة المبنية على تكرار صيغ الأفعال المبنية للمجهول كثيرة في القرآن

الكريم. و لعلّ أكثر السور التي تحقق فيها النسق على أوسع وجه سورة التكوير.

قال تعالى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمُوءَدَّةُ سُيِّلَتْ ⑧ بَأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَبَابِطُ سُعِرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْفِلَتْ ⑬ عَامَتِ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭ ﴾ ⁵.

و هي آيات تصف أهوال القيامة و ما يلاقيه البشر من هول و فزع و هم يشاهدون انقلابًا كونيًا عجيبا يمسّهم و يمسّ الشمس و الجبال، و الإبل ... و لا يبقى أمامهم شيء إلاّ و تعرّض للهزّ و التبدّل.

¹. زاهد محمد حنفي، المبني للمجهول في القرآن الكريم، ص: 58.

². محمّد عبد الله وراز، النبأ العظيم، ص: 104.

³. ابن جني، المحتسب، ج2، ص: 365.

⁴. جار الله الزمخشري، الكشف، ج4، ص: 248.

⁵. التكوير/1، 14.

- و نسق ذاته نجده في بعض آيات سورة المرسلات

قال تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسُلُ أُنزِلَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾﴾¹.

و هي آيات يتوعدنا الله فيها بتحقيق وعده بقيام الساعة و عودة البشر إلى ربهم للحساب.

و لعلنا في ملاحظة بسيطة نقف عند نقطة مفادها أنّ الوزن (فعل) و (فعل) المتبوعين بتاء التأنيث قد كان في

الغالب لوصف الأكوان و ما فيها من خلق مختلف: كواكب، بشر، إنسان، حيوان. و في مجملها تدعو إلى

التدبّر و الحذر من غضب الله، كما تأتي لوصف ما سبق يوم القيامة و ما يعترها من تغير.

نتائج عن الإيقاع الصرفي في سورة الغاشية:

- يتنوع الإيقاع الصرفي في السورة تماشياً مع مدلول الآيات.

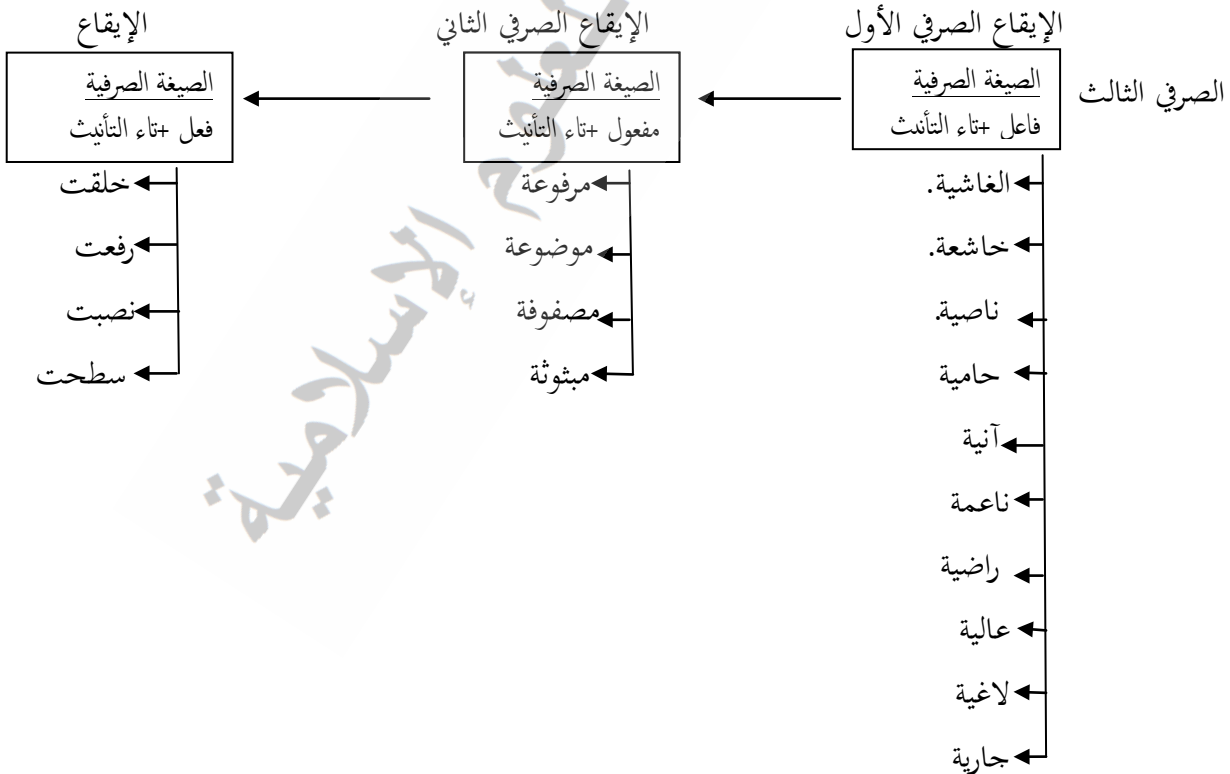
- أبرز الإيقاعات التي في السورة ناتجة عن تكرار صيغ صرفية بشكل متتالي في عدة آيات، و هي ثلاثة

أوزان: فاعل + مفعول + فعل.

- تميّز النسق الصوتي في السورة بجرس خاص ناتج عن ملازمة صوت التاء لكل تلك الصيغ في السورة. و قد

جاء للدلالة على المؤنث، فكان تاءً مغلقة مع الأسماء، و مفتوحة مع الأفعال.

سلسلة الإيقاع الصرفي في سورة الغاشية



¹. المرسلات/8، 12.

• إيقاع الأوزان و الصيغ في سورة المرسلات:

سورة المرسلات سورة مكية تأخذ الرتبة السابعة و السبعين من ترتيب سور المصحف الشريف، و عدد آياتها خمسون آية، و المرسلات هي الرياح المرسلات، يتبع بعضها بعضاً، و سميت بها لأن الله أقسم بها في مطلع السورة ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾¹ حيث " أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن بمضيهن كما تعصف الرياح تخففاً في امتثال أمره"¹، و تتناول السورة ذكراً للملائكة و ما تقوم به تطبيقاً لأوامر الله تعالى ثم ذكراً لأهوال القيامة و تأكيداً على تطبيق و عيده بالحساب للبشر، و تسليطاً لأشر العذاب بالمجرمين، كما عرضت السورة بعضاً من دلائل قدرة الله تعالى في إحياء الموتى و إهلاك الكفرة، و تتميز السورة بتكرار آية "وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ" عدة مرات لتؤكد على الموضوع العام للسورة و هو تحذير الكافرين لامتناعهم عن الإيمان بالله و عبادته.

- تميز الإيقاع الصرفي في السورة بتشابه البنية التركيبية للجمل بصفة عامة، مما جعلها تولد جرساً صوتياً منتظماً و عذباً خاصة في أوائل السورة ساعدها في ذلك قصر العمل الذي يزيد من تردد القوالب الصوتية (أي نسبة ورودها مقارنة مع طول السورة أو عدد الألفاظ)، و معظم هذه الآيات تتكون من ثلاث كلمات.

- تميز الإيقاع الصرفي في السورة بوجود تراكيب متقابلة تسهم في تهيئة المتلقي، و تنشيط توقعه للشكل الصوتي في الفاصلة². و ليس ذلك على مستوى الفاصلة فحسب، و إنما في مدى يشمل كل الآية تقريباً. و في الجدول الآتي نحصي القوالب الصرفية المكررة في السورة:

سورة المرسلات			
الآية	القالب الصرفي المقابل	الآية	القالب الصرفي
06	﴿عُدْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ ^٦	01	﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ ^١
03	﴿وَالنَّشْرَاتِ نَشْرًا﴾ ^٣	02	﴿فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا﴾ ^٢
04	﴿فَالْفَرْقَاتِ فَرَقًا﴾ ^٤		
05	﴿فَالْمَلَكِيَّاتِ ذِكْرًا﴾ ^٥		
09	﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ ^٩	08	﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ ^٨
10	﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾ ^{١٠}		
11	﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ﴾ ^{١١}		

¹ . جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 202.

² . إياد عبد الودود الحمداي، و خيرى جبير الجميلي، الفاصلة و بنية الانسجام في سورة الإنسان، مجلة ديالي، العراق، ع23، 2006، ص: 07.

أظهرت القوالب التركيبية المتقابلة انسجامًا عذبًا في السورة خاصة و أن التوافق قد تعدد الفواصل ليمس كل تركيب الآية الواحدة تقريبًا، هذا من جهة، و من جهة أخرى فإن التوالي المباشر لهذه القوالب ساعد الإيقاع الصرفي في البروز أكثر.

على أن السورة قد تميّزت بتوافق الأوزان الصرفية في الآيات الأخرى و لو بشكل جزئي و متفرق و له من الجمال ما يستوفينا عنده، و إحصاؤه في الجدول الآتي:

الآية	الفواصل	الدلالة	الوزن الصرفي
35	لَا يَنْطِقُونَ	الفعل المضارع المتصرف مع جماعة الغائب	يفعلون
36	فَيَعْتَذِرُونَ		
42	يَشْتَهُونَ		
48	لَا يَرْكَعُونَ		
50	يُؤْمِنُونَ		
29	تُكذِّبُونَ	الفعل المضارع المتصرف مع جماعة المخاطب	تفعلون
43	تَعْمَلُونَ		
10	لِلْمُكذِّبِينَ	إسم الفاعل (من غير الثلاثي) المتصرف مع جماعة الذكور.	مفعولون
18	بِالْمُجْرِمِينَ		
44	الْمُحْسِنِينَ		
46	مُجْرِمُونَ		

و ما يلاحظ على هذه الصيغ المتكررة بوفرة هو انسجامها الصوتي الناتج عن نهايتها النونية المسبوقة بمد الواو أو الميم من جهة، و انسجامها الصرفي الناتج عن دلالتها على الجماعة من جهة أخرى، و هو تناسب تماشى مع الآيات الأخرى التي لم تتفق معها في الوزن ك: ﴿الْقَادِرُونَ﴾ و ﴿فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ التي تجلت عي الأخرى على الجماعة و انتهت بالواو و النون.

• الإيقاع الصرفي في سورة العاديات:

العاديات من السور القصصار. و هي مكية، ترتبها مائة و بها إحدى عشرة آية، و فيها "أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح، و الضبح صوت أنفاسها إذا عدون"¹.

¹. جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 277.

و قد ساعدت الصيغ الصرفية المنتقاة في تأدية المعنى و تصوير الخيل و هي تعدو بسرعة فتتعالى من خلفها الأصوات و يتطير شرر النار من حوافرها فتتوسط الأعداء و تثير في نفوسهم الرهبة. و من ذلك صيغة فاعلات و مفعلات و كلاهما تدلان على من قام بالفعل.

كذلك صيغ الفاصلة "فعالاً" القصيرة المعبرة عن السرعة، و المشبعة بعد التنوين تعبيراً على احتراق الزمن و المسافات عدواً، ساعد في تحقيق دلالة المشهد توالى الحركات و المدود التي تصوّر مشهداً مليئاً بالحركة و السرعة. تتميز السورة بالقوالب الصرفية المتقابلة مثنى و ثلاثي في سورة بديعة قلّما تتكرر في باقي السور بهذا الشكل.

سورة العاديات			
الآية	القالب الصرفي المقابل	الآية	القالب الصرفي
02	﴿فَالْمُورِيَّتِ قَدَحًا ٢﴾	01	﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا ١﴾
03	﴿فَالْمُغِيرَتِ صَبْحًا ٣﴾	04	﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ٤﴾
05	﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥﴾		
07	﴿وَأِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧﴾	06	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦﴾
11	﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ١١﴾		
10	﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٠﴾	09	﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ٩﴾

فالسورة، إذن، غنية بالقطع الصوتية المتشابهة بشكل منتظم متلاحم الأجزاء يخدم الدلالة أيما خدمة في صيغها الصرفية و تواليها و انتقاء الأصوات و أجراسها، و قد لفتت هذه السورة عناية الباحثين بما فيها من إيقاع صوتي مميز، من ذلك ما أورده سيد قطب حولها: "إنّ الموسيقى هنا لشبيهة بموسيقى النازعات، بل هي أشدّ، و أعنف، و فيها خشونة و دمدمة و فرقة، و هي تناسب الجو الصافي المعرّ الذي تنشئه القبور المبعثرة، و الصدور المحصل ما فيها بقوة، و جوّ الجحود و بشدة الآخرة"¹.

فالأصوات الباء، الدال، الراء المتكررة تساعد بشدتها و جهرها في إضفاء جو من الرهبة و القوة على السورة، لتساعد بذلك الصيغ الصرفية و التراكيب المتكررة و المتعاقبة بشك بديع يرسم سورة للخشوع و النظام و القدرة الإلهية في تسيير حياة المخلوقات وفق إرادته.

ملاحظة سيد قطب بتشابه الإيقاع الصرفي بين سورتي العاديات و النازعات موفقة. فحتىّ إسم السورتين كان على وزن واحد، و لا غرابة في ذلك إذا كان التشابه في الموضوع كبيراً فسورة النازعات كذلك تتحدث عن القدرة الإلهية في تنظيم الخلق، و عن الساعة و حقيقتها و ما يلاقيه الظالمون من عذاب شديد بدءاً من الموت الذي

¹. سيد قطب، في ظلال القرآن، ص: 126.

سيكون قاسياً عليهم من "النازعات الملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزحاً بالغاً أقصى الغاية في الشدة و العسر، وزادت النازعات عن العاديات طولاً"¹، باحتوائها على قصّة فرعون و طغيانه و ادعائه الربوبية و عن آل قريش و تكذيبهم بالسّاعة. و قد تُبعت كلمة (النازعات) ب (غرقاً) تعبيراً عن "الإراق في النزح: أي تنزعها من أقاصي الأجساد و أناملها و أظافرها"².

تشابه السورتان في مطلعهما، من حيث القطع الصوتية (التركيب) المتشابهة، و بعد عرض الإيقاع الصوتي في العاديات، نعرض بعض مميزات الإيقاع الصرفي في النازعات و الذي جاء في شكل حزم إيقاعية متباينة:

سورة النّازعات			
رقم الآية	النوع	القالب الصرفي	
01	تشابه في التركيب (أكثر من صيغة صرفية) "فاعلات" (جمع تأنيث) متبوعة بمصدر الفعل الثلاثي على وزن فعلاً.	﴿وَالنّازعاتِ غَرَقًا﴾ ^(١)	التشكيكية 01 الإيقاعية (الحزمة)
02		﴿وَالنّشيطاتِ نَشْطًا﴾ ^(٢)	
03		﴿وَالسّديحاتِ سَبْحًا﴾ ^(٣)	
04		﴿فَالسّبيقاتِ سَبْقًا﴾ ^(٤)	
05		﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ ^(٥)	
06	تشابه في كلمة آخر الآية (الفاصلة). "فاعل" الدالة على اسم الفاعل و الصفة المشبهة متبوعة بتاء التأنيث.	الرّاجِفةُ	الحزمة 02.
07		الرّادِفةُ	
08		وَاجِفةُ	
09		خاشِعةُ	
10		الحافِرةُ	
12		خاسِرةُ	
13		وَاحِدةُ	
14		السّاهِرةُ	
17	الفعل المعتل الآخر في صيغتي الماضي و المضارع. المتصرفة مع المفرد المذكر (المخاطب - الغائب).	طَعَى	الحزمة 03
18		تَزَكَّى	
19		تَحَشَّى	
21		عَصَى	

¹. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص 513.

². جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 212.

22		يَسْعَى	
23		نَادَى	
26		يَخْشَى	
35		سَعَى	
36		يَرَى	
37		طغى	
27	فعل معتل الآخر في صيغة الماضي (ما عدي	بَنَاهَا	الحزمة 04
28	يخشى في المضارع).	فَسَوَّاهَا	
30	ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به.	دَحَاهَا	
32	المفرد و المؤنث الغائب)	أَرْسَاهَا	
45		يَخْشَاهَا	

يتضح من الجدول أن سورة النازعات قد تميزت بإيقاع صرفي متنوع ما بين تراكيب و مفردة و على مستوى كامل السورة، مما يجعلها من أكثر السور تميزاً في البناء الصرفي الذي يدعمه البناء الصوتي بإحتواءه على أصوات ترنمية كآلف الإشباع بالتنوين، و الراء المتبوعة بتاء التانيث التي تنطق هاء ساكنة عند التلاوة، و صوت الألف الناتجة عن الأفعال المعتلة و عن هاء التانيث الغائبة في آخر الأفعال و الأسماء.

• الإيقاع الصرفي في سورتي الصافات و الذاريات:

سورتا الصافات و الذاريات مكيتان، من سور الربع الأخير من القرآن الكريم، و كغيرهما من السور المكية تشيّدان دعائم الإيمان، و تبنيان عقيدة راسخة بتوحيد الله و أتقوى و الإيمان، و ذلك من خلال توجيه قلب الإنسان و بصره (حواسه) إلى الخلق و تنظيمه. و تتشابه السورتان إلى حدّ بعيد في البناء الصرفي للفواصل انطلاقاً من الآيات الأولى، و لنا أن نرصد في الجدول الآتي بعض خصائص الإيقاع الصرفي المشتركة بينهما:

الآية	الذاريات	الآية	الصافات	القالب الصرفي	
01	﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾	01	﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾	الفاعلات	الحزمة 01
02	﴿فَالْحَمِيَلَاتِ وِقْرًا﴾	02	﴿فَالرَّجْرَاتِ رَجْرًا﴾	فعلا	
03	﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسرًا﴾	03	﴿فَالْتَلِيَاتِ ذَكْرًا﴾		
04	﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾				
05	صَادِقٌ	04	وَاحِدٌ	فاعل	الحزمة 02

06	وَأَقَعَ	07	مَارِدٍ		
		08	جَانِبٍ		
		09	وَاصِبٌ		
		10	تَأَقِبٌ		
		11	لَأَزِبٍ		
13	يُفْتَنُونَ	12	يَسْتَحِرُونَ	يفعلون	الحزمة 03
14	تَسْتَعْجِلُونَ	13	يَذْكُرُونَ	تفعلون	
17	يَهْجَعُونَ	14	يَسْتَسْحِرُونَ	تستفعلون	
18	يَسْتَعْفِرُونَ	19	يَنْظُرُونَ	تتفاعلون	
21	تُبْصِرُونَ	21	تُكَدِّبُونَ	يفعلون	
22	تُوعِدُونَ	22	يَعْبُدُونَ	الفعل المضارع	
23	تَنْطَفُونَ	25	تَنَاصِرُونَ	مع جماعة	
27	تَأْكُلُونَ	27	يَتَسَاءَلُونَ	الذكور	
44	يَنْظُرُونَ	35	يَسْتَكْبِرُونَ		
49	تَذَكَّرُونَ	39	تَعْمَلُونَ		
56	يَعْبُدُونَ	47	يُنزِفُونَ		
57	يُطْعَمُونَ	50	يَتَسَاءَلُونَ		
59	يَسْتَعْجِلُونَ	70	يُهْرَعُونَ		
60	يُوعِدُونَ				
10	الْحَرَّاصُونَ	26	مُسْتَسْلِمُونَ	فاعلون	الحزمة 04
11	سَاهُونَ	29	مُؤْمِنِينَ	(فاعلين+)	
16	مُحْسِنِينَ	30	طَاغِينَ	مفعلين) أو	
20	لَلْمُؤَقِنِينَ	31	ذَاتِقُونَ	مفعولين	
24	الْمُكْرِمِينَ	32	عَاوِينَ	(الجماعة	
31	الْمُرْسَلُونَ	33	مُشْتَرِكُونَ	الفاعلة أو	
32	مُجْرِمِينَ	34	الْمُجْرِمِينَ	الجماعة	
34	لِلْمُسْرِفِينَ	37	الْمُرْسَلِينَ	(المفعولة)	
35	الْمُؤْمِنِينَ	40	الْمُخْلِصِينَ		
36	الْمُسْلِمِينَ	42	مُكْرَمُونَ		

45	مُتَّصِرِينَ	44	مُتَّقَابِلِينَ
46	فَاسِقِينَ	46	لِّلشَّارِبِينَ
47	لَمُوسِعُونَ	52	الْمُصَدِّقِينَ لِمَدِينُونَ
48	الْمَاهِدُونَ	53	مُطَّلِعُونَ
53	طَاعُونَ	54	الْمُحْضِرِينَ
55	الْمُؤْمِنِينَ		

و من خلال الجدول الإحصائي يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

1 - تشابه الإيقاع الصرفي بين السورتين كبيرٌ جداً، من مطلعهما حتى نهايتهما مع تميّز سورة الصافات بزيادة عدد الآيات مقارنة بسورة الذاريات.

2 - تنوع الإيقاع الصرفي في السورتين بين قوالب صرفية شملت عدة صيغ و بين قوالب شملت صيغة واحدة.

3 - يمكن ملاحظة أن الإيقاع الصرفي الشائع في السورتين هو إيقاع يعتمد على تكرار صيغ صرفية دالة على جماعة الذكور، و على الوجود من أنها تنوعت بين أسماء و أفعال فإنها حققت إنسجاماً صوتياً كبيراً بسبب تقارب الصيغ و تناسقها في النهايات الصوتية بواو (أو باء) و نون الدالة على الجماعة (في الأفعال هي نون الأفعال الخمسة).

4 - بسبب التشابه الحاصل بين صيغ الأسماء و الأفعال الدالة على جماعة الذكور حدث بينهما تبادل للمواقع في فواصل السورتين بطريقة شكل نسيجاً متناسقاً تصرف الانتباه عن وجود فروق في الفواصل، و يمكن أن تمثل لهذا بأمثلة من السورتين:

السورة	الفواصل المتبادلة المواقع	نوعها	رقم الآيات
الصافات	مُحْضَرُونَ	إِسْم	158
	يَصِفُونَ	فَعْل	159
	الْمُخْلِصِينَ	إِسْم	160
	تَعْبُدُونَ	فَعْل	161
	بِفَاتِنِينَ	إِسْم	162
الذاريات	لِّلْمُؤَقِنِينَ	إِسْم	20
	تُبْصِرُونَ	فَعْل	21
	تُوعَدُونَ	فَعْل	22
	تَنْطِقُونَ	فَعْل	23
	الْمُكْرِمِينَ	إِسْم	24

من خلال عنصر الإيقاع الصرفي أخلص إلى النتائج الآتية:

- 1 - تميّز ربع يس عن غيره من الأجزاء القرآنية بإيقاع صرفي وافر، و مميّز، أدّى إلى تشكيل جرس صوتي خاص به و قد ساعدته في ذلك خاصية الآيات القصيرة التي تميّز بها.
- 2 - الإيقاع الصرفي من أكثر العوامل التي تسهّل حفظ هذا الجزء، و تسهّل ترديده، و ذلك لما به من قوالب صوتية تستسيغها الأذن و تحفظها الذاكرة بسرعة.
- 3 - انتبه أوائل العلماء على الأوزان الصرفية فجعلوها أساساً في تسمية الفواصل الموزونة أي التي تتفق وزناً. وهذا ينم عن حسن لغوي مبكر.
- 4 - إمتازت كل سورة عن باقي السور في القرآن الكريم بإيقاع صرفي خاص ناتج عن تكرارية أوزان صرفية محددة في الفواصل.
- 5 - تشابهت بعض السورة من حيث الإيقاع الصرفي ن و لكن هذا التشابه جزئي أو نسبي، و تزامن ذلك مع التشابه في الموضوعات، مع الحفاظ على البناء اللغوي و الإيقاع الخاص بكل سورة.
- 6 - سيكون الإيقاع الصرفي أكثر بروزاً في الآيات الأولى من السورة ليكون بذلك أشبه بالعنوان الذي نعرف من خلاله الخطابات، و يغيب تدريجياً في متن السورة خاصة إذا كانت طويلة نسبياً.
- 7 - يظهر الإيقاع الصرفي أكثر في الجزء الأخير (جزء عمّ) مقارنة بالربع ككل، و يتناسب ذلك جداً مع قصر صوره و قصر آياته.
- 8 - شاعت في الربع بعض الأوزان الصرفية التي اشتركت فيها سور كثيرة، و أهمها الصيغ الصرفية الدالة على الفعل المضارع المرفوع المتصرف مع جماعة الذكور المخاطبين أو الغائبين (يفعلون).
مثل: يكذبون، يفعلون، تعقلون، تشكرون، تعلمون ... و ليس ذلك مقصور على الربع فقط بل هو صيغة يشيع تكرارها في القرآن كله.
- 9 - شاعت في الربع بعض القوالب الصرفية التي وردت في عدّة سور، و هي تراكيب لم تستعمل في القرآن كله عدا في هذا الربع، و أهمها:

السورة	الآيات	القالب
الصفات	﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا﴾	القالب الصرفي الأول
الذاريات	﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾	
المرسلات	﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾	
النازعات	﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾	
العاديات	﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾	
الحاقة	﴿الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣﴾	القالب الصرفي الثاني

الطارق	﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ ^٢ .	
القارعة	﴿الْقَارِعَةَ ۚ مَا الْقَارِعَةُ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ ^٣ .	
التكوير	﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ^١ .	القالب الصرفي الثالث
الانفطار	﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ ^١ .	
الإنشقاق	﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ ^١ .	

(2) إيقاع الاشتقاق:

اشتقاق الكلام في اللغة "الأخذ فيه يمينا و شمالا. و اشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه. و يقال شقق الكلام إذا أخرجه أحسن مخرج"¹.

و أورد الفيروز آبادي : "الاشتقاق أخذ شقّ الشيء، و الأخذ في الكلام، و في الخصومة يمينا و شمالا. و أخذ الكلمة من الكلمة"². و أورد السيوطي نقلا عن ابن دحية في شرح التسهيل أن: "الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى. و مادة أصلية، و هيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة، كضارب من ضرب، و حذر من حذر"³.

و هو في الاصطلاح وسيلة عظيمة من وسائل إثراء معاجم اللغات الحية بالمفردات و "الطريق الأمثل لتوليد الألفاظ، و تكثير المعاني، بما يجعل اللغة قادرة على مواكبة التطور، و الارتقاء، و التجديد، و يكشف عن عقلية الأمم و مفاهيمها في صوغ الأفكار، و يعمل على معرفة أصول الألفاظ و ما أصابها من تطوّر"⁴، و بهذا يكون الاشتقاق من الأدوات الدالة على منطقية اللغة و حركيتها، و قابليتها للنمو. بل و يساعد على معرفة ملامح التطور اللغوي عبر التاريخ.

و الاشتقاق "ظاهرة أصلية في اللغة العربية تحدث ضمن منهج عمليّ تطبيقيّ... و هو عبارة عن توليد لبعض الألفاظ من بعض، و الرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، و يوحى بمعناها المشترك الأصيل، مثلما

¹ - ابن منظور، لسان العرب ، مج 7، مادة: (ش ق ق).

² . الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ، مادة: (ش ق ق).

³ . السيوطي، المزهري في علوم اللغة، تح محمد جاد المولى و محمد أبو الفضل إبراهيم، و علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص:

346.

⁴ . هادي نحر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص: 588.

يوشي بمعناها الخاص الجديد" ¹. و هو ما يمكّن مستعملي اللغة من سدّ حاجتهم إلى ألفاظ جديدة للتعبير عن الأفكار بحرية أكبر و لفظ اوفر.

انتبه اللغويون القدامى إلى الاشتقاق فأولوه عناية كبيرة و من ذلك ما نراه في مصنفات الأصمعي (ت 216هـ) و ابن دريد (ت 321هـ) و ابن سراج (ت 316هـ) و ابن جني (ت 392هـ)... و قد اتّفقوا جميعاً على أن الاشتقاق إخراج لفظ من لفظ آخر مع تغيير في حركة أو حرف. و ضبط الجرجاني تعريفه بقوله أن الاشتقاق "نزع لفظ من لفظ آخر بشرط مناسبتهما معنى و تركيباً و مغايرتهما في الصيغة" ². و لم يخرج المحدثون عن تعريفات القدامى عدا بعض الاصطلاحات الحديثة، و ذهب معظمهم إلى "وصف اللغة العربية بأنها لغة اشتقاقية لقابليتها على التصريف، و توليد الأبنية المتنوّعة ذات الدلالات المختلفة المرتبطة بتلك الأبنية، و هذا الذي حمل بيار جيرو Pierre Guirraud أن يقول: تبقى العلة الاشتقاقية مصدر من مصادر القوة الإبداعية في اللغة... لأنها تشكّل أوسع عملية لتوليد الألفاظ المعجمية" ³.

ينقسم الاشتقاق إلى ثلاثة أقسام:

- الاشتقاق الصغير: و هو موضوع درسنا و سنفصّل الكلام فيه بعد حين.
- الاشتقاق الكبير.
- الاشتقاق الأكبر.

الاشتقاق الصغير:

يتمثل في نزع لفظ من لفظ على أن يكون بين اللفظين تناسب في المعنى و التركيب مع تغاير بينهما بحرف أو حركة. و يعرف أحياناً بالاشتقاق الصرفي، أو الاشتقاق العام، الذي هو موضوع التصريف. و أطلق د/ يوسف غازي مصطلح الاشتقاق التائيلي Derivational etymologique على هذا النوع من الاشتقاق ⁴.

أما ابن جنيّ فيوضّحه قائلاً: "فالصغير ما في أيدي الناس و كتبهم، كأن نأخذ أصلاً من الأصول فنتقرّاه فتجمع بين معانيه، و إن اختلفت صيغته و مبانيه. و ذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرّفه، نحو سلم و يسلم، و سالم، و سلمان، و سلمى و السلامة... فهذا هو الاشتقاق الأصغر" ⁵. و نفهم

¹ . رنا طه رؤوف، الدلالة المركزية والدلالة الهامشية بين اللغويين و البلاغيين، دكتوراه، بغداد، 2002، ص: 68.

² . الجرجاني، معجم التعريفات، مادة الألف مع الشين، ص: 26.

³ . أشواق محمد النجار، دلالة اللواحق التصريفية في اللغة العربية، دار دجلة، ط1، 2006، ص: 96.

⁴ . السابق، ص: 97.

⁵ . ابن جنيّ، الخصائص، دار الكتب المصرية، تح محمد علي النجار، ج2، ص: 134.

من هذا الكلام أن لكل جذر ثلاثي في الاشتقاق الصغير معنى عام يتوفّر في جميع اشتقاقاته مع وجود اختلاف و معنى خاص في كل مشتق، و يمكن القول أن "الاشتقاق التأثيلي عملية إطالة لبنية الكلمة" و عليه إضافة معنى جديد للمعنى الأصلي للجذر من منطلق أن كل زيادة في المبنى هي زيادة في المعنى. و أوضح السيوطي ذلك أكثر في المزهري فأورد: "و طريقة معرفته تقليب تصاريف الكلمة، حتّى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة إطراد أو حروفاً غالباً، كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط، أمّا ضارب، و مضروب، و يضرب، و اضرب، فكلها أكثر دلالة و أكثر حروفاً، و ضرب الماضي مساوٍ حروفاً و أكثر دلالة، و كلها مشتركة في (ض ر ب) و في هيئة تركيبها"¹، أي بالحفاظ على الجذر و ترتيب الحروف فيه، مع إحداث تغييرات بين الأصل و المشتق كزيادة حركة، أو زيادة حرف مد، أو زيادتهما معاً أو إنقاص أحدهما أو إنقاص أحدهما أو إنقاصهما معاً².

3) الأبعاد الدلالية للاشتقاق الصرفي:

الاشتقاق ظاهرة تمدّ اللغة بالحياة و التجدد و النمو، و لذا جاز لنا القول أن "الاشتقاق هو اللغة، و أن اللغة هي الاشتقاق، و هو قوامها و عمادها"³، و هو ليس وسيلة لتوليد الألفاظ و الصيغ فحسب، بل هو وسيلة تولّد بالتوازي معاني و دلالات جديدة تثري معجم اللغة و تدقّق المعاني و تضبط المفاهيم.

و تكمن القيمة الدلالية للاشتقاق الصرفي في الدلالات التي تؤذيها أبنية الكلمات المشتقة و أوزانها الصرفية، ليصبح دور الاشتقاق مقترنا إلى حدّ بعيد بالدلالات الصرفية التي تُستفاد من بنية الكلمة و صيغتها.

فالمناسبة الموجودة بين المشتق و المشتق منه نوعان:

- لفظية: متعلّقة بأصوات (حروف) الأصل الموجودة في المشتق و المشتق منه بنفس الترتيب.
- معنوية: لأن اللفظين (المشتق و المشتق منه) يجتمعان على معنى عام واحد، مع زيادة أحد المعنيين على الآخر.

فالاشتقاق إذن دال على "اجتماع اللفظين في المعنى و التركيب و تغايرهما في الصيغة بحيث يزيد أحد المعنيين على الآخر، فيشترط في المشتق أن يناسب المشتق منه في الحروف مع المناسبة في المعنى، ك (ضارب) مثلا فإنه يوافق (ضرب) في معناه و أصوله و يخالف صيغته و يزيد عليه بالفاعلية"⁴.

¹ . السيوطي، المزهري في علوم اللغة، ص: 347.

² . جمع السيوطي التغييرات التي تدخل بين الأصل و المشتق في خمسة عشر نوعاً، تفصيلها يبدأ من ص: 348، المزهري في علوم اللغة.

³ - كوليزار كاكل عزيز، القرينة في اللغة العربية، ص: 73.

⁴ - السابق، ص: 74.

ولأن صيغة الكلمة و وزنها و حركاتها تؤدي وظيفة أساسية في تحديد المعنى العام لها، فإن الاشتقاق ظاهرة لغوية على قدر كبير من الأهمية في إضافة دلالات كثيرة متعلقة بالمعنى الأساس و الأصلي للكلمة التي تقدم كل كلمة مشتقة عنها معاني متعلقة بصيغتها و حركاتها، إذ أنّ الصيغة "تؤدي عملاً مهماً في تحديد المعنى العام للفعل، فصيغة الكلمة أو وزنها عنصر من العناصر الأساسية التي تحدّد معناها، ولولا ذلك لالتبست معاني الألفاظ المشتقة من مادة واحدة". وفي الفواصل القرآنية في ربح يس نماذج بديعة لأنواع الاشتقاق نفصل فيه القول في هذا العنصر من البحث. يمكننا أن نلاحظ نوعين أساسيين من إيقاع الاشتقاق في فواصل ربح يس هي:

✓ إيقاع اشتقاق المفعول المطلق:

المفعول المطلق اسم منصوب يدل على المفعولية وسمي كذلك لصدق المفعولية فيه، فهو "المفعول الحقيقي للفعل، أمّا غيره فلا يسمى مفعولاً إلا على سبيل المجاز"¹.

وإيقاع الاشتقاق هو أكثر الإيقاعات الاشتقاقية انتشاراً في الربع، و فيه يُذكر الفعل ثم يشتق منه المفعول المطلق في الرتبة التي تليه، و يكون ذلك مباشرة أو بوجود فواصل لفظية بينهما، و فيما يلي نسوق أمثلة عن ذلك:

الرقم	الآية	السورة
01	﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا﴾	الصفات
02	﴿فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا﴾	
05-04	﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾	الواقعة
07	﴿وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾	نوح
18	﴿وَمُخْرِجِكُمْ إِخْرَاجًا﴾	
08	﴿وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾	المزمل
14	﴿وَذُلَّتْ فُطُوحُهَا تَذِيلًا﴾	الإنسان
16	﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾	
23	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾	
28	﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾	
25	﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾	عبس

¹. محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات اللغة، ج2، ص: 92.

26	﴿ تَشَقَّقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ ^(٣٦)	
16-15	﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿٥٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿٥٦﴾ ﴾	الطارق

و من تحليلنا للأمثلة نسجل ما يلي:

1/- يأتي المفعول المطلق بشكلين الأول أن يأتي بعد الفعل المشتق منه مباشرة (مثال: و يخرجكم إخراجاً) أو تفصلهما عناصر أخرى في الجملة:

﴿ إِذَا رَجَبَتِ الْأَرْضُ رَجَبًا ﴾ ، ﴿ وَذُلَّتْ فُطُوحُهَا تَذَلِيلًا ﴾ .

فاعل نائب فاعل

2/- ورود المفعول المطلق في الجمل يحمل تكرارا لمادة الفعل أي تكرار لمعناه الأساسي و تأكيد له . فالفعل ومشتقه (المفعول المطلق) يشتركان في المعنى و يختلفان في معاني ثانوية تضيفها صيغة الكلمة. ف (فعل) معنى أساسي و (فعلاً) صيغة فرعية، و "الصيغ الفروع تعبر عن معنى فرعي منبثق عما يفيد المعنى الأكبر"¹.

3/- يفيد المفعول المطلق دلالات تخدم دلالة فعله السابق له، و ذلك من منطلق أنه يذكر بعد فعله من أجل تأكيده أو بيان عدده، أو بيان نوعه.

فالمفعول المطلق يدل على نوع فعل الفاعل و صفته كقوله تعالى: " فالصافات صفاً". و فيها يقسم عز و جل بالملائكة الصافات في الصلاة" فالملائكة تنتظم في شكل صفوف منتظمة و قد روي عن النبي ﷺ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟) فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟ قَالَ : (يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ)².

فالمفعول المطلق "صفا" جاء ليبين صفة الصفوف التي تنتظم فيها الملائكة.

4/- يأتي المفعول المطلق لتأكيد فعله و دون تكرار للصيغة و ذلك تجسيدا للجمال اللغوي الذي يحفظ المادة و ينوع الصيغ و يدقق المعاني، مما يثري النص و يغني الدلالة، و من ذلك قوله تعالى: "إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا" ففيها تأكيد أن صب الخالق للما حقيقة لا يمكن لأحد نكرانها أو إدعاء التدخل في ذلك، فهي حقيقة خالصة لرب السموات و الأرض، فهو الذي يصب الماء على الأرض صبا دون تدخل يد الإنسان.

¹ . تمام حسن، اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص: 133.

² . صحيح مسلم/ الحديث 430.

5/- قد يأتي المفعول المطلق للدلالة على الوقوع التام للفعل، و التحقق الكامل له دون نقصان. من ذلك قوله تعالى: " إذا زلزلت الأرض زلزالها". فقد جاء المفعول المطلق (زلزالها) بعد الفعل (زلزلت) لتدل عليه الزلزال المقترن بمكان ما، مستمرة حتى تهز كل ما عليها و لا تسكن حتى تلقى كل ما على ظهرها و تخرج كل ما في باطنها من موتى " و أخرجت الأرض أثقالها".

6/- المفعول المطلق، كغيره من المشتقات، يخدم المبنى و المعنى، ذلك أنه يقدم لنا مواد لغوية كثيرة في صيغة صرفية واحدة، و يعتبر هذا من أهم ميزات الإشتقاق، إذ يوفر لنا مادة صوتية متشابهة البناء مختلفة المعنى. و يصاغ المفعول المطلق فيمن الفعل الثلاثي على وزن فعلاً، فتوالي المفعول المطلق في الفواصل يوفر جرساً صوتياً و طاقة إيقاعية رغم إختلاف المادة اللغوية، و ذلك لإتفاق الصيغة الصرفية:

عبس: صبًا - شقًا / الإنسان: تذليلاً - تقديراً / تنزيلاً - تبديلاً.

بل إن الصيغ الصرفية ليعتريها التغيير و الإحلال حفاظاً على الجرس الصوتي في الفواصل ففي قوله تعالى: "تبتل إليه تبتيلاً" فالفعل (تبتل) مصدر (تبتلاً) و ناب عنه مصدر يلاقيه في الإشتقاق (تبتيلاً)¹. و هو ما حافظ على الإيقاع الصوتي في الفواصل التي كان على وزن "تفعيلاً".

✓ إيقاع إشتقاق إسم الفاعل و المشتقات الأخرى:

يُعدّ إسم الفاعل من أكثر المشتقات إحدائاً للإيقاع الصرفي في ربع يس بعد إيقاع اشتقاق المفعول المطلق. و كان إسم الفاعل فيها مشتقاً من الثلاثي على وزن "فاعل" و من غير الثلاثي على وزن "مفعول" و تنوع في الحالتين بين المفرد و الجمع. إضافة إلى مشتقات أخرى كصيغ المبالغة.

و في الجدول الآتي نورد بعض الإشتقاقات و صيغها و دلالتها مما جاء في ربع يس:

الآية	السورة	رقم الآية	الصيغة	المعنى
﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ^١	الواقعة	01	فاعل	إسم فاعل من الإسم الثلاثي وقع.
﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ^(١٨)	الحاقة	18	فاعل	
﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ^(٥٩)	الواقعة	59	فاعلون	إسم فاعل من الفعل الثلاثي خلق- دال على جماعة الذكور.
﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ ^(٦٤)	الواقعة	64	فاعلون	إسم فاعل من الفعل الثلاثي

¹ . ينظر، محمد الأنطاسي، المحيط في أصوات اللغة، ج2، ص: 99

خلق- دال على جماعة الذكور.				
صيغة المبالغة من الفعل غفر " للدلالة على كبر المعنى" ¹	فَعَال	10	نوح	﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّي إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾
صيغة مبال من الفعل غفر للدلالة على	فَعُول	20	المزمل	﴿وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾
صيغة إسم الفاعل من شفع للدلالة على جماعة الذكور.	فَاعِلِينَ	48	المدثر	﴿فَمَا تَتَّعِبُهُمْ شِفْعَةَ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾
صيغة مبالغة من الفعل ذكر لتكثير المعنى.	مَفْعَل	21	الغاشية	﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾

و تجدر الإشارة إلى أنه هناك إيقاع يلفت الانتباه و هو متعلق بتكرار مادة الفعل دون اشتقاق إسم منه و إنما بإعادة تصريف الفعل مع ضمائر أخرى أو بذكر فعل من مادة ما قبله من الأسماء، فيكون هنا النوع من الفواصل بمثابة نتيجة للآية فترتبط بها معنًا و صوتًا. و نضرب المثل بالآيات الآتية:

الآية	السورة	رقم الآية	الفاصلة
﴿الرَّيُّكَ نُطْفَةً مِّن مَّيِّ يَمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾	القيامة	37	ذكر فعل (المضارع) من مادة إسم في الآية.
﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَدَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾	الفجر	15	تصريف الفعل في الآية من الغائب إلى المتكلم في الفاصلة (في الماضي).
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾	المسد	01	تصريف الفعل من المفرد المؤنث الغائب إلى المفرد المذكر الغائب (في الماضي)

أخلص من خلال دراسة الإيقاع الاشتقاق إلى أن:

- 1- استعمال الاشتقاق في فواصل ربع يس كان ثريًا و تضافر مع المعطيات الصوتية الأخرى في رسم معالم الإيقاع في الربع الذي تميز عن باقي أجزاء القرآن الكريم.

¹ .الرومي، النكت في إعجاز القرآن، ص:104.

- 2 - الاشتقاق ظاهرة لغوية حضرت بقوة في الربع بمختلف أشكالها، و خدمت الصوت و المعنى في آن واحد، فأثرت النص القرآني لغة ومعنى.
- 3 - أهم معالم إيقاع الاشتقاق في الربع هو اشتقاق المفعول المطلق في الفواصل من مادة ما في الآية (فعل، إسم فاعل). و يدل اشتقاق المفعول المطلق على تأكيد الفعل أو بيان صفته.
- 4 - أغنى اشتقاق المفعول المطلق في الفواصل عن تكرار الفعل بهيئة إلى تكرار مادته بصيغة اسمية.
- 5 - شهد الربع أنواعاً مختلفة من الاشتقاق منها: اشتقاق المفعول المطلق، اشتقاق إسم الفاعل، اشتقاق صيغ المبالغة.
- 6 - ساهم الاشتقاق في الفواصل في تحقيق توافق صرفي بديع من خلال اشتقاق صيغ متطابقة من مواد لغوية مختلفة، فأدى - رغم اختلافها معنى - إلى اشتراكها في الدلالات الثانوية كالدلالة على الفاعلية مثلاً.

ب. الإيقاع البلاغي:

1) إيقاع الطباق و المقابلة:

إن الإعجاز في اختيار الفواصل القرآنية فاق كل القدرات البشرية على الإنشاء، ففي الموضوع الذي تختار فيه الفواصل خادمة لمعانيها خدمة يعجز فيها لفظ آخر أن يأخذ محلها، جاءت الفواصل جواهر صوتية متراسة مستقلة متلاحمة، فلم تغفل أن "تجمع مع الغرض المعنوي ما يتصل بجمال اللفظ و بديع الإيقاع"¹.

لتحقيق هذا الإيقاع الصوتي و المعنوي البديع، استمرت الفواصل عديد الظواهر اللغوية و الطاقات التعبيرية التي تحملها. و نحن في هذا المقام سنسلط الضوء على الإيقاع بالمحسنات البديعية و نخص بالذكر الطباق و المقابلة.

اهتم به اللغويون القدامى بهذا الباب كثيراً و أفردوا له مصنفات ففُتسروا و قسموا و تتبعوا وروده في القرآن الكريم و دوره في إحداث الإعجاز اللغوي في القرآن².

الطباق و المقابلة ظاهرتان لغويتان متعلقتان بمعنى واحد بدرجة مختلفة. فالمعنى هو التضاد بنوعيه اللفظي و المعنوي و الدرجة هي اللفظ الواحد الذي يشكل طباقاً. و المركبة هي اللفظان و أكثر الذي تشكل المقابلة.

فالطباق هو "الجمع بين متضادين في الجملة"¹. اسمين كانا أو فعلين أو حرفين و المقابلة هي "أن يذكر لفظان فأكثر ثم أضدادهما على الترتيب"². على أنه "لا يكون الطباق إلا بالأضداد، و المقابلة بالأضداد"³

¹ فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار النفائس، الأردن، ط7، 2009م، ص: 215.

² مرهم: ابن المعتز، كتاب البديع. و القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة.

وغيرها"⁴. ويعتبر الهاقلاني المقابلة نوعًا مركبًا من المطابقة حيث عرّف الطباق بقوله "و يرون من البديع أيضًا ما يسمونه (المطابقة)، و أكثرهم على أنّ معناها أن يذكر الشيء و ضده، كالليل و النهار، و السواد و البياض"⁵، و عرف المقابلة بعد ذلك بقوله: "و هي أن يوفق بين معان و نظائرها و المضاد بضده ... و نظيره من القرآن :

﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٧﴾﴾⁶.

و يدخل في المطابقة ما يخص المقابلة، و هو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معاني متوافقة، ثم ما يقابلها أو يقابلها على الترتيب ، أي أن يحدث طباق بين عنصرين متتاليين أو أكثر "⁷. و الطباق و المقابلة من الوسائل اللغوية التي تصوّر إيقاع الحياة و التقابل الطبيعي فيها. فحياة الإنسان ليل و نهار، فرح و حزن، صيف و شتاء، سماء و أرض، صحة و مرض، طفولة و كهولة، انتصار و هزيمة... في معادلات مستمرة تضع إيقاعًا متوازنًا للحياة يبعث على التجدد و التوقع في آن واحد.

و بالموازاة مع ذلك، كان التقابل من الأوجه الجمالية في القرآن الكريم التي جمعت دقة المعنى إلى عذوبة الصوت فقدمت صورًا بلاغية و جماليًا بيانيا منقطع النظير. يقول الزركشي في البرهان: "و أعلم أن في تقابل المعاني بابًا عظيمًا يحتاج إلى فضل تأمل، و هو يتصل غالبًا بالفواصل"⁸.

✓ إيقاع التقابل في سورة الزمر:

سورة الزمر مكية و آياتها خمسة وسبعون (75)، و تأخذ الرتبة التاسعة والثلاثين (39) من المصحف الشريف. محورها الأساسي عن عقيدة التوحيد و ما يلقي تاركوها من عذاب و ندم.

لعب التقابل في السورة دورًا هامًا انطلاقًا من العنوان " الزمر" الذي يجمع المتضادين من "زمرّة السعداء من الجنة، و زمرّة الأشقياء من أهل النار، أولئك مع الإجلال و الإكرام، و هؤلاء مع الهوات و الصغار"⁹.

فيما يأتي بعض ما ورد في السورة من طباق و مقابلة:

¹ . السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ص: 751.

² . السابق، ص: 752.

³ . وذلك ما جعل كثيرًا من الباحثين يصنفون الطباق نوعًا من المقابلة كابن الأثير في المثل السائر. و كثير من المحدثين.

⁴ . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج02، ص: 449.

⁵ . الهاقلاني، أبو بكر محمد بن الطيّب، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، 1971م. ص: 80.

⁶ . النحل/53، 54..

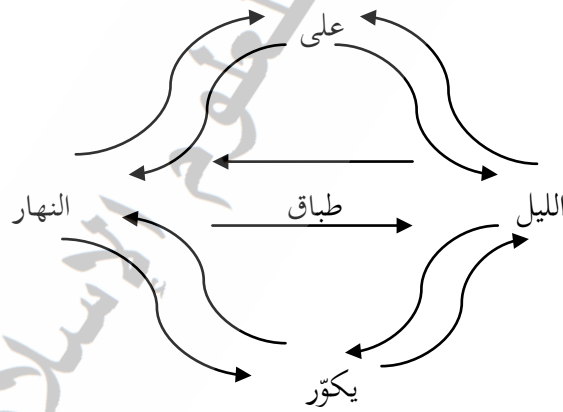
⁷ . السابق/ ص: 85.

⁸ . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج: 03، ص: 453.

⁹ . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص: 70.

1 - قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ﴿٥١﴾¹. في الآية طباق إيجاب بين "السموات" و "الأرض". و هو دليل علي عظيم القدرة الذي خلق السموات في العلي و الأرض المنبسطة، فصور الطباق القدرة الإلهية الشاملة علي الخلق بجمعه بين متضادين في الموقع بالنسبة للمفهوم الإنسان. فالأرض تصور البساط الذي تحته، و السماء تصور السقف الذي فوقه، و تلك ثنائية (الأسفل - الأعلى) الآتية من ثنائية (البساط - السقف) توقف الإنسان عند عظمة الخالق لعظمة الخلق، و هو الذي خلق كل ذلك بالحق أي بالبرهان . بما يشمل الخلق في ذلك ما تحدّه الثنائية من مخلوقات (ما بين السماء و الأرض، فهو طباق يرمز إلى الإحاطة الربانية بحدود الكون في مفهوم الإنسان.

2 - قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ﴿٥٢﴾². في الآية طباق إيجاب بين الليل و النهار في جزئي الآية . و ليس ذلك بتكرار و لكنه إعادة توظيف تحيل على دلالة متممة، فالليل يغشى النهار و يسلب ضوءه لميقات معلوم يعود فيه النهار فيغشى الليل و يضيء سماءه و في هذا طباق متضافر لتحقيق سيرورة الطبيعة في تعاقب الليل و النهار وفق نظام إلهي.



تصوير الطباق المزدوج لتعاقب الليل و النهار.

¹. الزمر/ 05.

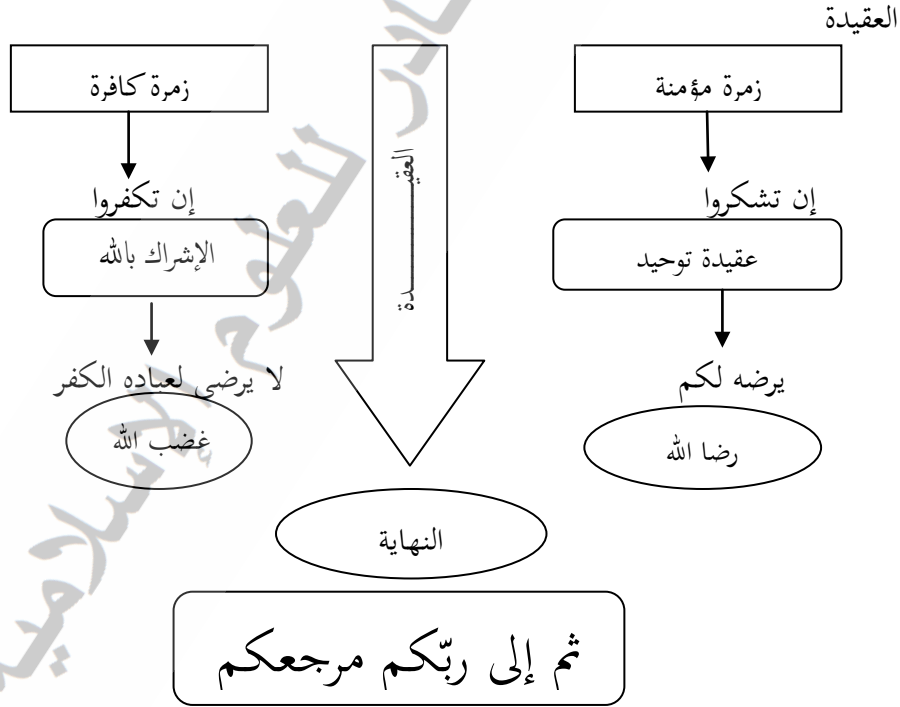
². الزمر/ 05.

3 - قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾¹. في الآية

طباق سلب بين (يعلمون- لا يعلمون) و هو تقابل جامع لأحوال البشر المنقسمين إلى صنفين متعاكسين : صف عالم، و صف جاهل لتكون بذلك ثنائية (العلم /الجهل) المقابلة للثنائية (يعلمون / لا يعلمون) أساسا لتحديد كمال الإنسان، و قد انتصرت الآية للطرف الأول من الثنائية " إنما يتذكر أولوا الألباب " أي العقول السوية و الفطرة السليمة، و ذلك ما يقودهم إلى التذكر أي الاتعاظ و الاعتبار .

4 - قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾².

في الآية مقابلة بدیعة شملت عناصر متعددة مترابطة الألفاظ متلاحمة المعاني فالزمرة الكافرة تتخذ إلهًا لها و لا يضير الله ذلك في شيء و لا يرضي منهم، و الزمرة المقابلة للأولى هي الزمرة المؤمنة التي تشكر الله إيمانًا به، فيرضي الله عليها بشكرها.



شكل يمثل المقابلة بين الكافرين و الشاكرين في الآية 07 من سورة الزمر.

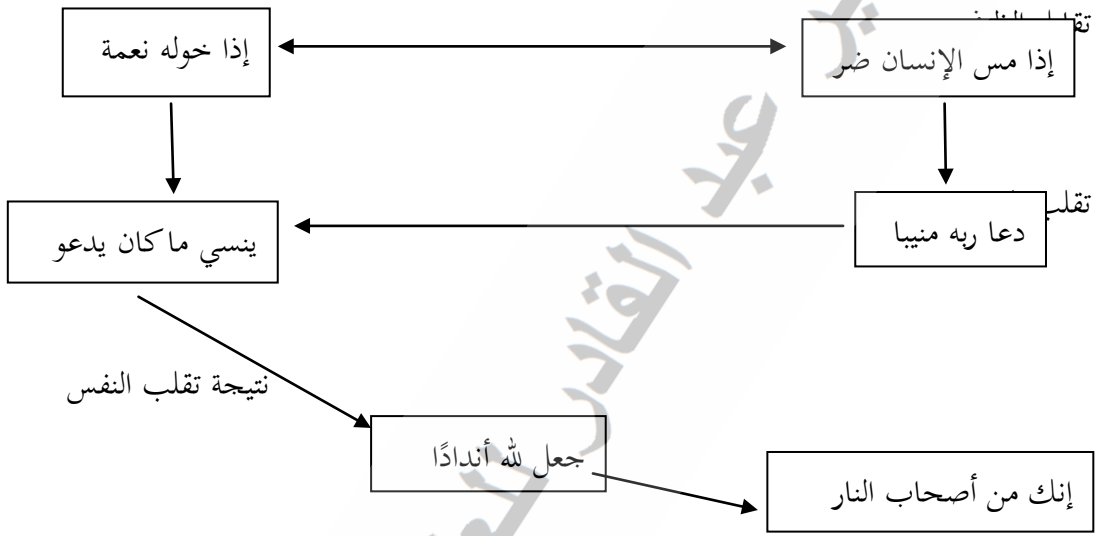
¹. الزمر/ 09.

². الزمر/ 07.

5 - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ فَتُؤْتُهُ إِحْوَالَهُ نِعْمَةً مِنْهُ لِيَسَى مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ

وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾¹.

تصوّر الآية بالمقابلة التي تحويها تقلبات النفس البشرية بين نفس منكسرة إذا مسها الضرة، و بين نفس كافرة تتخذ لله شركاء في العبادة إذا كانت في نعمة، فالمقابلة هنا تصوير للتقلب بين جانبي النفس: الخير، و الأمانة بالسوء.



6 - قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ طُلُوفٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ وَيَعْبَادُونَ فَاتَّقُوا اللَّهَ²﴾².

تصوّر الآية حالة الخاسرين الذين تحدث عنهم في الآية السابقة لها بسبب عبادتهم ما شاؤوا من دون الله، و الآية فيها مقابلة ممتازة فوقهم / تحتهم و تصوّر إحاطة النار بهم إذ "تغشاهم نار جهنم من فوقهم و من تحتهم و تحيط بهم من جميع جوانبهم"³.

فالثنائية (تحتهم / فوقهم) هي مقابلة تشمل حدود الخاسرين يوم القيامة، وتغلق في وجوههم أبواب النجاة منها، و ذلك عذاب " يخوف الله به عباده"، هذه أن يتعظ الناس و يتقوا خالقهم.

¹. الزمر/ 08.

². الزمر/ 16.

³. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص: 74.

7 - في سورة الزمر آيات تصوّر بالمقابلة تضارب حالة المؤمنين و الظالمين في عقيدتهم و حياتهم و مصيرهم، و بيان ذلك في الجدول الآتي:

التقابل	الآيات
-مقابلة في العقيدة	﴿الَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ ¹
-انتقام الله.	﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ﴾ ²
-الجزاء.	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَسْفَهَا فَكَفَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ³

إن المتأمل المتمعن في سورة الزمر، سيحدها حقلاً خصباً نمت فيه مقابلات عدة متنوعة بين طباق (إيجاب و سلب) و مقابلة (باللفظ و المعنى)، جاءت لتقدم السورة و تناسب تصوير الناس المنقسمين إلى زميرتين: متضادتين في عقيدتهما (موحدة/ مشرّكة)، و في ألباها (عالمة/ جاهلة)، و في أمرها و قلبها (شاكرة/ جاحدة)، و في مصيرها (جزاء/ عقاب). و قد شملت هذه المقابلات كامل متن السورة في تصوير بديع لحال زمر الناس في الدنيا و يكون حالهم في الآخرة.

✓ إيقاع التقابل في سورة الليل:

الليل من أكثر السور التي تلفت الانتباه باحتوائها على عدد كبير من المتقابلات. و هي سورة مكية بها إحدى و عشرون آية و تصوّر السورة حالة الإنسان في الدنيا و سعيه و عمله و الذي سينتهي به إلى النعيم أو إلى الجحيم، و ذلك متوقف على ما قدّم في الدنيا، و فد أوضحت السورة في معرض ذلك "سبيل السعادة و

¹ . الزمر/36،37.

² . الزمر/38.

³ . الزمر/41.

سبيل الشفاء، و بينت أوصاف الأبرار و الفجار، و أهل الجنة و أهل النار¹، مستعينة في ذلك بالتقابل و الذي نوضحه في الجدول الآتي:

نوع التقابل	الآية
مقابلة، لفظية و معنوية ثنائية الليل/النهار، يغشي/تجلي.	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۖ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۖ﴾ ² .
طباق إيجاب الذكر/ الأنثى.	﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ³ .
مقابلة لفظية و معنوية ثلاثية.	﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ ⁴ . ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ ⁵ .
طباق إيجاب الآخرة - الأولى.	﴿وَإِن لَّنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ ⁶ .
مقابلة.	﴿لَا يَصْلِحْهَا إِلَّا الْأَشْقَىٰ﴾ ⁷ .
مقابلة معنوية.	﴿وَسَيَجْنِبُهَا الْأَتَقَىٰ﴾ ⁸ .
طباق بين (الأشقى / الأتقى).	﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ ⁹ . ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ ¹⁰ .

تنطلق السورة من مقابلة مكتملة لفظا و معنا تشمل قسم الله عز و جل بطرفي يوم الإنسان و مكيال حياته التي تستمر في تعاقب الليل بظلمته و سكونه و تغطية الكون، و النهار بانجلائه و انكشافه و إضاءة الكون. ثم تلتها طباق إيجاب بقسمه بما خلق من تنوع الخلق، بين ثنائية (الذكر/الأنثى). و أجاب على القسم بتأكيد على اختلاف و تنوع سعي الإنسان في الدنيا "إن سعيكم لشتى"، لتكون الآية حاقمة للتقابل المعجز الذي يصور انقسام البشر إلى شقي و تقى. فتوالت الثنائيات المتقابلة بوفرة: أعطى/بخل، اتقى/ استغنى، صدق/كذب، اليسرى/العسرى، يصلها/سيجنبها، الأشقى/ الأتقى. و كلها متقابلات المعنى و

¹ . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص: 568.

² . الليل/01-02.

³ . الليل/03.

⁴ . الليل/05، 06، 07.

⁵ . الليل/08، 09، 10.

⁶ . الليل/13.

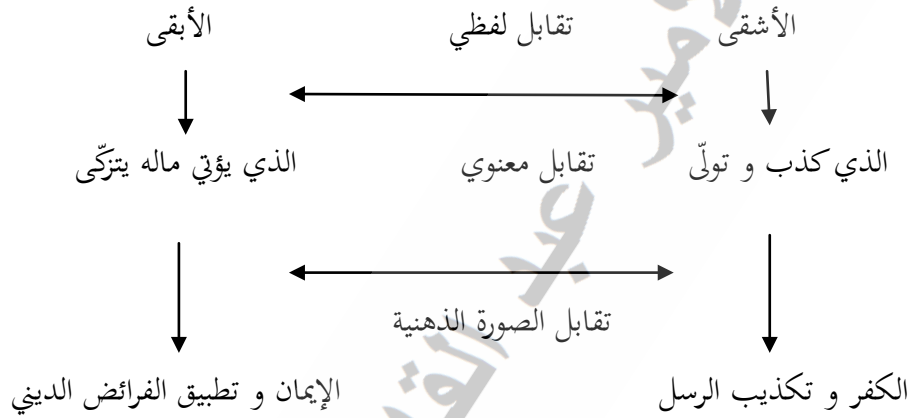
⁷ . الليل/15.

⁸ . الليل/17.

⁹ . الليل/16.

¹⁰ . الليل/18.

اللفظ و كذلك اشتملت السورة على مقابلة منوية بين الشائبة كذب و تولّى/يؤتي ماله يتزكى، فتقابل التكذيب لفظاً هو التصديق و مقابل إيتاء المال للزكاة لفظاً هو منع الزكاة، و لكن المقابلة بين الشائبة معنوية أيضاً فالتكذيب بالرسول يقتضي الإعراض عن الإيمان و الفرائض الدينية . و ما جعل المقابلة المعنوية أجمل و أعمق هو التقابل السابق لها بين ثنائية الأشقي / الأتقى فكانت المقابلة المعنوية مفسرة و مكملة للمقابلة اللفظية المعنوية. و لنا أن نمثل هذه الشائبة البديعة كما يأتي:



(2) . التصوير بالمقابلة في ربع يس.

✓ إيقاع المقابلة لتصوير النبي:

ترد بعض المقابلات في ربع يس لتصوير الحياة الدنيا للإنسان تذكيراً له على تقلب حاله، تغيير قلبه و أمره. و فيما يأتي نقدم بعض الأمثلة:

- أ - قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَأَوْهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾¹. تصور المقابلة في السورة قصر نظر الإنسان في تقدير تقدير الأمور و استهزائه بعذاب الله و استبعاد حدوثه و ما ذلك إلا نتيجة لكفرهم للبعث و الحساب، و طرف الشائبة في الرؤية هو الله عزو و جل الذي يسير الكون بحكمته و يراه قريباً فكل ما هو آت قريب.
- ب - قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾².

¹ . المعارج / 6، 7.

² . المعارج / 19، 20، 21.

في الآيات مقابلة تصوّر تقلّب حال الإنسان بين ثنائية مسّه الخير/ و مسّه الشر. و هي تقابل لفظي صريح نتيجته على الإنسان تقابل معنوي بليغ جزوعاً/ منوعاً منبعها حبّ الإنسان المفرط للخير و منع إنفاقه على غيره حين يمسه الخير، و خوفه و كره للضرّ و عدم الصبر عليه حين يمسه الضرّ.

ثا نَحَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّابِلٌ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾¹.

تصوّر المقابلة موقف الإنسان المتضاد من ثنائية العاجلة/ الآخرة التي يقابلها بثنائية تحبون/ تذرون. فالإنسان المشرك يميل بقلبه إلى الدنيا الفانية و يترك الآخرة الباقية.

ثا نَحَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾﴾². في السورة

مقابلات تعكس رحمة ربّ العباد بنبيه و عبده محمد ﷺ الذي كان يعيش وضعاً صعباً فنقله تعالى برحمته و كرمه إلى وضع أحسن فجاءت الثنائيات المتقابلة في الآيات تذكيراً لله برحمته له (و إحاطته له بالعناية و التبجيل):
يتيما / فأوى، ضالاً/فهذى، عائلاً/فأغنى،

و يأتي هذا التذكير في معرض التأكيد على حبه له و عدم التخلي عنه ، فقد "رُوي أنّ الوحي قد تأخّر عن رسول الله ﷺ أياماً فقال المشركون: إنّ محمداً ودّعه ربه و قاله"³

✓ إيقاع المقابلة لتصوير تقابل المصائر لتقابل الأعمال:

من الآيات القرآنية في ربع يس من صوّرت بواسطة المقابلة تقابل حال و مصير البشر يوم القيامة تناظراً لتقابل أعمالهم و معتقداتهم في الدنيا و قد توعد الله أن لا يكون للناس نفس المصير و هم لم يقدموا نفس الأعمال، من ذلك هذه الآية البالغة الجمال و العدالة ﴿أَفَجَعَلْنَا الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾⁴.

و نذكر أمثلة عن ذلك:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَعَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى

النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾⁵.

¹ . القيامة/20، 21.

² . الضحي/ 6، 7، 8.

³ . جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 263.

⁴ . القلم/ 35، 36 .

⁵ . النازعات/ 37، 41.

على أساس أعمال البشر في الدنيا يكون جزاؤهم في الآخرة، و ذلك منطق العدالة الربانية و استعانت الآيات في تصوير هذا الارتباط بالمقابلة و مقارنة المصائر فكانت الثنائيات المتقابلة لفظيا و معنويا طغى/خاف، الجحيم/الجنة، فالجنة مصير الخائفين من الله العابدين له، و الجحيم مصير الطغاة الظالمين.

و تزينت هذه المقابلات اللفظية بمقابلة معنوية بديعة: أثر الحياة الدنيا و يفضلها على الآخر يغلبه هوى نفسه و يمضى وراء شهواته، و العكس في أن من ينهى نفسه عن إتباع الهوى و الشهوات سيتخلى عن حب الحياة الدنيا و يقدم الآخرة عليها.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾¹

الكافرون هم أشر الناس في الدنيا و أحقهم بالنار في الآخرة، و بالمقابل فالمؤمنون هم خير الناس في الدنيا و أحقهم بالجنة في الآخرة. تصور الآيات هذا التقابل بين فئتي المؤمنين و الكافرين في عقيدتهم و مكانتهم بين الناس و تقابل مصائرهم كنتيجة لذلك وفق ثنائيات متقابلة لفظاً و معنى، كما يلي:

الذين كفروا/الذين آمنوا.

هم شر البرية/هم خير البرية.

في نار جهنم خالدين فيها/ جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً.

و أمثلة هذا التقابل كثيرة في القرآن منها هذه الأمثلة:

1 قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾
 ﴿١٠﴾

2 قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾³

3 قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾ لِلظَّالِمِينَ مَعَابَا ﴿١٢﴾ لِبَشَرٍ فِيهَا أَحْقَابَا ﴿١٣﴾ لَا يَدْخُلُ فِيهَا بَرْدٌ وَلَا شَرَابٌ ﴿١٤﴾ إِلَّا

حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿١٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿١٦﴾¹. تتقابل هذه الآية مع الآية الآتية: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ

وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسَادٍ هَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِمَّنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾²

¹ . البينة/ 6، 7، 8.

² . القارة/ 6، 9.

³ . الزلزلة/ 7، 8.

✓ إيقاع المقابلة لتصوير تقابل حال البشر في الآخرة:

تعد المقابلة من أكثر الأساليب المستعملة في تصوير حال الناس يوم القيامة بين فائز و خاسر. و لعل ذلك فيه من البلاغة و الحكمة ما يجعلها من مظاهر الإعجاز القرآني. فالمقابلة في هذا المقام تصرف الألباب إلى التدبر في الفرق الحاصل في المصائر، و تقارن الأعمال المتقابلة التي أدت إلى النتائج المتقابلة، بل و فيها من الأسلوب التربوي القائم على ثنائية الترغيب (في وصف الفائزين) و التهيب (في وصف الخاسرين) ما يتماشى مع مختلف الأنفس البشرية، فمنها من يتعظ بالترغيب، و منها من لا يرتدع إلا بالتهيب، و فيها إضافة إلى كل ذلك دلالة قوية على العدالة الربانية التي تحاسب كل فرد بما جنت يده.

و فيما يلي نسوق أمثلة:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ أُمَّرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرَهَقَهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾³.

في الآية من الجمال اللغوي ما يخطف الألباب قبل الأسماع، فزيادة على الجمال الصوتي فيها، تتخذ الآية من المقابلة وسيلة لوصف و تصوير حال الناس و لكل منهم شأن يُغْنِيهِ، و قد انقسموا إلى فرحين مستبشرين بفوزهم و مفزوعين أشقياء بخسراهم و ذلك بتصوير حال المؤمنين و فوزهم، ثم حال الكافرين و ذلتهم، أي صورة مقابل صورة باستعمال ثنائيات متقابلة: وجوه مسفرة/ وجوه عليها غبرة ضاحكة مستبشرة/ ترهقها قترة.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾⁴.

في الآية مقابلة لفظية و معنوية بليغة تصوّر مصير الناس بأصنافهم، في شكل ثنائيتين متقابلتين: الأبرار/ الفجار، نعيم/ جحيم. و قد زادت الثنائيتين على تقابلهما لفظاً و معنى وجود تقارب صوتي بديع يعطي المقابلة طعماً لغوياً خاصاً.

- في سورة المطرفين تقابل و فير بين حال المؤمنين و الكافرين يوم القيامة، و الذي جاء بتضافر عدة مقابلات لفظية و معنوية، نوردهما كما يلي:

جاءت منفصلة متباعدة بسبب تصوير حال فئة ثم الانتقال إلى تصوير حال الفئة الأخرى.

1 . النبأ / 21، 26.

2 . النبأ/ 31، 36.

3 . عبس / 37، 42.

4 . الانفطار/ 13، 14.

سورة المطففين	
حال الكافرين	حال المؤمنين
﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْفُومٌ ﴿٩﴾﴾	﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْفُومٌ ﴿٢٠﴾﴾
﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١١﴾﴾	﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾
﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾	﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾

وقد بدأت الآيات بتصوير حال الكفار و تلتها بحال المؤمنين في تناوب على مراحل متقابلتان في نسق جميل:

كفار 17-07 ← 28-18 مؤمنين.

كفار 32-29 ← 36-34 مؤمنين.

و أخلص من خلال دراسة إيقاع الطباق و المقابلة إلى جملة من النتائج:

- 1- الطباق و المقابلة أسلوب بلاغي اعتمده القرآن الكريم لتوضيح المعاني و تقريب الصور و ليس ذلك بجديد عند العرب التي ألفت استخدامها، و لكن في أسلوب القرآن إعجاز شكلي من التقابل أمثلة بلاغية بديعة.
 - 2- أستعمل التقابل في ربع يس لتحقيق أغراض بلاغية معينة كالتفريق و المقارنة بين أمرين: الكفر/ الإيمان، العلم/الجهل، جهاد النفس/ إشباع الشهوات.
 - 3- أستعمل التقابل في بعض الآيات للتعبير عن الإحاطة و القدرة اللاهية بالجمع بين أطراف الكون في ثنائيات: السماء/الأرض، الليل/النهار، البعث/الموت.
 - 4- صورت المقابلات العدالة الإلهية في حساب البشر و مجازاتهم حسب أعمالهم ، فالإيمان أوجب الجنة، و الطغيان أوجب النار.
 - 5- كانت المقابلات أسلوبًا تربويًا ممتازًا في ترغيب الناس و ترويضهم بتصوير أعمال الإنسان و مصيره يوم القيامة بشكل متقابل.
 - 6- زيادة على تحميل المعنى و توضيحه لعبت المقابلات دور محسنات صوتية أضافت إلى الملمح الصوتي القرآني أبعادًا إعجازية.
- (3) إيقاع المناسبة:
المناسبة لغة المشاكلة¹.

¹. فيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (ن س ب).

و في الاصطلاح يتعلق علم المناسبة بالتغيرات الحاصلة في فواصل القرآن مراعاة لمناسبة الفواصل لبعضها البعض و قد أورد السيوطي في الإتقان نقلا عن شمس الدين بن الصائغ الحنفي قوله الذي جاء في كتابه (إحكام الرأي في أحكام الآي): "و اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية، يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول"¹. و أطلق صاحب البرهان على هذه الظواهر اللغوية المخالفة للأصول التي تطرأ على الفواصل للحفاظ على تناسب الإيقاع فيها سميت "إيقاع المناسبة"، و أورد: "و أعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدا، و مؤثر في اعتدال نسق الكلام و حسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما لذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها"².

فإيقاع المناسبة في الفواصل القرآنية ناتج في الأساس عن مخالفة بعض التراكيب و الجمل الأصل المعمول به دون الإخلال بالمعنى من أجل الحفاظ على التناسب الصوتي للفواصل القرآنية و لم يخل ربع يس بجماله الصوتي والبلاغي من إيقاع المناسبة، من ذلك الأمثلة التي نوردتها فيما يأتي مصنفة حسب نوعها:

1. التقديم و التأخير:

فطن كثير من العلماء إلى أهمية التقديم و التأخير في اللغة العربية، فجعله الجرجاني (ت 471هـ) سببا في إحداث المتعة في الشعر فقال: "و لا تزال ترى شعرا، يروك سمعه، و يلطف لديك موقعه، ثم تنظر، فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قدم فيه شيء، و حوّل اللفظ عن مكانه إلى مكان"³. كما أشار سيبويه إلى أهميته في (الكتاب) فقال في تقديم الفاعل و المفعول: "و كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم بهم، و هم بشأنه أغنى، و إذ كانا جميعا يهْمَانِهِمْ، و يعنياهم"⁴. و عليه فالتقديم و التأخير ليس ظاهرة عشوائية، إنما هو ظاهرة لغوية تأتي تلبية لغرض دلالي يتعلق بإبراز أهمية المقدم، أو الإنقاص من شأن المؤخر، فالمقصود في النفس أولى بالتقديم، و "لا حرم أن يتقدم في الجملة، كما تقدم في النفس"⁵. وفيما يأتي نعرض بعض الأمثلة من ربع يس و نستقرئ دلالة التقديم و التأخير فيها.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ عَالٍ فِرْعَوْنَ التُّدْرُ﴾⁶.

فعل مفعول به فاعل

1. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 760.

2. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج1، ص 100.

3. الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد رضوان الداية و فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007م، ص: 72.

4. الكتاب، سيبويه، ج1، ص15.

5. أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار النهضة، مصر، 2005م، دط. ص: 90.

6. القمر/ 41.

تقدم المفعول به (وَالْ فِرْعَوْنَ) على الفاعل (النُّذْرُ) في الآية مخالفة للأصل الذي يتقدم فيه الفاعل على المفعول به. و يرجع الزركشي تأخير الفاعل على المفعول به "لأجل الفاصلة" ¹. ذلك أن كل فواصل سورة القمر(وهي 55 آية) جاء على صوت الراء. فروعيت مناسبة هذه الفاصلة لغيرها.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ ².

تقدم في الآية "الْآخِرَةُ" عن "الأولى" رغم أن الترتيب الزمني يكون للأولى قبل الآخرة. و إنما أخرت الأولى لمراعاة مناسبة الآية للفواصل و "لو لا مراعاة الفواصل لقدمت الأولى" ³. و قد سبقت الفاصلة و لحقت بفواصل تناسبها صوتيا و معظم فواصل سورة النجم تنتهي بمد مثل: ضيزى - الهدى - تمنى - يرضى - الأثنى.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ⁴.

و الأصل أن يتقدم انشقاق القمر على الساعة لأن انشقاقه من علامات اقتراب الساعة ، إذ " تتقدم لتقدمها في الزمن" ⁵. و لأن فاصلة سورة القمر كانت كلها على صوت الراء "قدم اقتراب الساعة على انشقاق القمر بمراعاة الفاصلة" ⁶.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ⁷.

تقدم الجار (إِلَىٰ رَبِّهَا) على (نَّاضِرَةٌ) بمخالفة الأصل، و زيادة على المناسبة الصوتية لناظرة مع الفواصل السابقة و اللاحقة لها فإن التقديم "قد أفاد التخصيص، و أن النظر لا يكون إلا لله" ⁸. ليكون تقديم هنا محسناً للمبنى و مفيداً في المعنى.

2. الحذف و الزيادة:

الحذف و الزيادة من أوجه البلاغة في اللغة العربية، و دليل من دلائل مرونتها و قدرتها على التشكل حسب المبنى العام للنص. و قد برزت هذه الظاهرة بقوة في فواصل القرآن الكريم، ولم يقتصر دورها على جانب دون

¹ . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج01، ص: 102.

² . النجم/ 25.

³ . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 760.

⁴ . القمر/ 01.

⁵ . أحمد احمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص: 92.

⁶ . محمود شيخون، أسرار التقديم و التأخير في لغة القرآن الكريم، دار الهداية، دت، ص: 105.

⁷ . القيامة/ 22، 23.

⁸ . منير محمود المسيري، دلالات التقديم و التأخير في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2005م، ص: 43.

الأخر فقد حملت دقة و بلاغة في الأسلوب، و انسجامًا و جمالاً في الجرس الصوتي. و يتنوع الحذف و الزيادة بين الصوت و الألفاظ.

و فيما يلي نقدم بعض الأمثلة من ربع يس:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُومُ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾¹.

حيث حذفت ياء الإسم المنقوص المعرف فخالف الأصل "يَوْمَ التَّنَادِ"، و بالنظر إلى الفاصلتين السابقتين واللاحقة هي (للعباد/هادٍ) سنجد أن حذف الياء من الفاصلة سيحقق المناسبة الصوتية للفاصلة مع غيرها من فواصل السورة، و يدخل هذا الحذف في باب حذف الحروف.

- قَالَ سَعْدِي: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾².

حُذِفَ المفعول به للفعل "قَلَى" و ذكر فيما قبله "وَدَّعَكَ" و لو كانت "قلاك" خالفت فواصل الآية السابقة واللاحقة لها: الضحى - سجي - الأولى - ترضى. و يدخل هذا الحذف في باب حذف الأسماء، قال الزمخشري، حذف الضمير من قلى كحذفه من الذكارات في قوله: و الذاكرين الله كثيرا و الذكارات، يرد و الذكاراته، و نحوه فأوى، فهدى، فأغنى، و هو اختصار لفظي لظهور المحذوف³ و على هذا النحو كذلك حذف المفعول به في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾⁴، فالفعلين أعطى و أتقى متعديان فالإنسان يعطي العطية أو الصدقة و يتقي ربه، و لكن الآية خالفت الأصول بحذف المفعول به، و ساعد ذلك في تحقيق المناسبة الصوتية للفاصلة مع فواصل السورة.

- قَالَ سَعْدِي: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾⁵.

حُذِفَ متعلق فعل التفضيل "أَبْقَى" و حافظ هذا الحذف على تناسب فواصل السورة صوتيا، و المعنى أن الآخرة أفضل في نفسها و أنعم و أدوم⁶.

- قَالَ سَعْدِي: ﴿سَقُرُّكَ فَلَا تَنْسَى﴾⁷.

و في الآية إبقاء لحرف المدّ في (تَنْسَى) رغم وجود الجازم (لا)، و وفر هذا الإبقاء تناسبا صوتيا في فواصل السورة.

1. غافر/ 32.

2. الضحى/ 03.

3. جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 263.

4. الليل/ 05.

5. الأعلى/ 17.

6. جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 245.

7. الأعلى/ 06.

- قَالَ سَعْلَى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِأَيْنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾¹.

زيدت ألف الإطلاق في قوارير فاصلة الآية 15، وقيدت في قوارير الثانية، و الأصل أن قوارير ممنوعة من الصرف فتقيد و لا تطلق. و كان للإطلاق في الفاصلة تناسبًا صوتيًا بديعًا مع الفواصل الأخرى في السورة. غير أن اللغة مهمة بمعناها، و هذا ما قاد بعضهم إلى القول بأنه "من دواعي ذلك و الله أعلم" أنه أطلق الصوت فيها مناسبة لإطلاق جنسها و نوعها، فهو لم يبيّن نوع القوارير و لا من جنس فأطلقها لذلك، و لما قيد جنسها في الآية التي تليها، فقال (قَوَارِيرٌ مِّنْ فِضَّةٍ) لم يطلقها². و هذا ما لا نعمل على تكراره إيمانًا أن الصوت خادمٌ للمعنى، و أن كل كلمة في القرآن تتضافر معطياتها الصوتية و الدلالية في خدمة المعنى.

- قَالَ سَعْلَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَأُوْتِيَ كِتَابِيَهُ ﴿١٥﴾ وَلَئِن لَّمْ يَأْتِهِ مِثْلُ بِرِّهِ فَيَحْسَبُ أَنَّ كِتَابِيَهُ كِتَابِيَهُ كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿١٧﴾ مَا أَعْنَى عَنِّي مَالِيَةَ ﴿١٨﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ﴿١٩﴾﴾³.

في الفواصل زيدت هاء في كل من: كِتَابِيَهُ ، حِسَابِيَهُ ، الْقَاضِيَةَ ، مَالِيَةَ ، سُلْطَانِيَةَ، و كان في زيادتها "رعاية لفواصل الآيات المختومة بالتاء القصيرة التي اقتضى السياق نطقها هاء"⁴.

3. العدول (الإحلال):

العدول متعلق باستبدال صيغة مكان صيغة أو إسم مكان فعل، و هو يقابل مصطلح الانزياح في الدرس (الأسلوبي) الحديث، و يتضمن العدول "مخالفة البنية التركيبية السطحية للكلام، المعنى الدلالي العميق، و تحميل الكلمة طاقة دلالية مغايرة لمقتضى الظاهر و فق قرائن سباق و حالية"⁵. و قد انتبه المفسرون و اللغويون للظاهرة و أولوها عناية أبرزت الجانب الجمالي للظاهرة صوتية و البعد الدلالي لها معنًا. و فيما يلي نعرض بعض الأمثلة:

- قَالَ سَعْلَى: ﴿إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾⁶.

فقد عُدِلَ عن صيغة الجمع "أنهار" لتوافق المعطوف عليه "جنتات" إلى صيغة المفرد "نهر" و من جماليات هذا العدول "إحداث إيقاع المناسبة مع فواصل السورة، و في ذلك أورد الزركشي كلامًا للفراء: الأصل الأنهار، و إنما

1. الإنسان/15، 16.

2. فاضل السمرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، 2006م، ص:32.

3. الحاققة/ 25، 29.

4. سناء طاهر محمد، الزيادة في الفاصلة القرآنية، مقال، مجلة التربية و العلم، ع3، 2010، ص: 227.

5. غياث بابو، دلالة العدول في صيغ الأفعال، مقال، مجلة دراسات، سوريا، ع12، 2013، ص: 21.

6. القمر/54.

وجد لأنه رأس آية، فقابل بالتوحيد رؤوس الآي" ¹. و أرد صاحب الكشاف في ذلك: (و نهر) و أنهار، اكتفى باسم الجنس، و قيل هو السعة و الضياء من النهار. و قرئ بسكون الهاء. و نَهَر جمع نَهْر" ².

- قَالَ نَعْلَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ۝٣﴾ ³.

فقد عدل في الفاصلة عن صيغة المذكر إلى صيغة المؤنث (تذكرة)، فتم تأنيث ما أصله مذكر. " و إنما عدل إليها للفاصلة" ⁴، أي لمناسبة الفواصل. و أورد الزمخشري في تفسير الآية: " (إنه تذكرة) يعني تذكرة بليغة كافية منهم أمرها في الكفاية... و الضمير في (إنه) و (ذكره) للتذكرة في قوله: فمالهم عن التذكرة معرضين، و إنما ذكّر لأمرها في معنى الذكر أو القرآن" ⁵.

- قَالَ نَعْلَى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٦﴾ ⁶.

عُدِلَ في الفاصلة عن صيغة المفعول (مرضية) إلى صيغة الفاعل (راضية) لمناسبة الفواصل في الآية. و هذا ما يقال عن العدول في قوله: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ ⁷، حيث تم العدول عن صيغة المفعول (مدفوق) إلى فاعل (دافق).

- قَالَ نَعْلَى: ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ ۝٢﴾ ⁸.

فتم تغير بنية الكلمة (سيناء) إلى سينين.

أخلص من خلال دراسة إيقاع المناسبة إلى أن:

القرآن العظيم كلام لا تنقضي عجائبه، و لا تمل صفاته، يزخر بالعديد من الأساليب اللغوية الفصيحة البليغة. و إيقاع المناسبة واحد من ذلك الأساليب التي أعطت للغة مجالاً للتجدد و التغيير وفق قاعدة إعادة ترتيب العناصر اللغوية بما لا يكسر الترتيب الأصلي و إنما يضيف إليه و يثريه. و من الأمثلة التي أخذنا عن إيقاع المناسبة في ربع يس نخلص إلى جملة من النتائج:

1 - يعتمد إيقاع المناسبة على فكرة تغيير البناء من أجل تحقيق أغراض بلاغية و دلالية دون المساس بقواعد

اللغة و باطراد يسير ليكون أشبه بأحجار اللؤلؤ التي تكون أجمل بقلتها.

¹. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 103.

². جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 42.

³. المدثر/54.

⁴. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص105.

⁵. جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 188.

⁶. الحاقة/ 21.

⁷. الطارق/06.

⁸. التين/ 02.

- 2 - يتحقق إيقاع المناسبة بعدة ظواهر لغوية ك: الحذف و الزيادة، التقديم و التأخير، الإحلال... و لا تقتصر هذه الظواهر على الفواصل فقط. و لكن ورودها في الفواصل زانها وزان الفواصل بما.
- 3 - لا يمكن الحكم بأن هذه الظواهر إنما كانت لتحقيق إيقاع المناسبة فقط فالقرآن كلام الله لا يغفل المبنى ولا يجهل المعنى، و لكن القول باهتمام النص القرآني بالبناء الصوتي قولٌ مقبول و أدلته كثيرة.
- 4 - زيادة على تحقيق إيقاع المناسبة، فإن الظواهر المشكلة لهذا الإيقاع تخرج إلى أساليب بلاغية أخرى كالحفاظ على المراتب في التقديم و التأخير، و الإهمال في الحذف....
- 5 - يدل إيقاع المناسبة بمختلف أدواته على مرونة اللغة العربية و قابليتها للتحدد و إيقاع المناسبة في الفواصل إضافة نوعية للغة العربية و إثراء لقاموسها التركيبي.

المبحث الثالث: جمالية التكرار في الفواصل القرآنية

I. مفهوم التكرار:

اهتم الدارسون العرب قديما و حديثا بظاهرة التكرار باعتبارها ظاهرة أساسية في تحديد إيقاع النص الأدبي. فالإيقاع، كما أسلفنا الذكر، مبني على انتظام النسق الصوتي في هندسة يحكمها توالي الأنغام وتكرارها في أزمنة متناسبة. غير أن اللغويين اختلفوا حول وجود ظاهرة التكرار في القرآن بين مؤيد و معارض. و نحن في هذا المبحث نحاول الوقوف على هذه الظاهرة وأنواعها و جمالياتها ومواقف اللغويين منها.

التكرار مصدر للفعل الثلاثي الصحيح المضاعف (كَّرَرَ) و "كَّرَّ عليه كَرًّا و كرورا: عطف، و كَرَّ عنه: رجع ... و كَرَّره أعاده مرة بعد أخرى"¹.

و"الكرة: المرة. و الجمع الكرات. و يقال كَرَّرت عليه الحديث و كررته إذا رددته عليه ... والكَّر الرجوع عن الشيء تكريرا و تكرارا"².

و أورد الأصفهاني: "الكر العطف على الشيء بالذات أو بالفعل، ويقال للجل المفتول كَرًّا"³.

و قد وصف اللغويون حرف الراء بالمكرر، لأن الوقف عليه حين النطق به يبين على تكرار ضربات طرف اللسان.

وقد وردت مادة كَرَّ في القرآن في غدة صور، منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾⁴. و قوله: ﴿فَلَوْ

فَلَوْ أَنَّ لِلنَّكَرَةِ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁵، وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَمِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾⁶

⁶، والمراد بها قول "أتباع الرجال الذين اتخذوهم أندادا من دون الله، يطيعونهم في معصية الله ويعصون بهم في

¹ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (ك ر ر).

² ابن منظور، لسان العرب، مادة (ك ر ر).

³ الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (ك ر).

⁴ الإسراء/ 06.

⁵ الشعراء/ 102.

⁶ البقرة/ 167.

طاعتهم، إذ يرون عذاب الله في الأخرى (لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) يعني الكرة الرجعة إلى الدنيا¹. و قد حفظ التراث معلقة امرئ القيس التي جاء فيها عن وصفه للحصان:

مكّرٌ مفرّ مقبل مدبر معاً كجلمود صخرٍ حطّه السيل من عل.

و"الكر العطف، يقال كَرَّ فرسه على عدوه أي عطفه، و الكَرّ و الكرور جميعاً، الرجوع... يقول هذا الفرس مكّر إذا أريد به الكَرّ، و مفرده إذا أريد منه الفَرّ"². إذا أردت منه الكَرّ و أنا على ظهره، و جدته عنده، وكذلك هذه الأشياء معا عنده³. و يقصد الفَرّ و الإقبال و الإدبار.

و خلاصة ما رصدناه من المعاجم اللغوية أن التكرار اسم متعلق بالرجوع إلى الشيء أو به و العطف عليه وإعادته المرّة بعد الأخرى.

وربط تعريف التكرار بوظيفته ابن الأثير في المثل السائر إذ قال: أما التكرير فإنه دلالة للفظ على المعني مُرَدِّدًا ... فمنه ما يأتي لفائدة، و منه ما يأتي لغير فائدة"⁴.

أما في الاصطلاح فلا يتعد معني التكرار عن المعني اللغوي له. فقد أورد السيوطي في الإتيان حديثا على التكرار و فوائده كنوع من أنواع الإطناب وأسماء التكرير و لم يزد في تعريفه بقوله "هو أبلغ من التأكيد، و هو من محاسن الفصاحة"⁵. و هي نظرة بلاغية خالصة، فيما عرفه الجرجاني تعريفا لغويا بقوله "الإتيان بشيء مرة بعد أخرى"⁶.

و خلاصة ما أوردنا من التكرار هو:

- 1 - التكرار ظاهرة لغوية تعتمد على إعادة الإتيان بعنصر لغوي معين في النص الواحد.
- 2 - عرف العرب قديما التكرار، و استعملوه في قصائدهم، وكان ضربا من البلاغة متى استعمل في مكانه المناسب.
- 3 - التكرار قاعدة أساسية في صناعة الأدب، باعتبار أن إيقاعية النصوص الأدبية مؤسسة على تكرارية العناصر الصوتية بشكل منظم، فللشعر تكرارته الخاصة، و للأشكال الأخرى تكراريتها.

¹ الطبري، مختصر تفسير الطبري، المصحف المفتر، سورة البقرة.

² الزوزني، أبي عبد الله الحسين بن أحمد (ت486هـ)، شرح المعلقات السبع، لجنة التحقيق في الدار العلمية، بيروت، 1992م، ص: 28.

³ أبي جعفر النحاس (338هـ)، شرح ديوان مرئ القيس، نبع عمر الفجاوي، منشورات وزارة الثقافة، الأردن، 2002.

⁴ ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص: 345.

⁵ السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ص: 692.

⁶ الجرجاني، التعريفات، مادة الكاف مع الراء.

4 -تتعلق التكرارية بالعناصر اللغوية انطلاقا من الصوت المفرد و الحركات و الصيغ، و وصولا إلى الجملة والتراكيب.

و إذا أردنا أن نجمع كل التعريفات السابقة، لنعيد صياغة التكرار بطريقة مفيد سنقول: التكرار هو إعادة ذكر العنصر اللغوي مرات متتالية في وضعيات متطابقة أو مختلفة لأغراض جمالية دلالية وفق أحياز زمنية محسوسة.

II. فوائد التكرار في القرآن:

اللغة العربية لغة إيقاعية، و أکبت حاجة النفس الفطرية في النفس الإنسانية و ميولها إلى الطرب و النغم. و ينشأ الإيقاع في اللغة من خلال تكرار الأنساق الصوتية و الصرفية البلاغية التي تنبني على أساسها الأنواع الأدبية. ولعلّ أكبر دليل على ذلك اهتمام الأمم المبكر بالشعر المبني على التكرار الإيقاعي أكثر من النثر، و ذلك لسهولة حفظه، و طرب إنشائه .

ولكن القول بإيقاعية اللغة، لا يعني اقتصار دور الإيقاع على الجمالية السمعية فقط. فالتكرار الإيقاعي يشتمل على كثير من اللطائف و الأسرار. و يؤدي أدوارا دلالية و بلاغية كبيرة اختلف الباحثون في حصرها. فالسيوطي جمع للتكرار خمس فوائد هي: التقرير، التأكيد، زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ، تجديد الكلام إذا خشى تناسبه، التعظيم و التهويل.¹

و من الدارسين من اتسع به حتى وصل 19 (تسع عشرة) فائدة منها: التوكيد، التوجع و التحسر، التشويق، الوعيد، التهكم، التفخيم ...

و بغض النظر عن الاختلاف في تعداد فوائده، فالواضع أنّها فوائد بلاغته ذات مآرب تربوية و دينية مقدسة، جاءت لتعلم الناس دينهم و تمّ فيهم مكارم الأخلاق، و هذا وجه من وجوه الإعجاز فيه. و في هذا يورد الرافعي ".....وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن....."² وقد كان التكرار في القرآن منفذا أراد المشركون الدخول منه للطعن في ألوهيته و بالتالي الطعن في رسالة محمد ﷺ و تكذيبه، فأذبري عدد من لعلماء يدافعون عن القرآن و يبينون حقيقة فائدة التكرار فيه، و منهم الخطابي الذي أورد في كتابه "بيان إعجاز القرآن" قوله: "و أمّا ما عابوه من التكرار، فإن تكرر الكلام على ضربين: أحدهما مذموم وهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول، لأنه حينئذ يكون فضلا من القول و لغواً وليس في القرآن شيء من هذا النوع.

¹السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص:692.

²الرافعي، إعجاز القرآن، ص:193.

والضرب الآخر ما كان بخلاف هذه الصفة...إنما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها و يخاف بتركه الغلط والنسيان فيها و الاستهانة بقدرها"¹.

و ضرب أمثلة من القرآن ليبين أن التكرار جاء فيها الترغيب و الوعيد، و تجديد الذكر لإقامة الحجّة. و من ردّ إنكار بلاغة القرآن بحجة التكرار إنما هو راجع لقصور و ضيق الفهم: "لقد ظن بعض من ضاقت حوصلته، وضعفت بصيرته عن إدراك الحقائق، و التطلع إلى مآخذ الدقائق أن التكرار في كتاب الله تعالى خال من الفائدة و أنه لا معنى له إلا مجرد التكرار، و هذا خطأ و زلل، و الحق الذي لا مرء فيه أن التكرار في القرآن إنما كان لمعاني جزلة، و مقاصد سنية، واشتمل على أسرار و رموز من أحاط بها، فقد أوتي من البلاغة مفاتيح الكنوز"².

فإذا كان من المشركين من طعن في صدق الرسول ﷺ من خلال وجود التكرار في القرآن بعدّه عجزاً عن التعبير، و ضيقاً في البلاغة و صوغ الكلم، وما هو بذلك بحجة وجود التكرار عند أفصح فصحاء العرب و حتى في المعلقات نفسها فإن من المسلمين من أنكر وجود التكرار في القرآن الكريم يعده متشابهاً و ليس تكراراً، و إنما جاء لغرض بلاغي معين ومنهم تاج القراء أحمد الكرمانى الواضع كتاب "البرهان في متشابه القرآن، لما فيه من الحجّة و البيان" و الذي يقول في مقدمته "هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألّفها ظاهراً متفكّفاً، و لكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك ممّا يوجد اختلافاً بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من دون زيادة أو نقصان و أبين السبب في تكرارها، والفائدة في إعادتها و ما الموجب للزيادة و النقصان"³.

وفيه رأي بعدم وجود تكرار. رغم استعماله لمفردة التكرار في المتن ، إنما هي آيات متشابهات جاء ذكرها في مواضع متعددة لتحقيق مقاصد دلالية، و من المحدثين من رأى أن ذلك من صور إعجاز القرآن، ثم يكون التكرار غير متطابق تماماً، فرأى "إنّ التنوع لا التكرار وهو الظاهرة الحقيقية في القرآن . و إنه لمن إعجاز هذا الكتاب أن يعرض الموضوعات التي يكرّر ذكرها للتذكير و التربية و التوجيه، بهذا القدر من التنوع بحيث لا تتكرر صورتان متماثلتان أبداً في القرآن كله"⁴. بل وفي ذلك إعجاز لغوي واضح في إيراد الصورة الواحدة بصور لغوية متعددة متنوعة في ألفاظها و تراكيبها.

ومن خلال العرض السابق حول التكرار في القرآن الكريم، نسجل النقاط الآتية:

¹ الخطابي، بيان إعجاز القرآن، من كتاب ثلاث رسائل في الإعجاز، ص: 52.

² محمد السيد شيخون، أسرار التقديم و التأخير في لغة القرآن الكريم، ص: 49.

³ أحمد الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن، ص: 63، 64.

⁴ محمد قطب، دراسات قرآنية، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1988، ص: 261.

- 1 - لفتت ظاهرة التكرار أسماع الناس، فأخذها المشركون سبباً للكفر، و أيقن المؤمنون إعجازها فجعلوها سبباً لتعميق الإيمان.
 - 2 - يقرّ الباحثون و المفسرون أنّ التكرار في القرآن لم يكن عفويًا، بل كان ذا أبعاد صوتية و دلالية عظيمة.
 - 3 - اختلف الباحثون، اختلافًا لا ضير فيه، في عدّ فوائد التكرار في القرآن، و المتبع لها سيلاحظ أنّها مشتركة في العموم و ما اختلف فيه كان بسبب الإجمال و التفصيل.
 - 4 - أهم ما أتفق حوله في فوائد التكرار هو: التأكيد-التنبيه-التذكير-التشويق والتحذير.
 - 5 - تتحدد أهمية التكرار في الآية والسورة أو الكلمة بحسب المكرر، و سياق تكراره.
 - 6 - نوع العنصر اللغوي المكرر يساهم في تحديد فائدة تكراره، كتكرار صيغة صرفية محدّدة، أو قصة معينة، أو أصوات لغوية ذات أجراس خاصة.
- و ممّا لا شك فيه أنّ التكرار أسلوب تربوي تعتمد عليه كل العلوم في تلقين المعارف و ترسيخ المدارك منذ القدم، و هو النص الذي علمت الناس دينهم، و أتم عليهم مكارم أخلاقهم، و ذلّم غلي القوانين و التشريعات التي تنظم حياتهم و تحفظ حقوقهم و تحدد واجباتهم، و كلّ من مارس التربية مع صغير أو كبير يعلم إلى أي مدى يحتاج من يتلقى التربية إلى التذكير الدائم حتى يستقيم على الأمر المطلوب . و من تم يستطيع أن يقدر الهدف التربوي من عملية التكرار في القرآن: "و ذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين" ¹ ، و هكذا يتضح أنّ التكرار لا يأتي اعتبارًا، إنّما يأتي لهدف مقصود" ².

III. أنواع التكرار في الفواصل :

1 تكرار الصوت (الحرف):

"إذا تكرر الحرف في الكلام على أبعاد متقاربة، أكسب تكرار صوته ذلك الكلام إيقاعاً مبهجاً، يدركه الوجدان السليم حتى عن طريق العين فضلاً على إدراكه السمعي بالأذن" ³. فلا يكون تكرار الصوت على مسافات بعيدة يقتل ألفة الأذن للتكرار، و لا يكون على مسافات قريبة جدًّا تتعب الأذن من كثرتها. فلحروف والكلمات "تتسرب إلى مركز الحس و مواطن التأثير، فتشير الرؤى و الأطياف و تعمل أوصافها من اللين والقوة والرخاوة والتماسك عملها الخفي و المضمّر في النفس الحساسة، فإذا تكرر صوت الحرف كان كأنه نقرة تتبع

¹ الذاريات/ 55.

² محمد قطب، دراسات قرآنية، ص: 245.

³ عزّ الدين علي السيّد، التكرير بين المثير و التأثير، عالم الكتب، بيروت، 2، 1986م، ص: 45.

أخرى على وتر واحد، فيتميز الرنين، ويقوي باعث الإيقاظ و التأثير، و قُل ضعف ذلك إذا تكرر الحرفان " ¹، إذ كلما زادت الملامح الصوتية المكررة كان التميّز الزمني أوضح و عامل التكرار أكثر تأثيرا.

يمثل الجدول الآتي أكثر الحروف تكرارًا في فواصل الآيات القرآنية في ربيع يس مرتبة حسب نسبة تكرارها من الأكبر إلى الأقل.

النسبة	التكرارية	الصوت	الرتبة
% 42,47	1075	ن	1
% 11,26	285	م	2
% 09,88	250	ر	3
% 06,72	170	هـ	4
% 06,28	159	ى-ي	5
% 04,43	112	د	6
% 03,63	92	ب	7
% 01,34	34	ت	8
% 01,30	33	ها	9
% 01,11	28	ق	10
% 00,99	25	ل	11
% 00,47	12	ع	12

من خلال هذا الجدول نلاحظ:

- 1 - تكرارية الحروف البينية مهيمنة على الفواصل في ربيع يس، يليها ألف المد والحروف المقلقة.
- 2 - توجد أصوات لم تكن فاصلة في ربيع يس (ولا في القرآن كله) و هي ثلاثة: خ، غ، و.
- 3 - توجد أصوات لم تكن فاصلة إلا في ربيع يس (أي دون القرآن كله) و هي ستة: ت، س، ح، ص،

ك،ش.

أ . تكرارية الأصوات البينية:

¹. محمد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، 1988م، ص: 91.

من خلال الجدول نلاحظ أن الأصوات البينية سيطرت بنسبة كبيرة وصلت (64.6 %) من فواصل ربيع يس. والأصوات البينية هي : ر، م، ل، ن. وهي أصوات وضعت لجمعها بين الشدة و الرخاوة عند النطق بها، حيث "يبدأ النطق بانحباس الحرف في المخرج، وقبل أن يستوي هذا الانحباس يجري الصوت فيه" ¹. و قد فصّنا القول في خصائصها في المبحث الأول من هذا الفصل.

ومن مميّزاتها أنها: "أصوات صامتة وظيفياً، أي من حيث موقعها و دورها في بنية الكلمة شأنها في ذلك شأن سائر الأصوات الصامتة، كالباء والتاء و الثاء... إلخ. و لأنه في الوقت نفسه تفصح عن شبه ما بالحركات أو الأصوات الصائبة Vowels من حيث النطق و الأداء الفعلي" ².

وما يميّز الأصوات الما سخة هو تطابقها شبه التام في الصفات الثنائية، مع تميّز بعضها بصفات أحادية و في الجدول الآتي نبين صفات هذه الأصوات و مخارجها:

الحرف	الجهر والهمس	الشدة والرخاوة	الاستعلاء والاستيفال	الإطباق والإنتفاخ	الإذلاق والإصمات	صفة أحادية
ر	مجهور	متوسط	مستقل	منفتح	ذلق	مكرر
م	مجهور	متوسط	مستقل	منفتح	ذلق	غنة
ل	مجهور	متوسط	مستقل	منفتح	ذلق	الإنحراف
ن	مجهور	متوسط	مستقل	منفتح	ذلق	غنة

لفتت ميزة النطق السلس لهذه الأصوات انتباه العرب عليها ليستغلّوها في الإنشاد، و بإلقاء نظرة سريعة على المعلقات التي كتبت قبل مجيء الإسلام، و التي كانت أشهر الأشعار عند العرب، سلاحظ أن معلقتي امرئ القيس و الأعشى الأكبر لاميتان، و معلقتي زهير بن أبي سلمى و عنتر بن شداد ميميتان، و معلقة عمرو بن كلثوم ميمية متبوعة بمد إشباع، و حتى معلقة لبيب بن ربيعة التي انتهت بحرف الهاء المتبوع بمد (ها) كانت مسبوقة دائماً بميم أي (مُها) ³.

• و لو ركّزنا أكثر في الفواصل النونية و الحرف الذي يسبقها سنجد أنها في أغلب الأحيان مسبوقة بحرف مدّ، لتصحّ بذلك خصيصة النون مع أصوات المد: الياء، الواو، الألف، و يأتي توزيع ذلك في ربيع يس كما يلي:

¹. يحي بن علي المباركي، المدخل إلى علم الصوتيات العربي، خوارزم العلمية، جدّة، دط، 2008م، ص: 162.

². كمال بشر، علم الأصوات، ص: 345.

³. ينظر: المعلقات السبع برواية أبي بكر الأنباري، مراجعة عبد العزيز محمد جمعة، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين، 2003.

سبقت بالألف في 63 فاصلة → تكرارية النون 1017 ← سبقت بالياء في 401 فاصلة
↓
سبقت بالواو في 546 فاصلة

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر سورة الممتحنة التي جاءت فواصلها منوعة الآخر بالحروف البينية و هي:
اللام و النون و الراء و الميم، فجاءت كما يلي: السبيل، تكفرون، بصير، المصير، الحكيم، رحيم، المقسطين،
الظالمون، حكيم، مؤمنون، رحيم، القبور. و كلها كذلك ماعدا فاصلة الآية السادسة (الحميد). و كانت نسبة
الأصوات المتوسطة في فواصل السورة 92.30%.

و الممتحنة سورة مدنية، و المتفق عليه أن السور المدنية تتميز بطول آياتها ومقاطعها، وأسلوبها وعظي، يقرّر
قواعد الشرع و مراميه، وتذكر المناقير

و تفضح أعمالهم و تجادلهم بالحق... و عليه فأسلوبها يكون تقريرا سرديا، فكان اختتامها بالأصوات البينية
مناسبا لذلك، حيث تمتاز الفواصل بالليونة و المرونة و الامتداد خدمة للسرد و التقرير والحجاج و ضرب الأمثال.

و كذلك كانت الفواصل في سورة محمد المكونة من 38 آية منها 37 انتهت بحرف الميم، أي بنسبة
97.36%. تتلوه سورة الفتح ذات 29 آية جاءت أغلب فواصلها منتهية بالأصوات البينية بنسبة 75.86%
موزعة كما يلي:

- حرف النون يتبعه ألف المد (01).
- حرف الميم يتبعه ألف المد (13).
- حرف الراء يتبعه ألف (08).

يستثمر النص القرآني التقارب الصوتي الكبير بين حرفي "الميم" و "النون" في المزج بينهما في الفواصل القرآنية.

فتزد فواصل علي نسق النون ثم على نسق الميم بشكل لا يصعب المزج بينهما نطقيا ولا سمعًا و ذلك للتقارب
الكبير بينهما . فصوتا "الميم" و "النون" مجهوران، متوسطان بين الشدة و الرخاوة، مستقلان، منفتحان، ذلقان.

بل و الأبعد من ذلك أنهما يتفردان عن باقي الأصوات الغوية بخصيصة "الغنة". التي سبق لنا الحديث

عنها. تحدث الغنة في صوتي النون و الميم عندما يترك شرع الحنك مجري التنفس مفتوحًا بابتعاده عن الحافة الخلفية
من البلعوم فيخرج الهواء كله أو بعضه من الأنف. فتكون صفة الغنة ملازمة لصوت الميم و النون في كل حالتهما
النطقية، ساكنتان أو متحركتان، ظاهرتان أو مدغمتان.

و مثال استثمار النص القرآني للتقارب الصوتي لصوتي الميم و النون في الفواصل كثيرة، نذكر على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرٌ عَلَىٰ

تَجْرَةَ تُجِيكُم مِّنْ عَذَابِ الْيَوْمِ ۚ تَوْمُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَعْفَرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ۝¹

سورة القلم التي بها 52 آية منها: 09 فواصل تنتهي بصوت الميم، و 43 فاصلة تنتهي بصوت النون. حيث كانت الفواصل كما يلي: المشركون، أليم، تعلمون، العظيم، المؤمنون. فنلاحظ في هذه الفواصل أنها تنوعت بين فعل (تعلمون) و اسم مفرد (العظيم - أليم) و اسم جمع منصوب (المؤمنين)، ورغم ذلك الاختلاف لا يشعر القارئ بتغير في مستوي النسق الصوتي و ذلك راجع لتقارب صوتي الغنة النون و الميم الذين يحدثان نسقا مترنما ساعدتهما في ذلك أصوات المدّ التي سبقتها (الواو و الياء) . و الأمثلة في القرآن كثيرة عن تبادل الميم و النون الدور في الفواصل القرآنية، بل توجد سور قرآنية تسري فواصلها على نسق الغنة و مثال ذلك سورة القمر، وذلك كما بيّنا في مبحث الأنساق الصوتية نسق الغنة، "إنّ النون و الميم قد يعتمدُ لهما في الفم و الحياشم فتصير فيهما غنة . و الدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أحلّ بهما"².

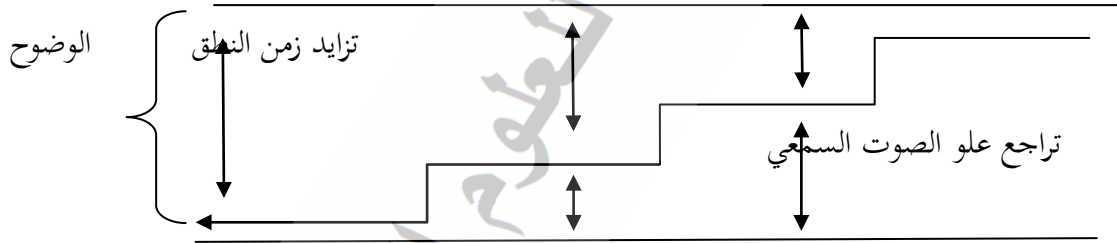
إن البحث في خصائص الحروف البينية يوقفنا عند نقطة مهمّة و هي قضية الوضوح السمعي الذي تتميز به هذه الأصوات و الذي تحدثن عنه في مبحث الخصائص النطقية و يتعلق الوضوح السمعي أساسا بقوة إدراك السامع للأصوات اللغوية و تميزها. و ما يستوقفنا هنا هو أن التكرارية الصوتية تست نهر الأصوات ذات الوضوح السمعي الأكبر لتختم بها الفواصل القرآنية. و هنا نقف عند نقطتين أساسيتين:

1 - انتهاء الفواصل القرآنية بالحروف البينية فيها استثمار لوضوحها السمعي، و ليس ذلك جديداً على مستعملي اللغة العربية، فقد حفظ التراث العربي لهذه الأصوات مكانة خاصة في الشعر و السجع، و "من ذلك مثلاً ما يراه الدكتور إبراهيم أنيس من أن أكثر الأصوات توظيفاً في الروي هي، بهذا الترتيب: الراء و اللام و الميم والنون (ثم الباء و الدال و السين و العين). و اختيار هذه الأصوات في الروي دليل امتيازها بقوة الإسماع الذي يزيد من روعة موسيقي الشعر و نغمات الإنشاد" ، فالوضوح السمعي لهذه الأصوات كان مستشعراً عند العرب قديماً لأنه و إن كان يقوم حالياً على التحليل بالأجهزة التكنولوجية يعتمد في الأساس على السامعين وملاحظاتهم في تمييز الأصوات اللغوية.

¹ سورة الصف 9/، 13.

² سجيويه، الكتاب، ج4 ، ص: 434.

- من الملاحظات المهمة أن الآيات القرآنية تستخدم تكرارية الصوامت الرنينية¹، في نهاية الآيات، و ذلك ما يحقق الوضوح السمعي على كامل المقاطع الكلامية، إذ "يستغرق الصامت الرنيني الموقوف زمن أطول من الصامت الرنيني في المواقع الأخرى"². و ذلك لسببين، الأول عضوي و هو "استعداد أعضاء النطق لإجراء عملية التوافق الكلامي، و ما تحتاجه هذه العملية من تقليل تدريجي في نشاط الأعضاء المشاركة في إنتاج الصوت، مما يؤدي إلى بطء في عملية إنتاج الصوت"³. و هذا ما يجعلها أنسب في الوقف على الفواصل القرآنية.
- 2 - و الثاني سمعي متعلق بتناقص شدة الصوت عند الوقف عليه، فيم تعويض هذا الخفوت الصوتي بالإطالة الزمنية لتحقيق الوضوح السمعي خالفاً بذلك ارتباطا وظيفيا بالزمن و ذلك ظاهرة شائعة في اللغة و خلاصة ما سبق أن الوضوح السمعي يتحقق في الأصوات اللغوية باتخاذ معطين أساسيين هما:
 - علو الصوت: هو "درجة الارتفاع الصوتي المتعلق بالضغط و الشدة و الصوت من شروط عملية الاستماع الناجحة"⁴. و هو "كمية ذاتية Subjective تحدّد مدى استجابة الأذن لاختلاف الصوت من حيث الضغط و الشدة"⁵.
 - زمن النطق: و هو "الوقت الذي يستغرقه نطق المقاطع الصوتية"⁶.



الوضوح السمعي في الصوامت الرنينية في الفواصل القرآنية

1 . الصوت الرنيني: " صوت يصاحبه رنين ناجم عن اهتزاز التجويف الأنفي أو التجويف الفموي أو التجويف الحلقوي أو التجويف الحنجري" ، و ذلك تأثرا باهتزاز الأوتار الصوتية ، و يكون عادة عند نطق الأصوات البينية أو المتوسطة و هي أكثر الأصوات وضوحا في السمع. ينظر، محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، ص: 90. و محمد فتح الله الصغير، الصوامت الرنينية في اللغة العربية، ص: 14.

2 . محمد فتح الله الصغير، الخصائص النطقية و الفيزيائية للصوامت الرنينية، ص: 249.

3 . السابق ، ص: 249.

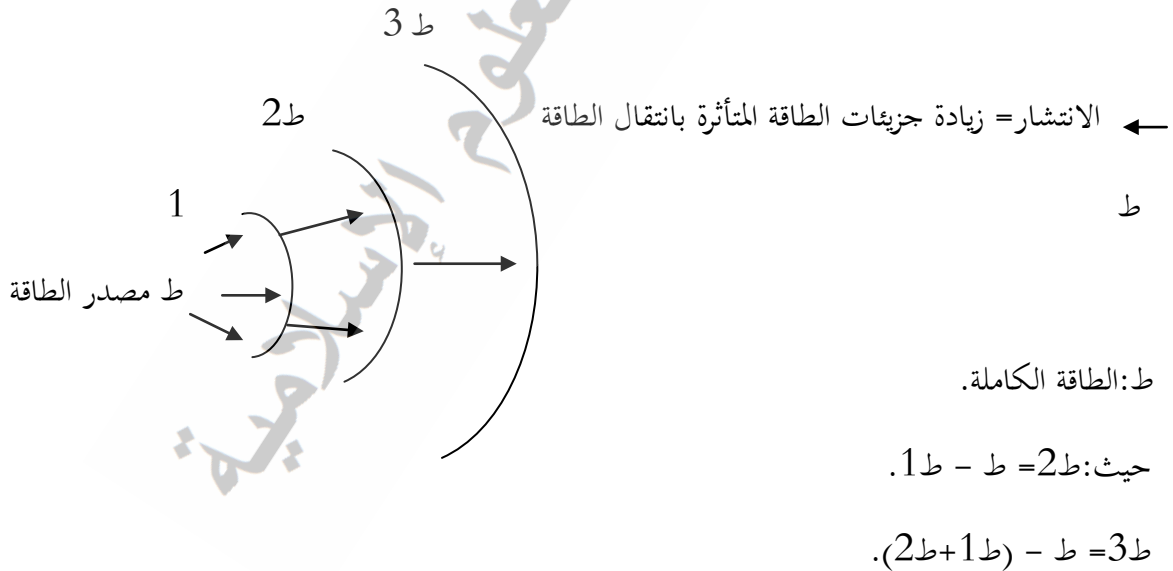
4 . سعاد بنناسي، السمعيات العربية في الأصوات اللغوية، دار أم الكتاب للنشر، الجزائر 2012، ص: 62.

5 . سعد مصلوح، دراسة السمع و الكلام، ص: 30.

6 . سعاد بنناسي، السمعيات العربية في الأصوات اللغوية، ص: 62.

يبين المخطط عمل أعضاء النطق على إطالة زمن النطق بالصوامت الرنينية في نهاية الآيات القرآنية (تزايد زمن النطق) و ذلك لتعويض ضعف نشاط الأعضاء في إنتاج الأصوات اللغوية و (تراجع علو الصوت) وهو ما يؤدي إلى الحفاظ على مستوى الوضوح السمعي على مستوى السلسلة النطقية (الممثل في المخطط بشريط طرفاه متوازنان دلالة على الحفاظ على مستوى الوضوح السمعي خلال مراحل النطق) .

وفي ختام حديثنا عن تكرارية الصوامت الرنينية تجدر الإشارة إلى نقطة إعجازية في القرآن الكريم، و تتمثل في أن الصوامت الرنينية تكررت بنسبة 08.09 % في بدايات الآيات القرآنية مقابل تكررها بنسبة 62.30 % في نهاياتها أي في فواصلها. و الفرق بين النسبتين كبير و واضح، و أثناء البحث عن قراءة صوتية للظاهرة انتهينا إلى نقطة مهمة تتمثل في أن "كمية الطاقة التي يستهلكها الصامت الرنيني يكون أكبر عندما يكون في موقع البداية، تليها كمية الطاقة التي يستهلكها الصامت الرنيني في الدرج، و تكون كمية الطاقة في أدنى مستوياتها مع الصامت الرنيني الموقوف عليه" ¹ . و تفسير ذلك متعلق بالقانون الفيزيائي الذي يربط زيادة الضغط بقلّة المسافة و قلّة الضغط بزيادة المسافة، فالابتداء بالصامت الرنيني يجعله أقرب إلى مركز طاقة النطق فيأخذ حاجته منها، و أمّا الوقوف عليه فإنه يجعله بعيد المسافة. فلا يأخذ إلاّ ما تبقى ممّا استهلكته الأصوات التي قبله. و يمكن تمثيل سيرورة الطاقة للصوامت الرنينية خلال مدرج الكلام كما يلي:



مخطط سيرورة الطاقة للصوامت الرنينية في مدرج الكلام

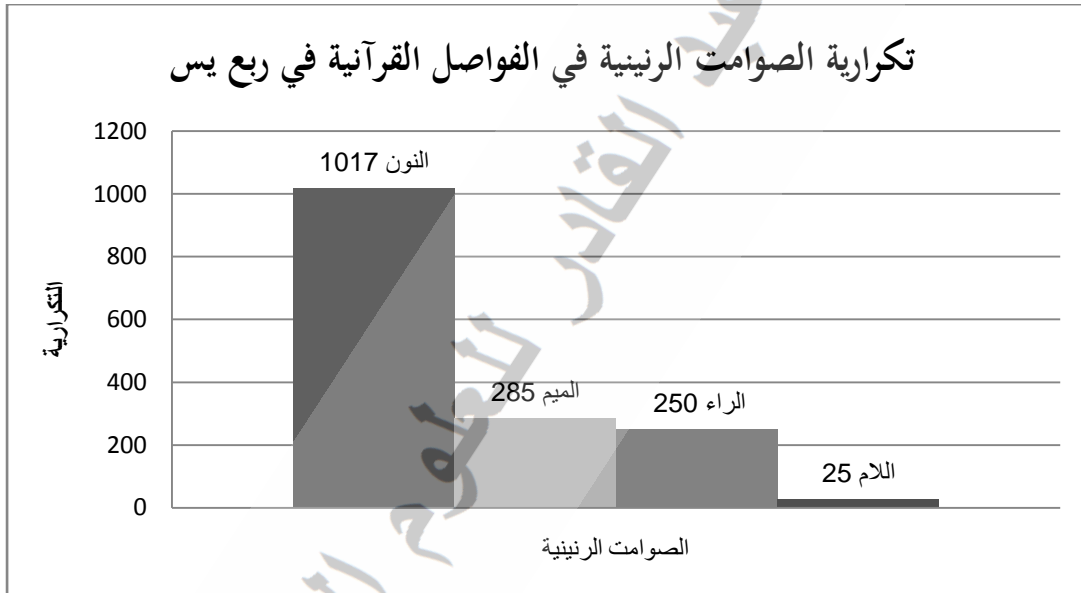
¹ . محمد فتح الله الصغير، الخصائص النطقية و الفيزيائية للصوامت الرنينية، ص: 249.

أما متوسط ما تستهلكه الصوامت الرنينية من طاقة فقط كشف عن النتائج الآتية:

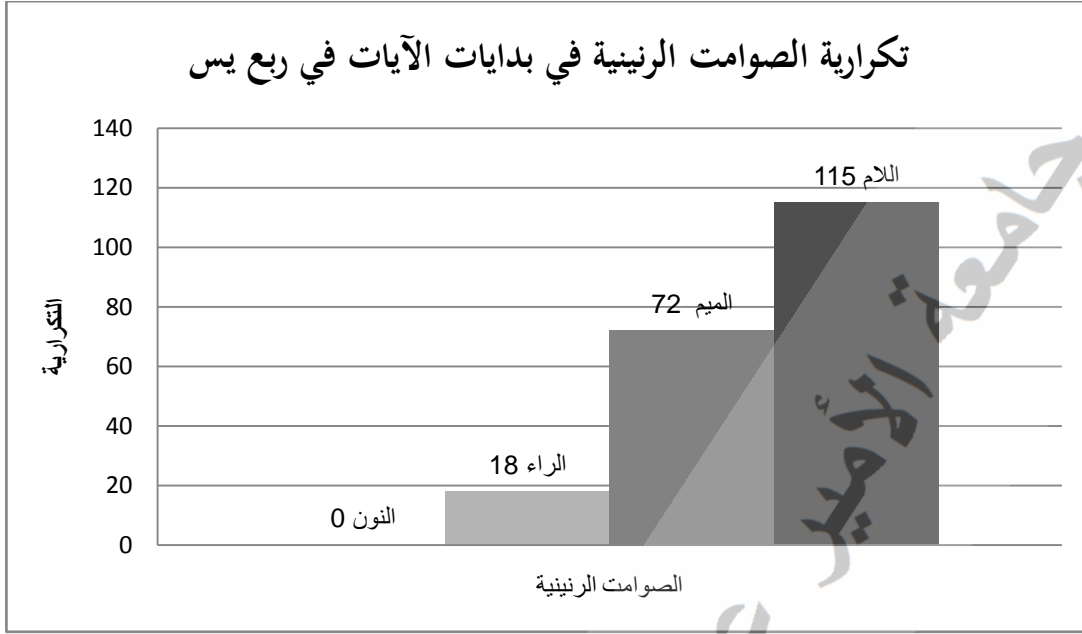
الصامت الرنيني	الطاقة (db الديسيبل) ¹
ع	57.95
ر	56.55
ل	57.31
ن	62.31
م	65.33

و للوقوف أكثر علي تكرارية الصوامت الرنينية في الفواصل القرآنية في ربع يس مقارنة ببدايات الآيات أورد

المقارنة في التمثيل البياني الآتي:



¹ . الديسيبل db وحدة يستخدمها العلماء لقياس مستوى شدة الصوت. والنبرة ذات التردد 3,000 هرتز وذات مستوى الشدة صفر ديسيبل هي فاصل عتبة السمع، أي أضعف صوت تستطيع الأذن البشرية الطبيعية أن تسمعه. ومستوى شدة الصوت الذي قيمته 140 ديسيبل هو مؤشر عتبة الألم. ولا تحدث الأصوات ذات 140 ديسيبل، أو أكثر، إحساسًا بالسمع في الأذن، وإنما تحدث إحساسًا بالألم. ويبلغ الهمس نحو 20 ديسيبل، والمحادثة العادية نحو 60 ديسيبل. أما موسيقى الرقص الصاخبة، فقد تعطي نحو 120 ديسيبل.



ومن خلال التمثيلين البيانيين نسجل الملاحظات الآتية:

- 1 - تكرارية النون في الفواصل هي الأعلى و تحتل المرتبة الأولى بعدد (1017)، و في بداية الآيات تحتل المرتبة الأخيرة لانعدام تكرّرها (0).
 - 2 - على عكس صوت النون، فإن صوت اللام يحتل المرتبة الأخيرة في الفواصل بعدد (25) ليتقدم إلى المرتبة الأولى في بدايات الفواصل بعدد (115).
 - 3 - تزايدت تكرارية أصوات ن، م، ر في فواصل الآيات مقارنة ببداياته ا، ولكن بنسب متفاوتة و دون قانون حسابي ثابت.
 - 4 - تكرارية الأصوات الرنينية في بداية الآيات قليلة جداً مقارنة بتكراريتها في الفواصل؛ إذ بلغت في الأولى (205) مرة، في حين وصل في الثانية إلى (1577) مرة.
- من خلال دراستي لتكرارية الأصوات في الفواصل القرآنية في ربع يس، خلصت إلى مجموعة من النتائج أهمها:
- 1 - الأصوات البينية هي أصوات حظيت بتكرارية عالية مقارنة بالأصوات اللغوية الأخرى، ليس على مستوى ربع يس فحسب و لكن على كامل آيات القرآن الكريم.
 - 2 - تكرارية الأصوات البينية ليست ظاهرة صوتية جديدة على اللغة العربية فقد سجل الدارسون لها تكرارية عالية في الأشعار و الأسجاع السابقة لنزول القرآن و اللاحقة به. و بذلك فقد احترم القرآن الكريم الذائقة الفنية للعربي.

- 3 - تتمتع الأصوات البينية بخصائص نطقية و سمعية ممتازة جعلت منها أكثر الأصوات اللغوية استعمالاً في اللغة العربية من ذلك سهولة مخرجها و جيرانها أثناء النطق بها. ضف إلى ذلك اتسامها بصفات أخرى كالذلاقة والجهر و التوسط بين الشدة و الجهر. إضافة إلى ذلك تمكينها للقارئ من التزم و الإنشاء و تشكيل الأنساق الصوتية العذبة.
- 4 - تعدّ الأصوات البينية من أكثر الأصوات وضوحاً في السمع مقارنة بالأصوات الأخرى، ولعل أهم الصفات التي أهلتها لتكون في فواصل القرآن، حيث تكون أنسب لختام السلسلة النطقية التي تمتاز عادة بانخفاض الصوت استعداداً للوقف.
- 5 - لعبت الصوائت الطويلة (الواو و الألف و الياء) دوراً كبيراً في مساعدة الصوامت البينية في تحقيق نسق صوتي معين و رافقتها في أغلب تكراريتها.
- 6 - لتكرارية النون و الميم سمات خاصة تتعلق بتداخلهما تكرارياً، و لعل ذلك يعود للتقارب الكبير الحاصل، بين الصوتين إن في المخرج أو في الصفات أو في الجرس الموسيقي الناتج في الأساس عن صوت الغنة. تميزت الأصوات البينية بمجموعة من الخصائص الصوتية التي أهلتها أن تكون الأكث استعمالاً في القرآن الكريم، و قبل ذلك في لغة العرب و أشعارهم، ومنها الذلاقة. "و حروف الذلاقة وهي ستة: اللام، الراء، النون، الفاء، الباء، الميم. لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان، و هو صدره و طرفه"¹. فنطقها سهل يسير يعتمد على طرف اللسان، و لهذا لوحظ كثرة دخولها في أبنية الكلمات العربية، و هو ما أشار إليه ابن جني "و في هذه الحروف الستة سرّ طريق ينتفع به في اللغة، و ذلك أنك متى رأيت اسماً رباعياً أو خماسياً غير ذي زوائد، فلا بدّ فيه من حرف من الستة أو حرفين، وربما كان فيه ثلاثة"². بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك بعدّ وجود حروف الذلاقة في بنية الكلمة أساساً للحكم على أصل الكلمة، فإن وُجدت في بنيتها فهي عربية، وإن خلت منها فهي دخيلة على كلام العرب. و قد أكّدت هذه القاعدة الدراسات الحديثة، من ذلك الدراسة التي قام بها الباحث علي حلمي موسى (مصر) حول الجذور الثلاثية في اللغة العربية من خلال معجم الصحاح و التي أحصى من خلال مفردات اللغة العربية و المستخدمة في الجدول من خلال إحصاء " تردد الحروف في المواقع المختلفة من الكلمة و تتابع الحروف و اختلافها منحرف لآخر"³. قد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى أن أكثر الأصوات العربية تردداً في الجذور الثلاثية هي على الترتيب: الراء، الميم، النون، اللام، الباء، العين، الفاء، ثم الدال، القاف، السين.

¹. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص: 64.

². السابق، ص: 64.

³. علي حلمي موسى، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978، ص: 10.

وهو ما يؤكد مقولة أن الأصوات الذلقة هي أكثر الأصوات تكراراً في كلام العرب، فليس غريباً على القرآن أن يحترم الذائقة العربية و يسهل عليهم حفظ و نطق ألفاظه من خلال جعل الأصوات الذلقة أكثر الأصوات تكراراً في الفواصل القرآنية. ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾¹، ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾²، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾³، ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾⁴.

وتجدر الإشارة إلا أن هناك من الدارسين من رأى أن الذلاقة صفة ثلاثة حروف فقط، منهم ابن الجزي الذي رأى أن الحروف الذلقة هي: اللام، والراء، والنون وأن "هذه الثلاثة يقال لها ذلقية نسبة إلى موضع مخرجها و هو طرف اللسان، إذ طرف كل شيء ذلقه"⁵. و إلى ذلك ذهب كمال بشر من المحدثين فقرر أنه "من الواضح أن نسبة الحروف الثلاثة: الفاء و الباء والميم إلى ذلق اللسان نسبة فيها تجاوز بل غير صحيحة، إذ لا دخل للسان البتة في نطق هذه الحروف"⁶. و في كلا الرأيين تبقى الحروف البينية حروفاً ذلقة، سهلة النطق، كثيرة الاستعمال.

أ ب. تكرارية الأصوات المقلقلة:

لاقت الأصوات المقلقلة اهتمام اللغويين منذ القدم، فحظيت بدراسات كثيرة لمخارجها و طرق نطقها و قيمها الدلالية. كما أنها كانت واسعة الاستعمال عند الجماعة اللغوية من قبل أن تظهر هذه الدراسات اللغوية. والعائد إلى الشعر الجاهلي سيتأكد من ذلك.

الأصوات المقلقلة من أكثر الأصوات تكراراً في فواصل ربع يس بعد الأصوات البينية و أصوات المد و هذا ما جعلنا نقف عندها و نسلم بوجود دلالات خاصة من وراء تكرارها. و في الجدول الآتي نسجل بعض الملاحظات

¹ . يوسف/02.

² . الأحقاف/12.

³ . إبراهيم/04.

⁴ . مريم/97.

⁵ . ابن الجزي، النشر في القراءات العشر، ج1، ص: 20.

⁶ . كمال بشر، علم الأصوات، ص: 362.

الإحصائية.



تمثيل بياني لتكرارية الأصوات المقلقلة في فواصل ربع يس

و من خلال هذا الإحصاء يمكن تسجيل النتائج (الملاحظات الآتية) :

- 1 - صوت الدال هو أكثر الأصوات المقلقلة تكرارية. و الدال صوت شديد قوي، و من أكثر السور التي تكرر صوت الدال في فاصلتها سورة البروج. و هذا بيان أصوات فواصلها:

ع دد الآيات	الآيات المنتهية	الآيات المنتهية		باقي الأصوات					
		بدال و المسبوقة	بدال و المسبوقة	ق	ج	ط	ظ	ب	ر
22	بدال	ب : واو	ب : ياء	1	1	1	1	1	1

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ٣ قَتَلَ أَحْصَبَ الْأَخْدُودِ ٤ التَّارِذَاتِ الْوُفُودِ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَمَا يُؤْمِنُوا فَهَمُّ عَذَابٍ جَهَنَّمَ ١٠ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ١٢ إِنَّ بَطْشَ

رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَآئِدٍ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾
فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُخِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مِّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾¹.

يقسم الله في هذه السورة بالبروج التي في السماء و هي " البروج الاثنا عشر و هي قصور السماء على التشبيه، و قيل البروج: النجوم التي هي منازل القمر، و قيل عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها و قيل أبواب السماء"²، و بيوم القيامة، على غضبه لما فعله أصحاب الأعدود بالمؤمنين و ما أحقوا بهم من عذاب الحريق. و ما أنسب الصوت المقلقل الذي يوحى بالشدة و الاضطراب للتعبير عن الأذى الكبير الذي لحق بالمؤمنين في المحرقة من جهة، و بغضب الله عليهم من جهة أخرى، حيث توحى التراكيب في الآيات بأنه " إن شاء شتم لهم شتم خزي و غضب، فهؤلاء لم يقتلوا ففعل قُتل ليس بخبر بل شتم، و صدوره من الله يفيد معنى اللعن و يدل على الوعيد لأن الغضب و اللعن يستلزمان العقاب على الفعل الملعون لأجله"³، و ذلك نحو قُتل الإنسان ما أكفره، و قُتل الخراصون. و قد هيمن صوت الدال على فواصل السورة، و ساعده صوتا المد (الياء و الواو) في تعزيز مكانته الصوتية و إعطاء مساحة نطقية أوسع لإبراز قوته النطقية، خاصة و أنه صوت مجهور شديد يحتاج إلى جهد أكبر في النطق، إضافة إلى وجود أصوات مقلقة أخرى في باقي الفواصل/ الباء و الطاء و القاف، و هو ما يعطي السورة نسفاً مقلقاً يوحى بجوها المليء بغضب الله و توعده بعقاب أصحاب الأعدود.

ج. تكرارية أصوات المد:

تكتسب أصوات المد قيمة صوتية و دلالية كبيرة عند تكرارها، حالها في ذلك حال الصوامت و ربما أكثر. وقد انتبه مستعملو اللغة العرب إلى خصائص أصوات المد في زمن مبكر فأكثرها من استعمالها في كلامهم إذا تعلق الأمر بالغناء والشعر، خاصة إذا كانت المدود متجانسة مع حركة ما قبلها " فتمحض لانطلاق الصوت مسافة أطول"⁴. فتستأنس لها الأذن و تطرب لها النفس.

إن الإحصاء البسيط لأصوات فواصل ربع يس أوقفنا على حقيقة شيوع أصوات المد فيها بشكل كبير. و في الجدول الآتي نبين أهم ما سجلناه من خلال الإحصاء.

آخر حرف	قهل النون	قهل الميم	قهل اللام	قهل الراء	قهل الدال	قهل الياء	المجموع
الألف	63	7	1	26	24	49	170
الياء	401	198	14	64	48	14	739

¹ . سورة البروج.

² . جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 237.

³ . ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج30، ص: 240.

⁴ . عز الدين علي السيد، التكرير بين التأثير و المؤثر، ص: 62.

595	4	17	34	2	26	546	الواو
1538	67	89	124	17	231	1010	المجموع
	%72,83	%79,46	%49,60	%68,00	%81,05	%99,31	النسبة

الجدول (أ)

تكرارية ألف الإطلاق:

نا	لا	را	ما	قا	جا	با	دا	كا	زا	تا
1	30	74	23	14	10	33	35	1	2	7
ثا	حا	سا	شا	طا	عا	فا	وا	يا	ها	المجموع
1	4	2	1	3	6	5	2	5	33	291

الجدول (ب)

نسجل من خلال الجدول (أ) الملاحظات الآتية:

- 1- صوت الألف هو صوت المد الذي أخذ أكبر مساحة مقارنة بصوتي المد الياء و الواو.
- 2- تكررّت الألف بصورتيه، الألف القائمة، وقد تكون إشباعاً للحركة أو انطلاقا لحركة الحرف السابق لها (291 مرة) و صورة الألف المقصورة شبه الياء (159 مرة).
- 3- سبقت اللف الطويلة في فواصل ربيع يس بكل الأصوات تقريبا (21 صوت)، بين صحيحة و معتدلة. وذلك كما يلي:

$$\text{بينية (ر + ل + م + ن)} = 01 + 23 + 30 + 74 = 128 \text{ مرة.}$$

$$\text{مقلقلة (د + ب + ق + ط + ج)} = 10 + 03 + 14 + 33 + 35 = 95 .$$

$$\text{مدّ (ي + و)} = 02 + 05 = 07 .$$

- 4- ورد المدّ في فواصل ربيع يس بغزارة في مرتبة الصوت ما قبل الأخير، أي متبوعاً بصامت، ممّا يلفت انتباهنا إلى أهميته في الفواصل. فلصوت الصامت النون مثلا، لم يسبق بصامت في الربع كله إلا في سبعة (7) مواضع مقابل ألف وعشرة (1010) موضع مسوق فيها بمدّ أي بنسبة 99,31% .

- 5- أكثر الأصوات الصامته التي سبقت بمد هي الأصوات البينية (ن، م، ل، ر)، و المقلقلة (د، ب).

و لتحليل المعطيات الإحصائية السابقة و الملاحظات المسجلة نقف عند النقاط الآتية:

1 - إن كثرة استعمال أصوات المدّ ليس بالشيء الجديد في لغة العرب، فالمتصفح لأشعارهم سيقف عند ملاحظة بسيطة و هي شيوع استعمال أصوات المد في قوافيها و قد انتبه العلماء المتقدمون لذلك، كسيبويه الذي أورد في كتابه في باب "وجوه القوافي في الإنشاء": "أمّا إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف و الياء و الواو ما ينون وما لا ينون لأنهم أرادوا مدّ الصوت" ¹ . و لم يخرج النص القرآني عن الدائقة العربية العامة فأستثمر الخصائص الصوتية لهذه الأصوات فشاع استعمالها في الفواصل بشكل كبير و في هذا أورد صاحب البرهان: "قد كثر في القرآن الكريم فتم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد و اللين و إلحاق النون، لحكمة وجود التمكّن من التطريب بذلك" ² . و من أهم الخصائص الصوتية التي تميّز هذه الأصوات هو نطقها السهل حيث أنها تحدث "من خلال اندفاع الهواء في مجري مستمر خلال الحلق و الفم، دون أن يكون هناك عائق يعترض مجرى الهواء" ³ ، سواءً كان هذا الافتراض جزئياً أم كلياً.

و ذلك علي عكس الصوامت التي يستلزم (نطقها) حدوث اعتراض بنسبة ما. أما الخاصية الثانية و المهمة فتتمثل في الوضوح السمعي مقارنة بالأصوات الصامتة. إضافة على كونها أصوات شفوية سيصل النطق بها، و الدليل على ذلك نطق الطفل الصغير بالأصوات الشفوية أولاً.

2 - إن خصائص أصوات المد النطقية جعلت منها أصواتاً مرنة عذبة تميل إليها النفس و تطرب لها الأذن، وقد جاء تكرارها بنسبة كبيرة في الفواصل القرآنية. لا يؤكد خفتها وسعة مخارجها فقط، و إنما "يؤكد صلتها النفسية التي مردها أنها مألوفة، لأنها وليدة الحركات التي لا يمكن خلو لفظ منها و لذلك يأنس بها الطبع" ⁴ .

و لنقف عند قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ ⁵ .

لنتمنّ في مرونة هذه الآية التي تخالج عوامل النفس الداخلية فتخاطب عقله بدعوة إلى التدبر في الخلق و قدرة الخالق، و تدعوه إلى الاستسلام و الاعتراف بعظيم قدرته سبحانه و تعالى، فتضافرت في الآيات المتتاليات أصوات المدّ: الياء في (العليم) و الواو (في يكون ، ترجعون) لترسم لنا هدوءاً معجزاً ساعدتها في ذلك أصوات المدّ المنتشرة في الآيات بشكل ملفت: السماوات ، قادر، علي، بلى، الخلاق، إنّما، إذا، أراد، يقول، سبحان،

¹ . سيبويه، الكتاب، ، ص: 204 .

² . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 08 .

³ . محمد محمد داود ، الصوائت و المعنى في العربية، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 2001م، ص: 16.

⁴ . عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير و التأثير، ص: 63.

⁵ . يس/81، 82، 83.

ملكوت. بل وساعد المدّ الزائد في التوغل في أعماق النفس و زيادة زمن التدبر لتسبح في ملكوت الله بعقلها و تدبر فيه.

3- صوت الألف هو أكثر الم دود استعمالاً في فواصل ربع يس وقد يعود ذلك إلى مجموعة من الخصائص الصوتية التي تميّزه عن صوتي الواو و الياء، والتي انتبه إليها العلماء قديماً كابن جني (ت 392 هـ) في كتاب "سر صناعة الإعراب" في قوله: "جميع الحروف صحيح إلا الألف و الياء و الواو اللواتي هن حروف المد والاستطالة، إلا الألف أشد امتداداً و أوسع مخرجاً، و هو الحرف الهاوي"¹.

و ذلك نتيجة لطريقة نطقها حيث لا يعترض الهواء عند النطق بهن عارض كما بيّننا سابقاً و هو ما قال به سيويه، و رتبها حسب اتساع مخرجها: الألف ثم الباء ثم الواو.

صوت الألف هو أول الأصوات من حيث الوضوح السمعي و ذلك كما ثبت في تجارب اللغويين المحدثين من " أن الصوت الصائت a هو أقوى الأصوات المبيّنة في الرسم من حيث مقدار قوة إسماعه النسبية"². و لا عجب في ذلك إذ توفر صوت المد (الألف) على خصائص صوتية أهلته لذلك أهمها اتساع المخرج . و موقعه في نهاية الفواصل يعطي نهايات صوتية مفتوحة للدفقات الصوتية. و قد احتفي بها القرآن الكريم لأنها من "الحلاوة والإطراب حظا يشير الحكم بأن لها دخلاً كبيراً في الإعجاز، و هي إمّا م دود مطلقة يوقف عليها بصوتها، و إمّا ملحقة بحرف صائت تسبقه، و قد تكرر في كلمة الفاصلة فيضعف التكرير قيمتها بما لا يخفي جماله و يسر إيقاعه"³. و لك أن تتذوق هذه العذوبة و الجمال بترتيل أو استماع ترتيل آيات فاصلتها المدّ.

4- تتلوج جمالية صوت المدّ (الألف) في فواصل ربع يس بجمالية المدّ الزائد في متن الآيات، ما يمنح الجرس الصوتي والعمق الدلالي أبعاداً متجاوبة و أصداً على كامل السورة من ذلك نورد قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾⁴. إنّ صوت المدّ (الألف) في هذه الآية يجعل لها وقعاً صوتياً ساحراً يغرق الإنسان في روحانية عالية و تصوّر لنا حالة الحبيب ﷺ و هو شاخص في موقف وحي و تعليم يدنو من جبريل عليه السلام قاب قوسين أو أدنى، و هو شاخص بين فصول الموقف و عظمته، و بين عجيب الخلق و كقوله فنبت ﷺ و رأى بفؤاده و صدق "ما كذب الفؤاد ما رأى" و المعنى "ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه يبصره من صورة جبريل ﷺ: أي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك، و لو قال ذلك لكان كاذباً لأنه عرفه: يعني أنه رآه بعينه و عرفه بقلبه"⁵. وماذا بعد

¹. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص: 62.

². تجربة بيتراديفوجر، نقلا عن خالد أبو الهيجاء، فيزياء الصوت ووضوحه السمعي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص: 233.

³. عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير و التأثير، ص 65.

⁴. النجم/10.

⁵. جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 29.

بعد رؤية الفؤاد "أصدق وأثبت لأنها تنفي خداع النظر"¹. إنهما الأقرب إلى اليقين و الألصق بالروح و الأشد بعثا علي الإيمان، إنها رؤيا القلب لا رؤية العين.

كل هذه الروحانية العالية جسدتها المدود المتوزعة في نظم جميل ليرى على مستوى الآيات و فواصلها، تضاف إليها دلالات الاستغراق في البعدين المكاني و الزماني. فالخطاب من ربّ السماوات العلي القدير، و الرسول جبريل عليه السلام شديد القوى، فالخطاب مستغرق في المدد المكاني المعجز من السماء إلى الأرض مجسدة الرباط التواصلية المقدس بين الأنبياء، و هم العباد الأخيار في الأرض، برهم فوق السماوات، و ألف المد هنا "كما كل ألف لها دلالة على وجهة الحركة أو التوجه، فهي علامة تواصل بين الأرضي و السماوي، و بين السماوي والأرضي مرة ثانية"².

فالمد و المد الزائد ظاهران صوتيتان لهما وظيفة صوتية دلالية تتعلق بطولهما و لم يكن زيادة المد ظاهرة احتياطية إذ " ترتبط الحركة بالزمن ارتباطا وظيفيا، يؤدي إلى تحديد طولها"³.

ولو أردنا الحديث عن المدود في فواصل السورة وآياتها بلغة الأرقام، فتكراريتها كانت كبيرة دالة على معاني وأجراس لينة الصدى، صافية الإيحاء:

السورة	النجم
عدد الآيات	62 آية.
الآيات التي تنتهي بألف المد بين طويلة و مقصورة	56 آية.
المد الزائد في الفواصل	12 آية.
المد الزائد في الآيات	16 موضع.
المد العادي: (بالألف)	70 مد.

فتضافر المدود بتكراريتها العالية في هذه السورة أضفى عليها سحرا صوتيا عاليا ضاعف من أهمية المد جماليا

و دلاليا.

¹. سيد قطب، في ظلال القرآن ، سورة النجم، ص 372.

². محمد فريد عبد الله، الصوت اللغوي و دلالاته في القرآن الكريم، دار الهلال، بيروت، ط1، 2008م ، ص: 212.

³. سمير أستيتية، الأصوات اللغوية، ص: 241.

5 - تتلّف جمالية صوت المد (الألف) في بعض الآيات كحركة طويلة، مع وظيفتها اللغوية المتمثلة في الدلالة

على المثني (ألف الاثنين) . فتتزوج بدلالة الوظيفة الصوتية مع الدلالية النحوية ممّا يضع نسقاً ذا مرونة صوتية

عالياً و أبعاد دلالية قيمة ، و كمثل عن ذلك نورد قوله تعالى : ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِئْتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْئَانِ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ جَبْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فِكْهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾¹.

في الآيات الكريمة يفتح المجال الجمالي للمدّ (بالألف) لينتقل التشكيل الصوتي فيه من دلالة الجرس الذي

يخلفه صوت الألف إلى الدلالة الصرفية في البنية الدالة على المثني ك : تكذبان - جنتان - تجريان - زوجان -

لتخاطب الثقيلين من الإنس و الجن، فكانت المدود مساحة تنطلق فيها الأصوات و تمتد إلى بعيد لتعلن آلاء الله

الكثيرة التي تعد، و التي تتحدى كل من يكذب بها.

2 تكرار الكلمات و الجمل:

اعتنى اللغويون القدماء بالدلالة صوتاً و لفظاً، فانصبت آراؤهم على العناية بالمعاني على حساب الألفاظ من

منطلق أن المعاني مطروحة في الطريق، و أنّ الأهمية كلها للألفاظ في مخارج حروفها، و إقامة وزنها، و جودة

سبكها، فاعتنت آراء بعضهم بالألفاظ أكثر باعتبارها أوعية المعاني، تنتظم بانتظامها و تتناسق بتناسقها. إلا أن

هناك من الباحثين من فضّل الاهتمام بالألفاظ و المعاني ممّا ماسكاً العصا من الوسط من خلال الجمع بينهما في

عملة واحدة و غلق باب الأسبقية فالمعني ليس محصوراً في الفكرة أو المضامين، و اللفظ ليس محدوداً بأصواته

و"إنما اللفظ بكل إمكاناته الصوتية و غير الصوتية في خدمة المعنى، و المعنى عنده كل ما نتج عن السباق من

فكر، و إحساس، و صورة، و صوت"². و قد أشرت إلى القضية بشيء من التفصيل في المدخل.

و قد خلصت عناية اهتمام درس اللغوي بدلالة الألفاظ إلى آراء حاسمة، و لعل أكثر ما يلفت الانتباه على

قضية دلالة القوالب الصوتية ما ورد في كتاب الخصائص لابن جني تحت باب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني" وما

انتبه إليه من تتابع لبعض الأوزان و القوالب الصوتية مقابلة تتابع معاني محدّدة، و ممّا أورد نقلاً عن الخليل

وسيبويه لتأكيد ما وصل إليه: قال الخليل: كأنهم قال الخليل: كأنهم توهّموا بصوت الجندب استطالة ومدّ فقالوا :

صرّ، وتوهّموا في صوت الباز تقطيعاً فقالوا: صرصر، وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على (الفعالن): إنّها

¹الرحمن/46، 53.

² محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي، ص: 298.

تأتي للاضطراب و الحركة نحو الغليان و الغثيان، فقالوا بتوالي حركات المثال لتوالي حركات الأفعال..... ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة"¹.

يبدو من خلال هذا الكلام أن ابن جني كان واضح الرؤى عميق الفهم، يستفيد من سابقه، ليضع أسس بحثه، و في هذا المبحث من كتابه يضع الحجر الأساس للعلاقة القائمة بين الأصوات و دلالاتها، و نستطيع أن نلخص من نص ابن جني بالنتائج الآتية:

- 1 - انتبه الخليل على العلاقة التي تجمع الدلالة بالأداء الصوتي كمدّ الصوت و تقطيعه.
- 2 - انتبه سيبويه على العلاقة التي تجمع الدلالة بالتتابع الصوتي، كتوالي الحركات لتوالي الأفعال.
- 3 - انتبه ابن جني على العلاقة التي تجمع الدلالة بتكرار القالب الصوتي كالمصادر الرباعية المضعفة التي تأتي للزعزعة و القلقلة.

● العلاقة التي تجمع الدلالة بصفات الأصوات كالجهر و الشدة و القلقلة حدوًا لمجموع الأصوات على محسوس الأحداث.

- علاقة تجمع الدلالة بترتيب الأصوات من تقديم و تأخير سوقًا للحروف على سمت المعنى المقصود.
- علاقة تجمع الدلالة بالتشكيل الصوتي و تضافر خصائص الأصوات الممزوجة و المتجاورة لتحقيق دلالة معينة.

و إذا سلمنا بأنّ للأصوات و القوالب الصوتية معاني و دلالات محددة، فإن تكرار قوالب صوتية معينة في نص ما سيفرض لا محالة فكرة تحقيق تكرارها دلالات مقصودة. فتكرار المفردات بدواتها أو بقوالبها يعطي للنصوص إيقاعًا و جرسًا موسيقيًا مميزًا يوقفنا عند الدلالة التي تفيدها.

و قد كثر في القرآن تكرار المفردات بما يناسب السياق الدلالي للآيات. و من خلال وقوفنا على ذلك يمكن أن نسجل الملاحظات :

- نرى تكرار الكلمة عدة مرات في الفواصل القرآنية، و يأتي على شكلين:

1 - تكرار الكلمة ذاتها، أي بنفس الأصوات و نفس الوزن و ليس ذلك تكرارًا صوتيًا فحسب، بل له من الدلالة ما يستلزم تكراره . و قد يتعدى أحيانًا حجم الكلمة الواحدة إلى الجملة أو الآية. و سنعرض فيما يلي إلى بعض الأمثلة التي لفتت انتباهنا في ربع يس:

¹. ابن جني، الخصائص، ص: 153، 154.

أ - إن قارئ أو سامع ربع يس سيقف به الانتباه عند نقطة مفادها تكرر أسماء الله الحسنی و صفاته العلی في الفواصل و ذلك علی أوجه مختلفة، و الجدول الآتي یبین أهم تلك الأسماء المتكررة:

01	صمد	01	شكور
02	محيط	08	خبير
03	شديد العقاب	04	عزيز
01	ودود	17	حليم
03	قهار	22	رحيم
03	وكيل	02	غفور
01	حليم	30	عظيم
01	الأعلى	21	عليم
11	كريم	10	قدير
02	نصير	10	بصير
01	قادر	06	حميد

جدول يمثل تكرارية أسماء الله الحسنی في ربع يس

و يأتي تكرار هذه الأسماء علی عدة وجوه . و أشيعها أن تقترن صفتان في فاصلة واحدة . كقوله تعالى : ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ¹³ **الْأَيْعَلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ¹⁴ .
و اللطيف: الذي يدرك دقائق الأمور، و يرفق بالعباد في هدايتهم.
الخبير: الذي أحاط علمه بالظواهر و البواطن ²، أي عالم بأخبار أعمالكم ³.
و ذكر الاسمين " اللطيف " و " الخبير " يتناسب إلى حد بعيد مع الآية التي تتضمن تحدي الله للعباد في أن يعلم ما في صدورهم سواء أسرو قولهم أم أعلنوه، لأنه عالم لجميع أحوالهم . و جاءت الآية : ﴿ **الْأَيْعَلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ ¹⁴ تعليلاً للآية التي قبلها، أي "تعليلاً للتسوية المستفادة من صيغة الأمر بقرينة المقام وسبب النزول، أي فسواء في علم الله الإسرار و الإجهار لأنه علمه محيط بما يختلج في صدور الناس بله ما يسرون به

¹ . الملك/13، 14.

² . سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شرح أسماء الله في ضوء الكتاب و السنة، مؤسسة الجريسي، الرياض، دت، ص: 62

³ . الأصفهاني، معجم ألفاظ القرآن، مادة (خ ب ر).

من الكلام، و لذلك جيء بوصف عليم إذ العليم من أمثلة المبالغة و هو القوي علمه¹. فكيف لا يعلم الخالق أمور خلقه، و هو "اللطيف الخبير المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه و ما بطن"²، و اللطيف بالعباد "الذي يعلم دقائق الأمور و غوامضها، الخبير الذي لا يعزب عن علمه شيء، فلا تتحرك ذرة و لا تسكن أو تضطرب نفس إلا و عنده خبرها"³. و قد سبقت كلمة خبير بكلمة لطيف ليكون علمه بالدقائق من الأمور و يذهب بعض الباحثين إلى أن "الحكمة اللفظية في جعل الخبير فاصلة هي أن فواصل سورة الملك بالراء و أن الآية التي قبلها انتهت الكلمة الأخيرة منها بالراء، فلرعاية هذه المناسبة جعل الخبير في الفاصلة"⁴.

و لكن لا يمكن أن نجزم أن رعاية الفاصلة هو السبب الوحيد أو المطلق في ذلك فبالنظر إلى الآيات التي انتهت بـ "لطيف خبير" نجد فعلاً أن هناك آيات تناسبت فيها "خبير" مع الفاصلة التي قبلها أو بعدها، مثل:

قال تعالى: ﴿يَبْتِغِي إِذْهَا أَنْ تَكُ مَثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَطِيفُ خَبِيرٌ﴾⁵.

و لكن في مواضع أخرى لم يكن هناك تناسب للكلمة "خبير" من حيث انتهائها بصوت الراء مع الآيتين السابقة و اللاحقة لها. مثال ذلك:

قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾⁶ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٣٤﴾⁶.

و هنا يجذر الانتباه إلى أن الفواصل لا تراعي لتناسب الصوتي فحسب، بل تناسب الأجراس الصوتية مع القيم الدلالية بدرجة لا يمكن معها تعويض كلمة بأخرى تؤدي نفس البعد الدلالي و الجمالي.

ب) - معظم صفات الله عز و جل التي جاءت في الفواصل (أسماء الله الحسنى) جاءت على ثلاث (03) أوزان:

- فعّال: قَهَّار.

- فعيل: خبير، عليم، قدير، بصير.

1. ابن عاشور، التحرير و التنوي، ج29، ص: 30.

2. جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 137.

3. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص: 418.

4. محمد مرزا، أطروحة دكتوراه، أسماء الله الحسنى و صفاته و حكمة وجودها في فواصل الآيات القرآنية، جامعة بيشاور، إسلام آباد، 1996، ص: 217.

5. لقمان/ 16.

6. الأنعام/ 102، 104.

- فُغول: غفور، شكور، ودود.

و هي من أشهر أوزان المبالغة التي "تشتق للدلالة على ما يدل عليه اسم الفاعل مع المبالغة في المعنى"¹.

تتكرر أحيانا كلمة واحدة في السورة الواحدة عدة مرات. ما يوقفنا أمام إلزامية أن يكون لتلك الكلمة دلالة متعلقة بالمعنى العام للسورة. يترسخ ذلك المعنى أكثر و يبرز بتكرار الكلمة. و على سبيل المثال نذكر سورة الناس التي تكررت فيها كلمة الناس عدة مرات.

السورة	عدد الآيات	فاصلة " الناس "
الناس	06	05 مرات

و قارئ السورة سيدرك الجرس الموسيقي الناتج عن تكرار هذه الكلمة عدة مرات، و ذلك لما تحمله من خاصية الليونة الناتج عن تجاور صوتي النون و الألف و ما يتركه من جرس الغنة الممدود، و اختتامه بصوت السين المهموس الرخو الصغير الذي يرسم جواً من الهمس و الوسوسة تعبيراً عن الوسواس الذي يحدث الإنسان بصوت خفي لا يسمع، فيستغل غفلة الإنسان لذكر الله ليحجب الحق عن القلب و يزين له الباطل و يزرع في نفسه الظنون و الشكوك، و لعلّ السين المسبوقة المد كذلك تعبّر عن ضعف هذا العدو الذي يتحول إلى "خناس" متخفّ متراجع عندما يتحصّن صاحبه خاصة من الوحدة، و لعل هذا سرّ تكرار كلمة (الناس)، فالمعروف أن الشيطان يكون أبعد عن الجماعة و ألقى بالمنفرد.

تأ يكون تكرار فواصل بعض الآيات مقتزنا بتكرار الآية بأكملها، ما يترتب عنه نشوء جرس موسيقي خاص بالسورة. و لعلّ أشهر السور التي خطفت أسماعنا بتكرار آية فيها عدة مرات هي سورة الرحمان التي شهدت تكراراً لم تشهده سورة أخرى في القرآن.

السورة	الآيات	الآيات المكررة	الفاصلة	التكرارية
الرحمان	78	﴿فِي أَيِّ آيَةٍ لِّآيَاتِنَا تَكْذِبَانِ﴾	تكذبان	31

و هي سورة ذات نسق صوتي عذب و رنان يخطف الألباب و الأسماع، و فيها يخاطب الله تعالي عباده ويعرض أمامهم جميل خلقه، و روعة إبداعه، و عجيب حكمته في تدبير شؤون الكون و ما يحويه من خلائق، و فيها "يقيم إسهاد عام للوجود على الثقليين: الإنس و الجن المخاطبين بالسورة على السواء، في ساحة الوجود،

¹. صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص: 222.

على مشهد من كل موجود، مع تحديهما إن كانا يملكان التكذيب بآلاء الله، تحديًا يتكرر عقب بيان كل نعمة من نعمه¹.

و بذلك يكون تكرار آية ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ الْآيَاتِ كَذِبَانِ﴾ عقب كل نعمة من نعم الله على عباده من خلقهم وتعليهم وإكرامهم و تسخير الموجودات لخدمتهم، فتعددت للآية دلالاتها بتعدد تلك النعم².

و في ربع يس عدد من السور التي تكررت فيها آية واحدة في عدة مرات، و كانت التكرارية بدرجات المتفاوتة، و نحصي بعضها في الجدول:

السورة	عدد آياتها	الآية المتكررة	تكرارها
القمر	55	﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾	04
		﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾	02
المرسلات	50	﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ﴾	10

ج - تتكرر بعض الكلمات في الفواصل من باب إنشاء التعجب و إلحاق معنى الإكبار و التعظيم،

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝﴾³ و الحاققة هي اسم من أسماء يوم القيامة، و سمي كذلك لأنه يوم "يحقق فيه الجزاء"⁴. وقد تكررت في مطلع السورة ثلاث مرات لمعنى: " تعظيما لها و تفخيما"⁵، و هذا أسلوب للعرب في التشويق، و هو أن طرح استفهام مرتين: ما الحاققة؟ و ما أدراك ما الحاققة؟. و قد أعيد ذكر الاسم المستفهم عنه مكان الضمير للتهويل و إكبار الشأن، فلم يقل: الحاققة. ما هي، و ما أدراك ما هي؟ فقد "وضع الظاهر موضع الضمير زيادة في التعظيم والتهويل"⁶.

و قد أتيح هذا الأسلوب الذي ا عقد على التكرار و الاستفهام بيان عاقبة من يكذب بالحاققة في قوله

تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا وَعَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝﴾⁷. و قد تم وصف يوم القيامة هنا باسم آخر متمم لمعاني التهويل التي جاءت في الآيات الأولى و هو القارعة، و سميت كذلك لأنها "تقرع الناس بالأفراع و الأهوال و السماء بالانشقاق و الانفطار و الأرض و الجبال بالدك و النسف، و

1. سيد قطب، في ظلال القرآن، ص: 4018.

2. دليلة أسباع، دلالة التكرار في سورة الرحمن، مجلة الأثر، ورقة، ع2003، 14م، ص 91.

3. الحاققة/01، 03.

4. الأصفهاني، معجم ألفاظ القرآن، مادة (ح ق).

5. جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 149.

6. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص: 434.

7. الحاققة/4، 5، 6.

النجوم بالطمس و الانكدار "1. و السور التي حدث فيها تكرار من هذا القبيل كثيرة نذكر ما تيسر منها في الجدول:

السورة	الكلمة المكررة	الآيات	التكرار معنى المعنى																		
الهمزة	﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ ^(٤) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ ^(٥)	05	تهويل الحطمة ² .																		
		06		القارعة	﴿الْقَارِعَةُ﴾ ^(١) ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ ^(٢) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ ^(٣)	01	أظهرت القارعة في مقام الإضمار لما في اسمها من التهويل و الترويع ³ .	02	03	القدر	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ^(١) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ^(٢)	01	أعيد اسم ليلة القدر على خلاف مقتضى الظاهر(الإضمار) للاهتمام بتعيينها و تعظيمها صريحاً ⁴ .	02	المرسلات	﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ ^(١٣) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ ^(١٤)	13	تقوية استحضار يوم الفصل قصداً لتهويله ⁵ .	14	القيامة	﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ ^(٣٤) ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ ^(٣٥)
القارعة	﴿الْقَارِعَةُ﴾ ^(١) ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ ^(٢) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ ^(٣)	01	أظهرت القارعة في مقام الإضمار لما في اسمها من التهويل و الترويع ³ .																		
		02																			
		03																			
القدر	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ^(١) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ^(٢)	01	أعيد اسم ليلة القدر على خلاف مقتضى الظاهر(الإضمار) للاهتمام بتعيينها و تعظيمها صريحاً ⁴ .																		
		02																			
المرسلات	﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ ^(١٣) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ ^(١٤)	13	تقوية استحضار يوم الفصل قصداً لتهويله ⁵ .																		
		14																			
القيامة	﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ ^(٣٤) ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ ^(٣٥)	34	تهويل لأبي لهب.																		
		35																			

و كذلك الأمثلة الآتية:

السورة	الكلمة المكررة	الآيات
التكاثر	﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْمُونَ﴾ ^(٣) ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمُونَ﴾ ^(٤)	03
		04
الشرح	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ^(٥)	05

1. جار الله الزمخشري، الكشاف، ج4، ص: 149.

2. ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج30، ص: 540.

3. السابق، ج30، ص: 510.

4. السابق، ج30، ص: 458.

5. السابق، ج29، ص: 427.

06	﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾	
11	﴿فَلَا أَقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾	البلد
12	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾	
15	﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾﴾	الانفطار
17	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾﴾	
18	﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾﴾	
07	﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينِ ﴿٧﴾﴾	المطففين
08	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينُ ﴿٨﴾﴾	
17	﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنِ ﴿١٧﴾﴾	المطففين
18	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُونَ ﴿١٨﴾﴾	
04	﴿كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٤﴾﴾	النبأ
05	﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾﴾	

د- يكون تكرار بعض الكلمات و التراكيب من باب التأكيد و ترسيخ المعنى، أو تحقيق معنى آخر، و هنا التكرار يكون متتاليا أي في آيتين متتاليتين فتكون الأولى حاملة للمعنى و الثانية مؤكدة له. و نسوق جملة من الأمثلة في الجدول:

السورة	الكلمة المكررة	الآيات	المعنى من التكرار
القيامة	﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾	34	- تنديد لأبي لهب و تخويف له حتى ينتبه لأفعاله قبل أن تنزل العقوبة.
	﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾	35	- مبالغة في التهديد و الوعيد لمبالغة أبي جهل في الأذى.
النبأ	﴿كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٤﴾﴾	04	- ردع و زجر للمكذابين بالبعث.
	﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾﴾	05	- تأكيد للوعيد و الإنذار مع التهويل.
الشرح	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾﴾	05	- تطيب النفس و الوعد الضيق يأتي الفرج و بعد الشدة يكون المخرج.
	﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾	06	- تكرار تأكيد و تأنيس و وعد بمجئ الفرج بعد

الضيق.			
التكاثر	﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْمُونَ﴾ ^٣	03	- زجر لردع الناس عن الاشتغال بما لا ينفعهم ويشغلهم عن ذكر الله.
	﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمُونَ﴾ ^٤	04	- وعيد إثر وعيد، و زيادة في الزجر و التهديد.

و يشيع التكرار في كلام العرب، قبل نزول القرآن، في شعرهم و نثرهم، و كان يعدّ من ضروب البلاغة إذا أحسن الشاعر توظيفه، فالتكرار جلية لا مذمة، من ذلك ما أورده الباقلائي في قوله: "و من البديع عندهم: التكرار. كقول الشاعر:

هَلَا سَأَلْتُ جَمُوعَ كِتْ *** مَدَّةَ يَوْمٍ وَلَوْ أَيْنَ أَيْنَا.

و كقول آخر:

كَادَتْ فَرَازَةَ تَصَلِّي بِنَا *** فَأَوَى فَرَازَةُ أَوَى فَرَازَا.

و نظيره من القرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿فَإِن مَّعَ الْعَصْرِ يُسْرًا﴾^١ ^١ . و كالتكرار في قوله: ﴿قُلْ

يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ﴾^٢ ^٢ . و هذا فيه معنى زائد على التكرار، لأنه يفيد الإخبار عن الغيب^٣ .

فسورة الكافرون جاءت ردًا على المشركين الذين راودوه في توحيد الله عزّوجلّ، فجاء التكرار فيها بعدما "صرّح بما تقتضيه دلالة الفحوى على نفي أن يعبد آلهتهم في الحال، بما هو صريح الدلالة على ذلك لأن المقام يقتضي مزيد البيان، فأقتضى الاعتماد على دلالة المنطوق إطنابًا في الكلام لتأييسهم ممّا راودوه عليه وبمقابلة كلامهم المردود بمثله في إفادة الثبات"^٤ .

فلمّا سمع الكفار الآيات يئسوا من تغييره ﷺ لدينه فأذوه و آذوا أصحابه. أمّا قول الباقلائي (لأنه يفيد الإخبار عن الغيب) فأحسبه يقصد التأكيد على أن محمدًا ﷺ لن يترك دينه فيما بقي من عمره و هو ما يعدّ عند الحادثة من علم الغيب و قد صدقت الآيات، تمامًا كما صدقت في عدم إيمان هؤلاء المشركين الذين دعوه إلى عبادة إلههم من الأصنام، فقد ماتوا جميعًا على كفرهم^٥ .

^١ الشرح/5، 6.

^٢ الكافرون/01.

^٣ الباقلائي، إعجاز القرآن، ص: 106.

^٤ ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج30، ص: 582.

^٥ و هؤلاء هم: الأسود بن المطلب، و الوليد بن المغيرة، و أمية بن خلف و العاص بن وائل، ينظر ابن عاشور، ج30، ص: 579.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

الوقوف على الفواصل

جامعة الأمير
القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الوقف و الظواهر الصوتية المشابهة

1 -الوقف و القطع.

2 -الوقف و السكت.

أ. معنى السكت و علاقته بالوقف.

ب. أنواع السكت و وظائفه.

المبحث الثاني: أهمية الوقف على الفواصل

المبحث الثالث: أوجه الوقف على الفواصل

1. الوقف بالإسكان.

2. الوقف بالزوم.

3. الوقف بالإشمام.

4. الوقف بالتضعيف.

5. الوقف النقل.

6. الوقف بالحذف.

المبحث الأول: الوقف و الظواهر الصوتية المشابهة.

1 - الوقف و القطع (معنى القطع و علاقته بالوقف):

القطع في اللغة من الفعل الثلاثي المجرّد (قَطَعَ)، و "قطعه: منعه. و قطع النهر قطعاً: عبره أو شقّه. و قطع لسانه: أسكته"¹. و القطع: "فصل الشيء مدرّكاً بالبصر كالأجسام أو مدرّكاً بالبصيرة كالأشياء المعقولة"². و أمّا القطع المادي فمثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا تَكَلَّامِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾³. و هو قطع حقيقي لجزء اليدين من الجسد. و أمّا القطع المعنوي فكقوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁴. و المعنى: "قطع آخرهم، و استئصلهم بالكلية"⁵.

و القطع في اللغة يأتي مقابلاً لمعنى الوصل. فالقطع فصل و الوصل جمع، و قد جاء الوصل و القطع في القرآن في معنيين متقابلان في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁶.

أمّا في الاصطلاح فالقطع مصطلح قريب من (السكت) و (الوقف). و حدّه "قطع القراءة رأساً فهو كالانتهاء، و القارئ به كالمعرض عن القراءة و المنتقل إلى حالة أخرى غيرها"⁷. فهو ترك لفعل القراءة و قطع لها لها في موضع لا يحسن القطع فيه، و هو على رؤوس الآي، أي بدايتها، و بذلك قال الأشموني⁸. و الظاهر من التعريف أنّ القطع فعل مذموم إن لم يكن في موضعه، إذ لا بدّ أن يكون قطع القراءة على كلمة قرآنية و أن تكون هذه الكلمة رأس آية، فلا يصحّ القطع وسط الآية، فمثلاً لا يصحّ عن الإمام أن يقرأ و في وسط الآية يسكت أو يركع، بل عليه الإتمام على نهاية الآية و قطع القراءة.

و قطع الآية قبل نهايتها مذموم، من ذلك ما أورده السيوطي (ت 911هـ): "أخرج سعيد بن منصور في سننه، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي سنان، عن أبي الهذيل (تابعي كبير)، أنّه قال: كانوا (أي الصحابة) يكرهون أن يقرؤوا بعض الآية و يدعوا بعضها"، ذلك أنّ رؤوس الآي تكون تابعة لمطلعها تركيبياً و دلالياً في أغلب الأحيان.

¹ . الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة: (ق ط ع).

² . الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة: (ق ط ع).

³ . المائدة/38.

⁴ . الأنعام/45.

⁵ . أبو القاسم بن جزى الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، تح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م، ص: 270.

⁶ . البقرة/27.

⁷ . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 252.

⁸ . الأشموني، منار الهدى، ص: 08.

و نستطيع من خلال ما ذكر سابقا أن نسجل مجموعة من الملاحظات:

أ. القطع فعل أدائي يتضمّن قطع القراءة بنية عدم الاستئناف و إيذانا بانتهاء القراءة.
ب. يشترط في القطع أن يكون على رؤوس الآي. فلا يوقف على في وسط الآية لأنها مقاطع متعلقة ببعضها البعض.

ت. قد يؤدي قطع الآية قبل تمامها إلى فساد المعنى و عدم اكتمال المبنى، من ذلك أن يقطع القارئ القول على: (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ) في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾¹، لأن ذلك سيقرب المعنى كلياً، و بعد أن كان الويل للساھين المضیعین لصلاتهم، أصبح الويل للمصلين. و كذلك قطع الآية عند (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكُمْ نُوعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾². فالحكم لمن يتظاهر عن زوجته ان يحرر رقبة قبل مراجعة زوجته، و "كان الظهار عند الجاهلية طلاقاً، فأرخص الله لهذه الأمة و جعل فيه كفارة، و لم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم"³، و عليه فمراجعة الزوج لزوجته التي ظاهرها مشروط بتحرير الرقبة أولاً، و القطع على (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) يوهم المستمع أن هذا الشرط غير محدد أو مقترن بزمن، فتكون المراجعة قبل تحرير الرقبة، ولذلك كان لازماً أن يستكمل المعنى من الآية (مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا).

ث. يكون القطع في كثير من الآيات غير مؤثر على الدلالة حتى و غن كان ذلك وسط الآية، و لكن يبقى قطع الآية قبل نهايتها، بإرادة القارئ، أمراً مذموماً. ذلك أن القرآن كلام الله و يجب أن يعامل باحترام فلا يُقطع حتى يكتمل. و في هذا السياق أورد الزركشي (ت794 هـ): "و يُكره قطع القرآن لمكاملة الناس. و روى البخاري: كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه"⁴.

ج. يلتقي القطع مع الوقف في كونهما يمثلان قطع الصوت عن الكلمة، و لكن يكون الوقف بنية الاستئناف فيكون الابتداء مرافقاً له، و يكون القطع بنية ترك العملية النطقية فلا يكون بعده ابتداءً. و يشترط في كليهما أن يكونا في الموضع المناسب الذي يحترم المعطي التركيبي و الدلالي للجملة المنطوقة.

ح. يمكن الوقف أن يكون وسط الآية إذا لم يكن هناك تعلق لفظي و معنوي للموقوف عليه بما يليه، و لا يمكن القطع في هكذا موضع لأنه مرتبط بنهاية (رأس) الآية.

¹. الماعون/4، 5.

². المجادلة/03.

³. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص:37.

⁴. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص:506.

2 - الوقف و السكت:

أ. معنى السكت وعلاقته بالوقف:

السكت في اللغة "الفصل بين نعمتين بلا تنفس، و أسكن، انقطع كلامه فلم يتكلم"¹. وقال الأصفهاني: "السكوت مختص بترك الكلام، و رجل سكيت و ساكوت كثير السكوت"². و استعملت الكلمة في القرآن من باب الاستعارة للدلالة على السكون و الهدوء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ فِي نُسْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾³.

أما في الإصطلاح فقد وصفه السيوطي (ت911هـ) بـ "قطع الصوت عن الكلمة زمنًا هو دون زمن الوقف و عادة من غير تنفس"⁴. و بيد أن المصطلح كان ملتبسًا على البعض من المتقدمين، إذ أورد الأشموني في الموضوع قائلاً: "و الوقف و القطع و السكت بمعنى واحد، و قيل: القطع عبارة قطع القراءة رأسًا، و السكت عبارة عن قطع الصوت زمنًا ما دون زمن الوقف من غير تنفس"⁵، و يوضح السيوطي موقف المتقدمين منها: "الوقف و القطع و السكت عبارات يطلقها المتقدمون غالبًا مرادًا بها الوقف، و المتأخرون فرقوا"⁶، و لكنه يواصل كلامه بتقديم معاني لكل مصطلح. فيبدو ممًا سبق أن البعض إلتبس عليه التفريق بين المصطلحات فاستعملها بمعنى واحد. و لكن المتبع لكتب القراءات سيجد أن الفرق بينها واضح.

و في التفريق بين السكت و الوقف أورد صاحب (المنح الفكرية) أنّ "الوقف هو قطع الصوت عند آخر الكلمة مقدار زمن التنفس، و السكت قطع الصوت زمنًا أقصر من زمن التنفس"⁷، فلظاهر أن الفيصل بين الوقف و السكت هو زمن التطبيق أو زمن قطع الصوت.

و خلاصة ما سبق ذكره أن بين الوقف و السكت تقارنًا كبيرًا مع وجود إختلافات منعت تطابقيهما و صنعت الفرق بينهما، نجمل ذلك في النقاط الآتية:

1 - الوقف و السكت ظاهرتان أدائيتان في اللغة.

2 - لاقت الظاهرتان إهتمامًا كبيرًا في علم التجويد لما لهما من عظيم الفائدة في تحصيل المعني.

¹. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (س ك ت)، ص: 785.

². الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة سكت، ص: 178.

³. الأعراف/ 154.

⁴. السيوطي، الإيقان في علوم القرآن، ص: 252.

⁵. الأشموني، منار الهدى، ص: 8.

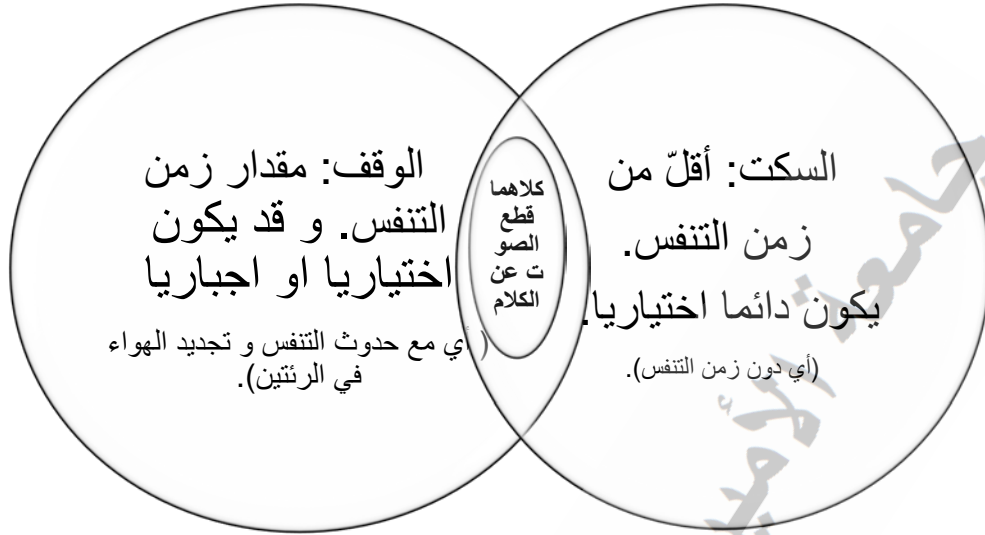
⁶. السيوطي، الإيقان في علوم القرآن، ص: 252.

⁷. الملا القاري، المنح الفكرية، ص: 263.

- 3 - تتعلق الظاهرتان بقطع الصوت عند آخر الكلمة، مع إختلاف في زمن القطع، حيث يكون في الوقف زمنًا مناسبًا للتنفس، و يكون في السكت أقصر من ذلك فزمن السكت أقل من زمن الوقف.
- 4 - من التعريف يتضح أن الوقف فرصة لتجديد النفس أما السكت فلا يكون مع التنفس.
- 5 - الوقف قد يكون اضطراريًا متعلقًا بالمتكلم إذا انقطع منه النفس، أما السكت فلا يكون إلا إختياريًا لعدم تعلقه بالنفس (أي يتعلق بالمنطوق لا بالناطق) .
- 6 - لا يقع كل من الوقف و السكت في وسط الكلمة و لا فيما إتصل رسمًا في القرآن الكريم مع استثناء أن السكت قد يكون وسط الكلمة إذا تعلق الأمر بالسكت على الساكن الذي يسبق الهمزة¹. و تجدر الإشارة إلى أن السكت مقيد بالسمع و النقل، و لا يجوز إلا في المواضع التي صحت روايتها لمعنى مقصود بذاته، مع جوازه على رؤوس الآي مطلقًا حال الوصل لقصد البيان².
- 7 - تقع ظاهرتا الوقف و السكتُ مقابلةً لظاهرة الوصل التي تعني الربط بين العناصر المنطوقة. و لذلك يدخل الوقف و السكت تحت معنى الفصل لمقابلة الوصل، فهما تمثلان الطرف الأول من ثنائية فصل/وصل.

¹ . ينظر:الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 85.

² . ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص: 72، و الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 88.



فصل

و نكتب: الفصل مقابل الوصل.

فصل / وصل }
وقف / وصل }
سكت / وصل }

مخطط علاقة الوقف و السكت

با. أنواع السكت و وظائفه:

تتعلق وظيفة السكت بالنوع، لهذا آثر ت أن أبين كل نوعٍ متبوعًا بوظيفته، مقدمًا أمثلة عن ذلك من ربع القرآن محل الدراسة:

1) السكت على الساكن قبل الهمز:

و فيه يُسكتُ على الساكن الذي يسبق همزة، و قد رُوي هذا النوع عن حمزة الكوفي¹ في روايته: خلف وخالاد، كما رُوي عن حفص عن طريق عُبيد.

¹. ينظر: ابن الجزري، النشر، ج1، ص: 71، 72.

و مضمون هذا النوع من السكت أن يسكت " على الساكن قبل الهمز و الياء من (شيء) و (شيئًا) . و علة ذلك: " الاستعانة على إخراج الهمزة لصعوبتها وَ بُعْدِ مَخْرَجِهَا"¹.

و أورد ابن الجزري في كتابه (النشر في القراءات العشر) بابًا أسماه (باب السكت قبل الهمز و غيره) يبيّن فيه مواضع السكت في القرآن حسب أنواعها نقلاً عن رواها . و يعدّ حمزة أكثر المهتمين بالسكت قبل الهمزة، و له من الفوائد النطقية ما يبرّر له ذلك، حيث يسكت حمزة على الساكن الذي قبل الهمزة سكتاً قصيراً قبل النطق بالهمزة " و العلة الصوتية التي من أجلها يتم هذا السكت هو تحقيق النبر للمقطع المتواليين. و لا يحسن تجاوز النظر في هذه المسألة لأنّ المتأمل في حقيقة السكت يفضي إلى ما قلناه، و هو أنّه لولا وجود السكت لكان من الصعب تحقيق نبر المقطعين معاً، على النحو الذي يكون عليه النبر، عند تحقيق السكت.² " تسهيلاً للنطق و حفاظاً على استمراريته وفق دفعات منظمة.

و المعروف على الهمزة أنّها صوت مجهور شديد عميق المخرج ضعيف النطق، فقد وصفها اللغوي ابن جني بأنها "حرف سَقَلٌ في الحلق، و بُعْدٌ عن الحروف، و حَصَلَ طرفاً، فكان النطق به تكلفاً"³. فكان السكت على ما قبلها تخفيفاً على المتكلم ليسهل عليه النطق بها و أمثلة ذلك:

- قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ (٨٠) ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١) ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿فَسَبَّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) .⁴

في الآيات عدة مواضع للسكت، إذ سكت على (الأخضر) و (الأرض) و (شيئًا) و (شيء).

- قال تعالى: "زَفِيْعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ"⁵.
يوقف على نون (مِنْ) لأنها متبوعة بهمزة في قوله (مِنْ أَمْرِهِ).

¹ . محمد ابن عبد الجليل روزن، وقف البيان في القرآن، مقال، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، س9، ع 13، ص: 96.

² . سمير شريف أستينية، القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2004م، ص: 134.

³ . ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح حسن هندواوي، دار القلم، دمشق، 1، 1985، ج1، ص: 71.

⁴ . يس/ 80، 83.

⁵ . غافر/15.

2) السكت بين السورتين:

ذكر هذا النوع من السكت أبو عمرو الداني (ت 444 هـ) في كتابه (التيسير في القراءات) و نسبه إلى أبي عمرو ابن العلاء و ابن عامر الدمشقي¹. و علة هذا السكت "الإيدان بانقضاء السورة و ابتداء التي تليها"². على إعتبار أن البسمة ليست آية و لا يقرؤها بين السور.

3) السكت البياني:

انفرد حفص بذكر هذا النوع من السكت في أربعة مواضع من القرآن الكريم ثلاثة منها في ريع يس. و هذا النوع من السكت قريب إلى الوقف من حيث أهميته. و قد جمع الإمام الشاطبي (ت 590 هـ) هذه المواضع في بيتين شعريين³:

وسكته حفص دون قطعٍ لطيفةً على أَلِفِ التنوين في عَوْجاً بلا
و في نونٍ (من راقٍ)، و (مرقدنا)، و لا م (بل ران)، و الباقون لاسكت مؤصلاً
و وظيفة السكت في هذه المواضع نوعان "في بعضها بيان المعنى و في بعضها بيان اللفظ".
و فيما يلي تفصيل ذلك:

* بيان المعنى: و يقصد به أن ترك السكن فيه قد يؤدي إلى التباس المعنى: و كان ذلك في موضعين:

الأول: في قوله تعالى: "عَوْجاً" من مطلع الكهف .

الثاني: السكت على (مرقدنا) من قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَيَوِّلُّنَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾⁴.

يجوز في الآية الوصل على (مرقدنا) و لكن الوقف أولى لأنّ جملة (من بعثنا من مرقدنا) جملة استفهامية تامة يجوز الوقف عليها. فإن وصل القارئ و قرأ (من مرقدنا هذا) لأوهم بالوصل أنّ (هذا) تابعة لكلام المشركين و تُعربُ بذلك بدلاً لمرقدنا فيكون المعنى: من بعثنا من مرقدنا هذا؟. و الحقيقة أن كلام المشركين انتهى في مرقدنا (قالوا يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا) و عليه كان الوقف أولى.

¹ . ينظر: الداني، التيسير في القراءات السبع، تح حاتم صالح الضامن، مكتبة الصحابة، الشارقة، دت، ص: 43-44.

² . محمد ابن عبد الجليل روزن، وقف البيان في القرآن، ص 255.

³ . من منظومة الشاطبي، كتاب اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، أبو عبد الله الفاسي، تح عبد الله عبد المجيد نمكاني، مكة، 1999م.

⁴ . يس/ 52.

و قد "قرأ حفص بالسكت على ألف (مرقدنا) سكتة خفيفة من غير تنفس" ¹. و لو قرأ الواقف على (هذا) بالابتداء على (ما وعد) لكان ابتداءً خاطئاً يقلب معنى الآية كلية، فتكون الآية (ما وعد الرحمن) بمعنى نكران وعده تعالى كلف الرسل بتبليغه و ذلك بتغيير وظيفة (ما) من اسم موصول حال الوقف على (مرقدنا) و الابتداء بـ (هذا) إلى ما النافية للفعل وَعَدَ.

و أشار السجاوندي إلى أنّ الوقف لازم على مرقدنا "لئلاً يصير قوله (هذا) صفة للمرقد، فيبقى (ما وعد الرحمن) بلا مبتدأ" ².

و تكون خلاصة الوصل مكان الوقف و الوقف مكان الوصل في (مرقدنا هذا) تغيير المعنى و خلط السلسلة الكلامية و بالتالي تحريف و تشويه المعنى.

قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟.

هذا: مبتدأ.

ما: اسم موصول.

وعد الرحمن: صلة موصول لا محل لها من الإعراب.

و بذلك تتجلى أهمية الوقف الصحيح في هذه الآية، و المتمثلة في:

- تبيان معنى الآية في تأسف المنكرين ليوم البعث عند بعثهم من قبورهم (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا)، وبيان أن ذلك و عد الله و إنذار الرسل لهم (هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون).

- الفصل بين قول الله تعالى و المشركين، من باب تجنّب المغالطات، و هذا ما أشار إليه الزركشي (ت) 794 هـ) عن الوقف: "و به تتبين معاني الآيات، و يؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات" ³.

- الحيلولة دون الوقوع في خطأ قلب معنى الآية بنكران وعد الله حين الوقف على (هذا) و الابتداء بـ (ما وعد الرحمن).

فلو قرأنا بالوصل لألبس أن يكون (هذا) صفة (لمرقدنا) لأن أسماء الإشارة يوصف بها، فيتناقض الكلام ويختل.

¹. السجاوندي، الوقف و الابتداء، ص: 358.

². عبد الفتاح القاضي، البذور الزاهرة، ص: 331.

³. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص: 342.

* بيان اللفظ: و هو موضعان، و كلاهما في ربع يس.

الأول: قال تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾¹

قرأ حفص بالسكت عن (من راق) و قرأ الباقون بالإدغام مع الوصل². فالقراءة بالوصل لا بالسكت على (من) توجب إدغام النون في الراء و يصبح اللفظ صوتي الشكل، مَرَّاق، فيذهب ذلك اللفظان و يصبحا لفظا واحداً مع ضياع النون في (من).

لهذا قرأ حفص بالسكت على (من) فصلاً لها عن (راق) حفاظاً على بنية اللفظين، و نلاحظ أن القراءة بالوصل لا تذهب المعنى، و لكنها تذهب بنية اللفظ الذي قد يتحوّل مع الوقت إلى ذهاب في المعنى. و البنية اللفظية أساسية في القرآن و لا يجوز تضييع أي جزء منها.

الثاني: قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾³.

بوضع سكت على لام (بل) و "اتفق القراء على إدغام اللام في الراء، لقرئها منها في المخرج إلا ما رواه حفص عن عاصم من وقوفه على اللام و قفة خفيفة ثم يتدئ (ران على قلوبهم) ليعلم بانفصال اللام من الراء"⁴.

فلو قرأنا دون سكت لأدغمت اللام في الراء و لظهر للمستمع أنّ (بل ران) لفظ واحد صوتياً: (بران). ورغم أن هذا الوصل لا يغيّر المستوى الدلالي للكلمة، إلا أنه غيّر البنية الصوتية و التركيبية، و هذا مردود خاصة في القرآن. أمّا القراءة بسكتة خفيفة فتفصل (بل) عن (ران) و تحافظ على جميع مستوياتها سالماً. لقد لاحظنا من خلال ما سبق أنّ وظيفة السكت متعلقة بموقعه الذي على أساسه تمّ تحديد أنواعه، و هذه الوظيفة هي:

- 1 - السكت ذو وظيفة نطقية إذا تعلق الأمر بالسكت على الساكن السابق للهمزة، و ذلك تسهيلاً على المتكلم نطق الهمزة التي تمتاز بعمق المخرج.
- 2 - السكت ذو وظيفة تمييزية، إذا تعلق الأمر بالسكت على الساكن السابق للهمزة، و ذلك تسهيلاً على المتكلم نطق الهمزة التي تمتاز بعمق المخرج.
- 3 - السكت ذو وظيفة تركيبية، إذا تعلق الأمر بالسكت على كلمة آخره قابل للإدغام في الكلمة التالية حين الوصل، و هو ما يلحم اللفظين ليصبحا لفظاً واحداً، و هذا تشوبه للبنية التركيبية.

¹. القيامة/ 27.

². ابن خالويه، الحجة في القراءات، ص: 357.

³. المطففين/ 14.

⁴. ابن خالويه، الحجة في القراءات، ص: 365.

4 - السكت ذو وظيفة دلالية، إذا تعلق الأمر بالتباس المعنى حين الوصل، ووظيفته في هذا المستوى أشبه بوظيفة الوقف الدلالية.

الوقف	السكت	القطع	
المستوى اللغوي للظاهرة	أدائية متعلقة بالمستوى الصوتي	أدائية متعلقة بالمستوى الصوتي	
الأساس الأدائي	قطع الصوت عن الكلام بنية الاستئناف	قطع الصوت عن الكلام بنية الانتهاء و الترك	
الزمن الأدائي	مقدار زمن التنفس	أقل من زمن التنفس	زمن مفتوح
السبب	اضطراري (ضيق النفس)	اختياري (تعليم - توضيح)	اختياري (عزم القارئ على ترك القراءة)
الوظيفة	فسيولوجية (جسمية)	تركيبة دلالية - تفسيرية	نطقية أدائية
الأهداف	تجديد الهواء في الرئتين و استراحة القارئ	الحفاظ على البنية التركيبية للآيات و بالتالي البنية الدلالية	تسهيل نطق الهمزة المسبوقة بساكن
الموضع	- في نهاية آي كلمة، مع شرط الابتداء المناسب	- في الموضوع الذي يتحقق فيه اكتمال المبنى و المعنى	- بيان اللفظ عند التباس النطق. - بيان المعنى عن الالتباس التركيبي. - افصل بين الوحدات (السور).
			- اختيار الموضوع المناسب لقطع الفعل الأدائي بما يناسب التركيب و الدلالة.
			- في أربعة مواضع من القرآن سبق ذكرها في محلها.
			على رؤوس الآي.
			- في الحرف الساكن الذي يبق الهمزة.

المبحث الثاني: أهمية الوقف على الفواصل:

• آثرت أن أبدأ الحديث في هذا المبحث بما أورده الزركشي (ت 794 هـ) نقلاً عن الجعبري في طريقة تحديد الفواصل قوله: "المعرفة الفواصل طريقان: توقيفي وقياسي. فالأول التوقيفي، روي أبو داود عن أم سلمة: لما سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ قالت: كان يقطع قراءته آية آية... أي يقف على كل آية، وإنما كانت قراءته كذلك ليعلم رؤوس الآي. فما وقف عليه ﷺ دائماً تحققتنا أنه فاصلة، وما وصله دائماً تحققتنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريفهما، أو لتعريف الوقف التام، أو الإستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها"¹.

و أما القياسي فلا يهمننا في هذا المبحث.

و الظاهر من هذا الكلام أنّ الوقف على الفواصل هو طريقة لمعرفة مواضعها. ثم إن وقف الرسول ﷺ على رؤوس الآي قاد الناس إلى القول بسنية الوقف. و قال الجعبري أن "هذا وهّمٌ لأنه فعله عليه السلام إن كان تعبدًا فهو مشروعٌ لنا، وإن كان لغيره فلا"²، و "تعقب الجعبري في كتاب (الاهتداء الإستدلال بهذا الحديث على سنية وقف الفواصل، بأنه لا دلالة فيه على ذلك، لأنه إنما قصد به إعلام الفواصل، قال: و جهل قومٌ هذا المعنى فسمّوه وقف السنة، لا يُسنّ إلا ما فعله تعبدًا"³ انتهى قول الجعبري، و أضاف القسطلاني (ت 923 هـ) شارحًا: "أي وقف البيان" و القصد من كلام الجعبري أنه إن كان ﷺ يقف فعلاً على رؤوس الآي فإن ذلك لا يدخل في السنة لأنه ليس من العبادة، والواضح أنه ﷺ كان يقف على رؤوس الآي حتى يوضحهما للناس، و قد أورد القسطلاني رأياً للتربشي (ت 600 هـ) أراه أقرب للصواب: "... لا ريب أنه ﷺ كان أفصح الناس لهجة، فالأظهر أنه عليه السلام إنما كان يقف ليبين للمستمعين رؤوس الآي، و لو لم يكن لهذا لما وقف على (العالمين)، و لا (الرحيم)، لما في الوقف عليهما من قطع الصفة عن الموصوف"⁴. ذلك أنه ﷺ أخذ الوحي والعلم عن الله الذي لا تخفي عليه خافية. قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾⁵. و علمه الكتاب المبارك الذي لا عوج فيه: قال تعالى: ﴿فَرَأَى أَنْ أَعْرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾⁶.

¹ . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 134.

² . السابق، ص: 134.

³ . القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، ج1، تح عبد الصبور شاهين، مطابع الأهرام، 1972، ص: 253.

⁴ . السابق، ص: 254.

⁵ . النجم/05.

⁶ . الزمر/28.

و خلاصة القول من كل ما سبق أن الوقف على فواصل الآي مروي عن النبي ﷺ و لم يكن ذلك إلا توضيحاً للناس حتى يعرفوا حُدود كل آية. فالوقف، و الحال هذه، شرط في تحديد مواضع الفواصل و قد يقودنا ذلك إلى القول بأن الوقف من أجل بيان الفواصل نوع خاص من الفصل لا يتعلق بالبنية التركيبية و الدلالية فحسب، و "لا بد من تعيين هذا الفصل بوقف يسمى بوقف الفاصلة، أو وقف البيان أي بيان الفواصل وإظهارها"¹. فالفائدة الأولى المحصلة من الوقف على الفواصل التي تعتبر وحدات أساسية في بناء السور القرآنية.

• الفواصل من الملامح الصوتية المميزة للقرآن الكريم، فلا أثر لها في الأجناس التعبيرية التي عرفها الإنسان شعراً و نثراً و الوقف عليها من هذا المنطلق تأكيد للملمح و توضيح له، و تقديس للنص القرآني عن باقي النصوص يقول الزركشي (ت 794 هـ): "وتقع الفاصلة عند الإستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، و هي الطريقة التي يباين بها القرآن سائر الكلام"². فالفواصل ميزة القرآن و الوقف إثبات الفواصل.

• ترتيل القرآن، فريضة دينية لقوله تعالى: ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَقِلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾³. و قد "سئل على بن أبي طالب عن هذه الآية، فقال: الترتيل هو تجويد الحروف، و معرفة الوقوف"⁴. فترتيل القرآن مبني على أساسين: الأول أن تجويد الحروف فتخرج من مخارجها و تُعطي صفاتها اللازمة (الثابتة و العارضة) دون إسراع و لا إدخال لها في بعضها، و كل ذلك يأتي بالدراية و التمهّل، و الثاني أن يفصل بين مقاطع الآيات فصلاً يحترم المبني و يخدم المعنى و كل ذلك لتحقيق الإيضاح و البيان. و قد روى السلف في شروط ترتيل القرآن أن: "تلبث في قرائته، وتفصل الحرف من الحرف الذي بعده، و لا تستعجل فتدخل بعض الحروف في بعض، فالترتيل هو الترسل، وهو المكث، و هو ضد العجلة"⁵. و قد وردت غير رواية عن صفة قراءة النبي ﷺ للقرآن، منها أنه كان يقرأ "حرفاً حرفاً و آيةً آيةً، بترسّل و ترتيل و تقطيع"⁶. و الروايات الدالة على ذلك متوفرة مضامها و شرح الهمداني هذه الصفات فقال: "أما الترسل فإنه تفعل من السئل و هو السهل السريع، و أما التقطيع فإنه تفعيل من القطع و هو الفصل"⁷.

1. مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: 89.

2. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 93.

3. المزمل/04.

4. ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص: 13.

5. السابق، ص: 13.

6. الهمداني، التمهيد في معرفة التجويد، ص: 122.

7. السابق، ص: 151.

فالمتفق عليه من ذلك أن النبي ﷺ كان يقرأ القرآن بحدوء وتمهل، و يعطي لكل حرف حقه من النطق، ويقطع قراءته إلى كلمات و جمل و يقف على رؤوس الآي و ما ذلك إلا لتحقيق لهدف قراءة القرآن و هو الإبان و تمييز الألفاظ و التراكيب لتمييز المعاني، و تسهيلها على الأذان لتسهيل و صولها إلى الأذهان، و لا أقرب للإستدلال على ذلك من قوله تعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥٠﴾ وَفَرَأْنَا أَنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٦٦﴾﴾¹.

فالفائدة الثانية المحصلة من الوقف على الفواصل هو تقطيع النطق و تحقيق القول . لفرز الألفاظ و التراكيب في الأسماع لتحصيل الفهم في الأذهان، و الفائدة هذه متعلقة بتحقيق النطق السليم الذي يقود إلى السمع السليم فالوقف هنا وسيلة للراحة الجسمية للمتكلم، و السمعية للمستمع، و محافظة على السيرورة النطقية المنظمة للعملية الكلامية.

• قال صاحب البرهان: "إنّ مبنى الفواصل على الوقف، و لهذا شاع مقابلة المرفوع بالجرور و بالعكس، وكذا المفتوح و المنصوب غير المنون"². يشير الزركشي (ت794 هـ) في حديثه عن مبنى الفواصل إلى أهمية الوقف عليها، من مبدأ صوتي شائع في اللغة العربية. فحوّاه أن العربية لا تبدأ بساكن و لا تقف على متحرك. إنّ هذا الوقف بالسكون على أواخر الآيات يعطي مجالاً لوضوح الأجراس الصوتية في أواخرها و تشابهاها. و قد تطرقتنا للتسكين في الفواصل في جزء سابق من الدراسة، و ما نريد أن نلفت الإنتباه إليه في هذا الموضع هو البعد الإيقاعي للوقف على الفواصل، الذي يبرر المنظومة الصوتية البديعة في فواصل القرآن الكريم من تشابه الأصوات و القوالب الصوتية.

• من مظاهر المنظومة الصوتية للفواصل القرآنية إنتهاؤها بأصوات ترنمية. و الوقف على الفواصل من هذا المنطلق يتيح للقارئ و المستمع على السواء التلذذ بالنص القرآني من خلال الفواصل الترنمية، يقول الزركشي (ت794 هـ): "قد كثر في القرآن كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المدّ و اللين و إلحاق النون. و حكمته وجود التمكن من التطريب بذلك"³. و عادة الترنم قديمة عند العرب سجّلها شعرهم في إلحاقهم أصوات المدّ في القوافي الشعرية قصد تطويل الصوت و التغني به، و من حبّ العرب للترنم و التغني بالأشعار إهتمامهم بالقوافي في تناسبها و جمالها، و في ذلك يورد ابن جني: "ألا ترى أن العناية في الشعر إنما هي بالقوافي لأنها المقاطع، و في السجع كمثل ذلك، و آخر السجع و القافية أشرف عندهم من أولها، و العناية بها أمسّ، و الحشد عليها أوفى

¹. الإسراء/105-106.

². الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 105.

³. السابق، ص: 107.

وأهم¹، بل إن العرب وجدوا في القرآن من الحلاوة الصوتية ما لم يجدوه في شعرهم، فقد "جاء القرآن على أعذب صوت، و أسهل موقف²".

● تميّزت الآيات القرآنية في كثير من مواضعها بنوع من الانسجام في طول الآيات و بناءها الصوتي، مما يجعل نطق الآيات مقسمًا إلى مقاطع تنفسية متقاربة تحمل توقيتًا زمنيًا بديعًا يبني على عمليتي التكرار و التوازي؛ "التكرار ببناءات تركيبية متوازنة و بناءات صرفية متناسبة قابلة أن تُحرق، مع تكرار هذا الحرق و تكرار أصوات متماثلة و-أو متقاربة، و تكرار للوقوف مع نوع من التساوي في الوحدات التنفسية"³، و بالعموم تكرارًا للأوزان و للطول المتقارب للآيات. و ليس ذلك بجديد على الذائقة العربية، فقد عرف عند العرب منذ القديم، من ذلك ما وصفه حازم القرطاجني في اختيار الألفاظ لحسن ر صرف المباني و المعاني في شعر العرب إذ يقول: "من ذلك حسن التأليف و تلاؤمه ... ومنها أن تتناسب بعض صفاتها (المواد اللفظية) مثل أن تكون إحداها مشتقة من الأخرى مع تغاير المعنيين من جهة أو جهات، أو تماثل أوزان الكلم، أو تتوازن مقاطعها"⁴، تحقيقًا للتسهيل في النطق و تركًا للتكلف فيها.

أمثلة ذلك في القرآن كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَالْعَدِيدِ صُبْحًا ۝۱ فَأَلْمُورِيكِ قَدْحًا ۝۲ فَأَلْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝۳ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝۴ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝۵﴾⁵. و قوله أيضا: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝۱ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝۲ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝۳ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝۴ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝۵ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝۶ فَسَنِيسِرُّهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝۷ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝۸ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝۹ فَسَنِيسِرُّهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝۱۰﴾⁶. تعرف هذه الظاهرة في النقد الأدبي القديم بالازدواج الذي يعني في الكلام "تزاوج أشبه بعضه ببعض في السجع أو الوزن أو كان لإحدى القضيتين تعلق بالأخرى"⁷، فالظاهر أنه ملمح يتعلق بالصوت و بالمبنى. و ذكره العسكري في (الصناعتين) مقترنًا بالسجع، فقال: "لا يحسن منشور الكلام و لا يخلو حتى يكون مزدوجًا، و لا تكاد تجد لبلوغ كلامًا يخلو من الازدواج، و لو استغنى كلام عن الازدواج لكان

1. ابن جني، الخصائص، ج1، ص: 75.

2. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 107.

3. مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة، ص: 89.

4. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء سراج الأدباء، تح محمد الحبيب ابن الخوجي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1986، ص: 62.

5. العاديات/01، 02، 03، 04، 05.

6. الليل/01، 10.

7. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ز و ج).

القرآن؛ لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق، و قد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات عن ما تزوج في الفواصل منه"¹.

و الناظر في كلام العسكري سيدرك أنه يقصد بالازدواج، رغم أنه لم يعرفه، التقابل الصوتي الحاصل من خلال تشابه البنيات الصرفية و النهايات الصوتية و الكم المقطعي، إضافة إلى التقابل المعنوي الحاصل في الطباق والمقابلة. فالازدواج بهذا المعنى يكون ضرباً صعب المنال في النشر، لا يطيقه بشر مهما أوتي من البلاغة، و ذلك لما منح فواصل الآيات القرآنية من "التلاؤم الحادث بينها و بين الألفاظ في الآيات، و التناسب بينها و بين الفواصل المتجانسة معها، مع شرف المقاصد و المعاني المطلوبة"².

• صحيح أن الوقف الفواصل بلفت الانتباه بشكل كبير إلى البنية الصوتية للفواصل، و لكن في الجانب الدلالي أيضاً دون أثر كبير. فالفواصل لا تنبني على الأساس الصوتي فقط، بل هي أبعد من ذلك متعلقة بمعنى الآية، ف"القرآن يختار الفاصلة بدقة معينة تدل على إعجاز بياني، فهي من جهة الدلالة تتوافق مع مضمون الآية، و من جهة الصوت تتوافق مع الإيقاع العام للآيات السابقة و اللاحقة"³. و المطلع على أسرار اللغة و البلاغة يمكن له أن يتوقع فاصلة الآية من خلال سياقها، من ذلك ما رواه السيوطي (ت 911هـ) من "أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ (فَإِنْ زَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ) (فاعلموا أن الله غفور رحيم) و لم يكن يقرأ القرآن، فقال إن هذا كلام الله فلا يقول كذا، و مرّ بهما رجل فقال: كيف تقرأ هذه الآية: فقال الرجل (فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فقال: هكذا ينبغي، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه"⁵. و يختلف الوجه الذي الذي تتعلق به الفاصلة بآيتها بين أنواع قسّمها العلماء إلى:

1 -التمكين:

و هو أن تأتي الفاصلة مؤتلفة المعنى مع آياتها، "متعلقاً معناها بمعنى الكلام لله تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت لأحتل المعنى و اضطرب الفهم، و بحيث لو سُكِّت عنها كمله السامع بطبعه"⁶، فيكون ختام الآية لقطعة أو عبارة يأتلف معناها مع الآية و من أمثلة ذلك:

¹. أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة و الشعر، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1956م، ص: 260.

². كمال الدين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1999م، ص: 68.

³. سيد خضر، فواصل الآيات القرآنية، دراسة بلاغية دلالية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009، ص: 145.

⁴. البقرة/209.

⁵. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 764.

⁶. السابق، ص: 764.

✓ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾¹. فأنظر إلى تناسب عبارة (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) مع الآية (إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ) و كيف كانت تعبيراً عن حالهم، لأنهم "لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه العظيمة من سوء الأدب"²، فكانت الآية توبيخاً لهم و إجلالاً لقدر النبي ﷺ.

✓ قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾³. تعلقت الفاصلة في الآية بشكل كبير. ف (هُم قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) متصلة دلاليًا بقوله تعالى (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) فنتيجة النفخة أن يحدث البعث و القيام من القبور.

✓ و كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾⁴. فقارئ الآية (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) يتوقع في الفاصلة حكمً بالعذاب بالعذاب على هؤلاء فتأتي الفاصلة مناسبة لذلك بقوله (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ).

و هذا النوع من العلاقة بين الفاصلة و آياتها كثير، و فيه يتبادر إلى ذهن القارئ لفظ و معنى الفاصلة من خلال معنى الآية.

2- التصدير:

يتعلق التصدير بـ "أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية"⁵، أي لقطة الفاصلة و هو ما يقابل ردّ العجز على الصدر في الشعر الذي يعني الكلام الذي "بين صدره و عجزه رابطة لفظية غالباً، أو معنوية نادراً، تحصل بها الملاءمة و التلاحم بين قسمي كل كلام"⁶.

¹ الحجرات/4.

² أبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة (1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج 5، القاهرة، 2000، ص: 415.

³ الزمر/68.

⁴ المجادلة/05.

⁵ السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ص: 768.

⁶ ابن أبي الأصبغ، بديع القرآن، ج2، تح محمد حفني شرف، دار نضضة مصر، 1957م، ص: 36.

و من أمثلة ذلك:

➤ قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١﴾¹. فلفظة (غَفَّارًا) قد تقدم ذكرها في الآية

(اسْتَغْفِرُوا) و كلاهما من أصل واحدٍ (غَفَرَ).

➤ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٧﴾².

فالفاصلة (لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) سبق ذكر لفظ (الظَّالِمِينَ) منها في أول الآية (فَمَنْ أَظْلَمُ).

➤ قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝٨﴾³.

فلفظ الفاصلة (مُؤْمِنِينَ) تكرر خلال الآية مرتين (لَا تُؤْمِنُونَ) و (لِتُؤْمِنُوا).

3 - التوشيح:

التوشيح قريب من التصدير، و الفرق بينهما أنّ التوشيح دلالة لفظية، و التصدير دلالة معنوية؛ بمعنى أن يكون في الآية ما يدلّ على القافية و لكن معنى و ليس لفظا و أورد الباقلائي: "و من البديع عندهم (أي العرب)

التوشيح و هو أن يشهد أول البيت بقافية و أول الكلام بآخره، كقول البحترى:

فليس الذي حلّته بمحلل و ليس الذي حرّمته بحرام

و مثله في القرآن: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٣٩﴾⁴.

﴿٥١٤﴾. فمن يسمع بداية الآية يجد يجد في نفسه ما يدلّ على فاصلتها لأن الآية دلت باللفظ على ذلك.

و في ذلك نورد الأمثلة الآتية:

✓ قال تعالى: ﴿وَأَيُّ لُحْمٍ يُسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧﴾⁶.

و لفظ (مُظْلِمُونَ) في الفاصلة دلّت عليه معاني الآية و هو سلخ النهار من الليل، يقول صاحب بديع القرآن:

"فإنّ من كان حافظا لهذه السورة متفطنا إلى أنّ المقاطع أيها النون المردفة، و سمع في صدر الآية انسلاخ النهار

1. نوح/10.

2. الصف/07.

3. الحديد/08.

4. المائدة/39.

5. الباقلائي، إعجاز القرآن، ص:92.

6. يس/37.

من الليل، علم أنّ الفاصلة تكون (مُظْلِمُونَ)، لأنّ من انسلخ النهار عن ليله أظلم¹، فيدخل في الظلمات مادام الحال حال انسلاخ النهار من الليل.

✓ وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسِهِمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝﴾².

فإنّ (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) لا تدلّ على أنّ الفاصلة هي (فَتْحًا قَرِيبًا) باللفظ، فاللفظ مختلف. ولكن دلت الآية على فاصلتها بالمعنى، فتصديق الله تعالى رؤي النبي محمد ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بدخول مكة، وترجم على أرض الواقع فكان (فَتْحًا قَرِيبًا) من الله. وكل قارئ للجزء الأول من الآية يجد ذهنه معلقاً بآخرها حتى يدرك كيف صدق الله الرؤيا، و رؤيا الأنبياء حق. والله أصدق القائلين وجاءت الآية 15 ردّاً على الفتنة التي أوقعها المنافقون بقولهم: والله ما حلّقنا ولا قصّرنا، فكانت الآية ردّاً لهم³.

وما كان للفواصل أن تؤدّي هذه الوظائف الدلالية إلا باعتبار الوقف عليها. فالوقف هنا مؤدّي معنوي ذو أبعاد بلاغية كبيرة تتعلّق بالتناسب اللفظي والمعنوي بين الآيات وفواصلها.

نخلص من حديثنا عن أهمية الوقف على الفواصل هو:

1. للوقف على الفواصل وظيفة فيسيولوجية تتمثل في تنظيم العملية النطقية، و تسهيلها على جهاز النطق حفاظاً على استمرارية النطق و سلاسته.
2. للوقف على الفواصل وظيفة أدائية تتمثل من تحقيق الترتيب و التمهل المطلوبين في أداء النص القرآني باعتباره نصّاً مقدّساً.
3. يحقّق الوقف على الفواصل توزيعاً فيزيائياً منتظماً للقطع اللغوية التي تتوزّع في أحياء زمنية متقاربة النبض.
4. يساعد الوقف على الفواصل في إبراز و استثمار البعد الإيقاعي في القرن من خلال وحدات نظامه الإيقاعي المتمثلة في تشابه الأصوات و الأوزان.
5. يوضّح الوقف على الفواصل العلاقة المتينة بين الآيات و فواصلها، سواء أكانت علائق لفظية أو معنوية.
6. يسمح الوقف على الفواصل في إظهار البعد الدلالي للفواصل و المتمثل في إكمال معنى الآية بالتعقيب أو التوضيح أو التأكيد.

¹. ابن أبي الأصبغ، بديع القرآن، ج2، ص: 91.

². الفتح/ 27.

³. ينظر: أبو العباس الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح احمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، 2000م، ص: 405، 406.

و إذا سلّمنا بصحة حديث أم مسلمة المشار إليه سابقا فسيكون الوقف على الفواصل سنة يجب العمل بها، و بغض النظر عن البعد الجزائري لذلك، فإنه ما سنّ شيء إلا و هو الأصحّ و الأنفع . فيكون حينها الوقف على الفواصل ذا منفعة علمية و دينية.

الجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: أوجه الوقف على الفواصل:

إذا كان الوقف على الفواصل ملمحاً أدائياً صوتياً متعلق بكل المستويات الصوتية و الدلالية و التركيبية، و له من الأهمية أعظمها، فإن طريقة الوقف على الفواصل تأخذ الحيز الأكبر من هذه الأهمية، و قد انتبه القراء إلى ذلك منذ العصر الأول لظهور الدراسات و القراءات التي عملت على حفظ النص القرآني و ضمان حسن ترتيله، فأفردوا للوقف مصنفات و جعلوا للوقف على الفواصل حصة تُبين عن أهميته. و الوقف على الفواصل أوجه جمعها الداني(ت444 هـ) في قوله: " اعلموا أن التجويد لا يتمكّن و التحقيق لا يتحصّل إلا بمعرفة حقيقة النطق بالمتحرّك، والمسكّن، و المختلس، و المرام، و المشم، و المهموز، و المسهل، و المحقق و المشدّد، و المخفف، و الممدود، و المقصور، و المبين، و المعجم، و المخفي، و المفتوح، و الممال " ¹. لذلك كان من الضروري أن يفصل في هذه الحالات من الوقوف ليتعلمها القارئ و يحيط بها و يتقنها، تقويماً للسان و حفاظاً على القرآن من اللحن.

1. الوقف بالإسكان:

الإسكان في اللغة من الفعل سكن بمعنى "قرّ" ². ومنه السكون، بمعنى " ثبوت الشيء بعد تحركه " ³. و منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ ⁴، وقوله: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ ⁵، وقوله: ﴿أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ⁶.

أما في الاصطلاح، فهي ظاهرة صوتية استمدت تسميتها من اسم السكون، و تستدعي تسكين أواخر الفواصل حتى "لا تظهر الحركات الإعرابية على أواخر كلمات الفواصل، ممّا يوفر للفواصل تماثلاً صوتية فيما تختلف الحركات الإعرابية، و لو ظهرت الحركات الإعرابية في بعض المواضع لما توفّر تناسب إيقاعي" ⁷. و يتحقّق الإسكان بإسقاط الحركات عن الأواخر، قال الداني(ت 444 هـ) "أما المسكّن من الحروف فحقه أن يُحلى من الحركات الثلاث و من بعضهن، من غير وقفٍ شديدٍ، و لا قطع مسرف سوى احتباس اللسان في موضعه قليلا في حال الوصل" ⁸.

1. الداني، التحديد في الإتقان و التجويد، ج2، ص: 95.

2. الفيروز أبادي، مادة: (س ك ن).

3. الأصفهاني، مادة: (س ك ن).

4. التوبة/103.

5. الأنعام/96.

6. الفتح/04.

7. عمر عتيق، الظواهر الأسلوبية في الفواصل القرآنية، ص: 336.

8. الداني، التحديد في الإتقان و التجويد، ج2، ص: 95.

و قال ابن الجزري: "الأصل في الوقف على الكلم المتحركة و صلاً لأن معنى الوقف الترك و القطع و لأن الوقف أيضاً ضد الابتداء فكما يختص الابتداء بالحركة كذلك يختص الوقف بالسكون، فهو عبارة عن تفرغ الحرف من الحركات الثلاث، و ذلك لغة أكثر العرب و هو اختيار جماعة من النحاة و كثير من القراء"¹. و قد أثارت قضية الإسكان في الفواصل القرآنية انتباه القدامى من العلماء فثمنوا دور الصوت الساكن الذي لم يقتصر في هذه الظاهرة على تحديد الوقوف فقط، و إنما ضبط النسق الصوتي على درجة صوتية معينة، و ممّا جاء في كلام العلماء عن التسكين أو الوقف على الساكن أن "مبنى الفواصل على الوقف، و لهذا شاع مقابلة المرفوع بالجرور و بالعكس، و كذا المفتوح و المنصوب غير المنون"². فأصل الفواصل أن تقف عليها، و أصل الوقف أن يكون ساكناً.

و نرصد من ربع يس بعض الأمثلة عن اختلاف الحركات الإعرابية في الفواصل التي تحقق تماثلها الصوتي بالوقف:

• قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾³.

الآية	الفاصلة	حركة الفاصلة	التسكين
01	الكوثر	الفتحة	الكوثر
02	و انحر	السكون	وانحر
03	الأبتر	الضمة	الأبتر

فالتسكين في سورة الكوثر منح فرصة تجاوز الاختلاف في حركة الفواصل الذي من شأنه أن يشكل تفاوتاً في الأثر السمعي رغم تماثل الصامت "راء"، فمكّن التسكين من خلق تماثل صوتي جمع الفتحة و السكون و الضمة على درجة صوتية واحدة.

• قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾⁴.

¹ . ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص: 120، 121.

² . بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 108..

³ . الكوثر.

⁴ . العلق/ 01، 05.

الآية	الفاصلة	حركة الآخر	التسكين
01	خَلَقَ	الفتحة	خَلَقَ
02	عَلَقَ	الكسرة	عَلَقَ
03	الْأَكْرَمُ	الضمة	الْأَكْرَمُ
04	الْقَلَمِ	الكسرة	الْقَلَمِ
05	يَعْلَمُ	السكون	يَعْلَمُ

- قال تعالى: ﴿وَمَا آدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿١﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٢﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ بُدِيَ السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾¹

الآية	الفاصلة	حركة الآخر	التسكين
01	الطَّارِقِ	الكسرة	الطَّارِقِ
02	الطَّارِقُ	الضمة	الطَّارِقُ
08	لَقَادِرٌ	الضمة	لَقَادِرٌ
09	السَّرَائِرِ	الضمة	السَّرَائِرِ
10	نَاصِرٍ	الكسرة	نَاصِرٍ

و غيرها من الأمثلة كثير لا يتسع المقام لذكرها جميعا، و فيها يمنح التسكين فرصة تجاوز الاختلاف في حركة الفواصل الذي من شأنه أن يشكل تفاوتاً في الأثر السمعي رغم تماثل الصامت آخر الفاصلة، فمكّن التسكين من خلق تماثل صوتي جمع الفتحة و الكسرة و الضمة على درجة صوتية واحدة تفتح المجال أمام الصامت المتماثل أن يظهر و يخلق نسقه الصوتي.

و عن قضية (الوقف بالتسكين على الفواصل) تتفرع قضايا صوتية وتركيبية أخرى نناقشها فيما يلي:
1- إسكان الأواخر ليس ظاهرة صوتية متعلقة بالخ طاب القرآني فقط، بل هي اختيار العرب في أشعارهم وكلامهم، يقول ابن الجزري: "و ذلك لغة أكثر العرب و هو اختيار جماعة من النحاة وكثير من القراء"¹ . و من ذلك ما أورده الزركشي من قول الحريري في المقامة التاسعة و العشرين:

¹ . الطارق/01، 10.

يا صارفا عني المودة وَالزَّيْمَانُ لَهُ صُرُوفٌ
وَمُعَنَّفِي فِي فَضْحِ مَنْ جاوزت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما أتيت فَإِنِّي بِهِمْ عُرُوفٌ
وَلَقَدْ نَزَلْتُ بِهِمْ فَلَمْ أرهم يراعون الضيوف
و بلوتهم فوجدتهم لما سبكنهموا زيوف

فإذا أطلقنا حركات آخر الآيات لتبينت أنها في البيتين الأول و الثالث مرفوعة، و في الرابع و الخامس منصوبة و في الثاني مجرورة.

2/- تعويض الحركة بالسكون يريح المتكلم، و ينقص من حركة جهازه الناطق، و كمية هواء التنفس، الخارج من الرئتين، فالتسكين بذلك تحقيق لمبدأ الوقف المتمثل في التخفيف على المتكلم، يقول:
اعلم أنّ الوقف محل استراحة لضيق النفس عنده فلذلك أحتجج إلى تغيير الحركة الموقف عليها إذ هو أبلغ في الاستراحة"². فذلك تيسير للنطق و اقتصاد في مجهود الناطق و أنسب الوقف.

3/- يدخل الوقف بالسكون على فواصل القرآن الكريم كجزء أساسي من البنية الإيقاعية لها، فهو مُعْطَى صوتي من شأنه توحيد الملمح الصوتي العام للفواصل المتحركة الأخر لتجعلها على درجة صوتية واحدة، و هو ما من شأنه أن يخلق جرسًا صوتيًا مميّزًا أمام اختلاف حركات الصوامت المتماثلة.

4/- يقتضي التسكين حذف الحركة إذا كان الحرف محرّكًا و حذف التنوين إذا كان منوّناً، فهو بذلك "عبارة عن تفرغ الحرف من الحركات الثلاث"³: الضمة و الفتحة و الكسرة، أي حذف الحركة القصيرة، و هذا ما سيؤثر على البنية المقطعية للفاصلة، و بيان ذلك كما يلي:

¹. السابق، ص: 121.

². الصفاقسي، تنبيه الغالقين، ص: 141.

³. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص: 141.

و البنية في الآية الثالثة لم تتغير، و ظلت بأصلها (ص ح ص) و بذلك يحدث التطابق في المقطع الأخير للفواصل و يصبح (ص ح ص) المقطع المشترك بين الفواصل الثلاث.

2. الوقف بلرّوم:

الرّوم في اللغة من "رام الشيء بروحه رومًا و مرأماً: طابه"¹، فهو متعلق بالقصد والسعي لإدراك الشيء وطلبه، و في الفيروز آبادي: "الرّوم الطلب، كالمرام، و حكمة مختلصة مختفأة، و هي أكثر من الإشمام، لأنّها تُسمع"². و هي في اصطلاح القراء و اللغويين عبارة عن النطق ببعض الحركة، و قال بعضهم هو تضعيف الحرف بالحركة حتى يذهب معظمها، " و هو عند النحاة النطق بالحركة بصوت خفي"³.

و يضيف على ذلك اللمياطي (ت 1117 هـ) قوله: "هو الإتيان ببعض الحركة وقفًا فلذا ضعّف صوتها لقصّر زمنها وبسمعها القريب المصغي"⁴.

أما الداني (ت 444 هـ) فأورد: "و أما المرأّم حركته من الحروف عند الوقف أوفي حال الوصف فحقه أن يُضعّف الصوت بحركته، أي حركة كانت، و لا يتم النطق بها، فيذهب بذلك معظمها، و يسمع لها صوت خفي، يدركه الأعمى بحاسة السمع، و هو مع ذلك في الوزن محرّك"⁵، و ما نفهمه من التعريفين أنّ الرّوم هي أن المتكلّم يروم حركة الآخر و يقصدها و لكنه لا يتم نطقها. و يشير إليها نطقًا فقط عن طريق تقصير زمن النطق حتى لا يسمعها أو يتبينها إلا المصغي القريب و تنهياً للمستمع على أنّها سكون، و يضيف ابن منظور "و من روم الحركة على الوقف على المرفوع و المجرور قال سيبويه (ت 180 هـ): أما الذين راموا الخ ركة فإنه دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه إسكان على كل حال و أن يعلموا أن حاله عندهم ليس كحال ما سكن على كل حال، و ذلك أراد اللذين أشتموا إلا أن هؤلاء أشد توكيدا، قال الجوهري: روم الحركة الذي ذكره سيبويه (ت 180 هـ) حركة مختلصة مختفأة الضرب من التخفيف، و هي أكثر من الإشمام لأنّها تسمع، و هي بزنة الحركة و إن كانت مختلصة"⁶.

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج6، مادة (ر و م).

² الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (ر و م).

³ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص: 121.

⁴ اللمياطي، إتخاف فضلاء البشر، ص: 135.

⁵ الداني، التحديد في التجديد، ص: 96.

⁶ ابن منظور، لسان العرب، ج6، مادة روم.

و في مبحث الروم نقاط يجدر الوقوف عندها:

(1) لا يكون الروم إلا في مواضع محددة حددها الدايني (ت 444 هـ) بقوله: " فأما الروم فلا يكون عند القراء إلا في الرفع والضم والحفظ و الكسر و لا يستعملونه في النصب و الفتح لختفهما" ¹. فالروم بذلك للضمة و الكسرة سواءً أكانتا علامتا بناء أو إعراب. أما الفتحة فإنها خفيفة النطق لا تتسع مخرجها لا يلزم فيها الروم، و يفسر المارغني هذا الخفت بقوله: " فإذا خرج بعضها خرج سائرهما لأنها لا تقبل التبويض كما تقبله الضمة و الكسرة لثقلهما" ²، و أمثلة المواضع التي يوقف عليها بالروم مبينة في الجدول الآتي:

الضمة	علامة إعراب (المرفوع).	قال تعالى: ﴿ إِذَا الْقُرْآنُ يُقْرَأُ فَاسْمِعُوا بَنِيكُمْ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الرَّسُولِ وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ لَا تَبَدُّلَ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ³ .	تَقُورُ
	علامة بناء (المبنى على الضم).	قال تعالى: ﴿ فَتَحَرَّزَ الْإِسْلَامُ بِالرَّيْحِ ۚ وَالْحَسْبُ لِلَّهِ ۚ وَالْحَسْبُ لِلَّهِ ۚ ﴾ ⁴ .	حَيْثُ
الكسرة	علامة إعراب (المجرور).	قال تعالى: ﴿ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ⁵ .	السَّعِيرِ
	علامة بناء (المبنى على الكسر).	قال تعالى: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ⁶ .	هَؤُلَاءِ

(2) مقدار اختلاس الصوت في الروم متفق عليه أنه ما يذهب معظم الحركة و يترك بعضها، و "قدره بعضهم بالثلث، فالمحذوف من الحركة أكثر من الثابت في الروم، و لهذا ضعفت صوتها لقصر زمنها" ⁷. كأن بالناطق يروم الحركة و يطلبها و يقصدها و لكنّه لا يتم النطق بها، فيضيع زمنها و لا يبقى منه إلا الثلث، و هذا مبدأ تقريبي فقط و ليس مضبوطاً ضبطاً علمياً دقيقاً و هنا نريد لفت الانتباه إلى أن زمن روم الأصوات مختلف باختلاف الأصوات و صفاتها. فإذا علمنا بأن الصوت المتحرك يُنطق له نفس مدة النطق في اختلاف حركته: الضم والرفع و النصب. و كذلك كل الأصوات متساوية إذا حُركت. و لكن عند التسكين يختلف زمن النطق بالحروف الرخوة مثلاً تأخذ حيزاً زمنياً أطول من الشديدة. و لعل ذلك ما أشار إليه الأوائل بقولهم (جريان النفس).

¹. الدايني، التيسير في القراءات السبع، ص: 59.

². إبراهيم المارغني، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، دار الفكر، بيروت، 1995م، ص: 125.

³. الملك/07.

⁴. ص/36..

⁵. الملك/11.

⁶. الزمر./51.

⁷. السابق، ص: 123.

3) إذا كان الوقف بالتسكين هو إذهاب الحركة، فإنّ الروم هو أداءً متوسط، تحقيق الحركة و التسكين ذلك أنه ليس كالتسكين الذي يُذهب كلّ الحركة فيغيّر المعطى الصوتي الذي يؤثر بدوره على البنية المقطعية، و لا هو تحقيق للحركة بأكملها من الناحية الزمنية النطق. إنه موضع متوسط يقتضي النطق ببعض الحركة و اختلاس بعضها فلا يسمع منها إلاّ صوتًا خفيًا عن قرب، و هي لا تغيّر في البنية الصوتية و بالتالي فهي لا تؤثر في البنية المقطعية. إنّها "بذلك عن حركة غير تامة و غير كاملة و مختلصة، أو غير مشبعة الصوت. و لهذا السبب أعتبر الروم حركة خفيفة أو حركة خفية" ¹.

4) يتداخل مصطلح الروم في بعض المصنفات القديمة مع مصطلح الاختلاس، يقول القسطلاني(ت 923 هـ) في لطائف الإشارات: "الاختلاس هو الإسراع بالحركة، حتى يظن سامعها أن المسموع سكوت لا حركة، و وزن الحركة في التحقيق نصف الحرف المتولد عنها، و لذلك سمّو الفتحة الألف الصغرى، و الضمة الواو الصغرى، فنقص الحركة عمّا أجمع عليه لحن، فالاختلاس الإتيان ببعض الحركة" و الظاهر من قوله أن الروم و الاختلاس يتفقان في إخفاء الحركة نسبيًا، مع تسجيل فوارق أساسية أهمها:

- زمن النطق: فزمن طق الصوت بالروم هو إذهاب الثلثين و إبقاء الثلث فقط. أما الاختلاس فهو إذهاب النصف من زمن النطق و إبقاء النصف .

- و الفارق الثاني أن النطق في الاختلاس يعتمد على سرعة النطق على الصوت المختلس فيبّو ضعيفًا، أم في الروم فننطق ببعض الحركة و نذهب بعضها، و لا يمكن الحديث في الروم عن زيادة السرعة لأنه من أوجه الوقف، و الوقف أساسه التريث و التبطيء. و هذا ما يضعنا أمام فكرة أن يكون الفرق الجوهرى بين الروم و الاختلاس في موضع كل واحد منهما. فالروم وجه من وجوه الوقف. و الاختلاس يكون وسط الكلام و متعلقًا بالوصل لا الفصل و هو ما نجد أنّ قوله: "و كان الخلاف بين القراء المانعين و النحاة المحيذين لفظيًا، لأن الروم عند الرّاء غير الاختلاف. و أمّا عند النحاة فالروم هو الاختلاف، إلاّ أن الروم يعبر به عندهم في الوقف و الاختلاس في الفصل فالقراء المانعون للروم في النصب و الفتح إنّما يعنون بالروم الاختلاس" ².

- الروم يكون في حالتي الضم و الكسر، و لا يكون في الفتح و لا النصب، أمّا الإشمام فيكون في جميع الحالات.

¹ . مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: 128.

² . إبراهيم المارغيبي، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع، ص: 125.

3. الوقف بالإشمام:

نبدأ بالمعنى اللغوي للإشمام الذي من شأنه أن يقرب المعنى إلى الأفهام. جاء في اللغة "الشّم حسّ الأنف، والشّمات ما يتشّم من الأرواح الطيبة، و شامه: أنظر ما عنده، و قاربه، و ادن منه، و منها أشمّ الحروف، أداتها الضمّة أو الكسرة بحيث لا تسمع و لا يعتدّ بها، و لا تكسر وزنًا"¹.

و قال الخليل: "الشّم من قولك: شمت الشيء أشمّه، و منه الشّم كما تشمّم البهيمة إذا التمت رعيًا، وشامت العدو يعني الدنو من العدو حتى يروك و تراهم"²

و الخلاصة مما أوردته المعاجم أن معنى الشّم لغةً فيه معنى الاقتراب و الدنو و السعي لإصابة الحاجة. و قد اختصر ابن فارس في معجم مقاس اللغة ما جاء به المعاجم بقوله: "الشين و الميم أصل و لم يدل على المقاربة والمدانة"³.

أما في الاصطلاح فالإشمام غير بعيد عن أصله اللغوي. و هو نوع من الأوجه التي يوقف بها على بعض الحروف. أورد الصفاقسي أن الإشمام هو "أن تجعل شفتيك بعد النطق بالحرف ساكنًا على صورتها إذا تلفظت بالضمّة، و تجعل بين شفتيك بعض الانفتاح ليخرج منه النفس، و قال بعضهم كهيته حال التقبيل"⁴.

وأضاف المارغني في شرحه على نظم (الدرر اللوامع):

"وصفّة الإشمام إطباق الشفاه بعد السكون والضرير لا يراؤه
من غير صوت عنده مسموع يكون في المضموم والمرفوع.

(إطباق الشفاه بعد السكون) يعني ضم الشفتين بعد تسكين الحرف، فمراده بالإطباق بعد الضمّ لأنه لا بد مع الإشمام من إبقاء فرجة أي انفتاح بين الشفتين ليخرج النفس. و قوله (بعد السكون) يعني من غير تراخٍ، فلو وقع التراخي لكان سكونًا مجردًا لا إشمامًا"⁵.

كما تحدث سيويوه (ت 180 هـ) في (الكتاب) عن الإشمام و موضعه و صفته فقال: "إنما كان في الرفع لأن الضمة من الواو، فأنت تقدر أن تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت ثم تضمّ شفتيك، لأنّ ضمك شفتيك كتحرريك بعض جسدك، و إشمامك في الرفع للرؤية و ليس بصوت الأذن"¹.

¹ . الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (ش م).

² . الخليل ، معجم العين، ج6، ص: 223، 224.

³ . ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص: 175.

⁴ . الصفاقسي، تنبيه الغافلين، ص: 141، 142.

⁵ . إبراهيم المارغني، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع ، ص: 125.

و ما نحصله من التعريفات السابقة أن الإشمام تحريك للشفتين بطريقة دائرية توهم نطق الضمة، و لكن دون صوت إنه أداء مرئي (بالإشارة التي تبصرها العين) لا نطق صوتي و أما الغاية منه فهو بيان حركة الحرف الموقوف عليه التي تثبت في الوصل، فاستدارة الشفتين عند الإشمام "دلالة على نوع الحركة عند الوصل"²، و هي حركة الضمة. و للتعلم أكثر، نناقش تفاصيل الإشمام في النقاط الآتية:

● يتعلق الإشمام (المعرب المرفوع، و المبني المضموم) فقط، و لا يوقف به على الحركات الأخرى (الفتحة والكسرة)، و هذه نقطة اختلافه عن الرّوم.

● إذا كان الرّوم هو تبعيض الحركة بصوت مسموع فإن الإشمام لا صوت له، و لن يرى بالعين، يقول الداني(ت444 هـ) "فحقه أن يُخلص سكون الحرف ثم يوميء بالعضو، و هما الشفتان، إلى حركته ليدلّ بذلك عليها من غير صوتٍ خارج إلى اللفظ، و إنما هو تهيئة بالعضو لا غير، ليعلم بالتهيئة أنه يراؤ المهياً له، و لا يعرف ذلك الأعمى، لأنه لرؤية العين"³. فالإشمام إشارة للرائي بوجود ضمة لكن دون النطق الصوتي لها. و عند هذه النقطة يجب الإشارة إلى الجانب الفيسيولوجي للفعل الكلامي الذي يبدو واضحاً في الدرس الصوتي القديم، فحركة الشفتين هذه تعرف في الدراسات الصوتية الحديثة بـ: التشفيه Labialization و الذي يقصد به "الإشارة إلى إضافة صفة التقريب فقط للمنطوق باستدارة الشفاه مع ارتفاع اللسان إلى الخلف".

● الإشمام يقتضي إسقاط الضمة صوتاً و إبقاءها في ملامح النطق و ص هذا يعني أن الحركة التي تُحذف (الضمة) يبقى موضعها في الهيكل التطريزي Skelton prosodic شاعراً Empty، إلا أن أثرًا (ملمحاً Feature) منها يبقى طافيا هو الاستدارة Rounding، و يمتد ليقترّب بالصامت الذي يسبقه فيصبح الصامت الموقوف عليه صامتاً مركباً من خواصه و من الخاصية التي ألحقت به"⁴ و هي خاصية استدارة الشفتين للتلميح بنطق الضمة.

و مثال ذلك : قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾⁵.

البنية المقطعية لهذه الآية قبل الإشمام كانت:

ص ح / ص / ص ح / ص ح / ص ح .

¹ . سيبويه، الكتاب، ج4، ص: 171.

² . غانم قدوري الحمد، الإشمام في اللغة (حقيقته و أنواعه)، مجلة معهد الإمام الشاطبي، ع9، 1431هـ.

³ . الداني، التحديد في الإتقان و التجويد، ص: 96.

⁴ . مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: 131.

⁵ . العلق/03.

أما عند الوقف بالإشمام على آخر الآية المضموم فإن الحركة تذهب صوتاً (مع إبقاء هيئة النطق) و تصبح البنية المقطعية للفاصلة كما يلي:

ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص .

فيتقلص عدد المقاطع بفقدان المقطع الأخير، و تحول بنية المقطع ما قبل الأخير من قصير مفتوح (ص ح) إلى متوسط مغلق (ص ح ص) مع الحفاظ في النطق على ملمح الحركة الضائعة و هو استدارة الشفتين.

• تنتهي بعض الفواصل بالتنوين المضمون فيقتضي الوقف عليها بالإشمام حذف نون التنوين و الحركة، و يوقف بالسكون مع استدارة الشفتين بُعيد (أي بعد مباشرة) النطق بالحرف و هذا الحذف للحركة و التنوين سيؤثر على البنية المقطعية للفاصلة و يغيّر أيضاً الشكل المقطعي، بل إنه يغيّر موضع النبر كذلك. و لبيان كيف يؤثر الإشمام (حين الوقف به على الفواصل اللغوية بالضم) على البنية المقطعية نقدم المثال الآتي:

قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾¹.

إذا وقفنا بالإشمام على (شَدِيدٌ) اقتضى ذلك حذف الحركة (الضمة) وحذف نون التنوين، فتتغير البنية:

قبل الإشمام ← ص ح / ص ح / ص ح خ / ص ح ص . (كشَدِيدٌ).

الوقف بالإشمام ← ص ح / ص ح / ص ح خ ص .

حيث تغيّر المقطع الأخير (ص ح ص) بحذف الجزء الأخير منه (ص ح) و لم يبق منه سوى صامت ساكن (ص)، و اقتضى ذلك انتسابه إلى المقطع الذي قبله (ص ح خ) ليصبح (ص ح خ ص). فيكون التغيير قد تمثل في:

1 - تناقص عدد المقاطع من أربع (04) مقاطع إلى ثلاثة (3) فقط .

2 - تغيّر بنية و رتبة المقطع ما قبل الأخير (ص ح خ)، الذي كان متوسطاً مفتوحاً، ليصبح هو المقطع الأخير مع تغير بنيته و تحوُّله إلى طويل مغلق (ص ح خ ص).

3 - تغيّر موضع النبر في الفاصلة، فقبل الإشمام كان موضع النبر على المقطع ما قبل الأخير (ص ح خ)، و بعد الإشمام أصبح النبر على المقطع الأخير في الفاصلة (ص ح خ ص).

¹. البروج/12.

4 يجتمع الروم والإشمام في أهما لا يكونان على هاء التانيث و ذلك "لأن الوقف تحقق على تاء التانيث و حذفت حركتها و أبدلت بالهاء" ¹ . و هو ما يعني عدم وجود حركة تستحق الوقف عليها بالروم و الإشمام ، و سبب طريقة الوقف على هاء التانيث لاحقاً.

ألخص في الجدول الآتي طرق الوقف على الحركات (الفتحة و الضمة و الكسرة) في القرآن الكريم:

الحركة	كيفية الوقف عليها	أمثلة
السكون	الوقف بالسكون فقط.	قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ﴿٥٠﴾ . العلق/ 5.
الفتحة	الوقف بالسكون فقط.	قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوُورِ سِينِينَ﴾ ﴿٢﴾ . التين/ 2.
الكسرة	الوقف بالسكون و الروم.	قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ﴿٨﴾ . البلد/ 8.
الضمة	الوقف بالسكون و بالروم و بالإشمام	قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَأُ السَّرَائِرُ﴾ ﴿٩﴾ . الطارق/ 9.

¹ . مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: 131.

4. الوقف بالتضعيف: (Reduplication)

التضعيف في اللغة من مادة "ضعف" وهي "في كلام العرب على ضربين: أحدهما المثل، و الآخر أن يكون في معنى تضعيف الشيء قال تعالى: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ ضَعْفٍ﴾﴾**¹. أي للتابع و المتبوع، أي لكل عذاب مضاعف. و أضعف الشيء و ضعفه و ضاعفه زاد على أصل الشيء و جعله مثليه أو أكثر"². و قال الفيروز أبادي: "و ضِعْفُ الشيء بالكسر: مثله، و ضعفاه، مثلاه، أو الضَعْفُ: المثل إلى ما زاد"³. و التضعيف "هو تركيب قدرين متساويين و يختص بالعدد، فإذا قيل أضعفت الشيء و ضعفته و ضاعفته ضمنت إليه مثله فصاعدا"⁴. و من ذلك قوله تعالى: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الَّتِي كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾﴾**⁵

قال تعالى: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾﴾**⁶

قال تعالى: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مِنْ بَنَاتٍ مِنْكَ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾﴾**⁷

فالظاهر من المعنى اللغوي أن التضعيف متعلق بالزيادة و الإضافة إلى الكم الأول. و أن مقدار الزيادة له علاقة قياسية بالمقدار الأصل الذي وقع له التضعيف، فإن كان إضافة له بمقداره كان ضعفاً، و إن كان إضافة له بمقداره مرتين كان ضعفين.

و غير بعيد عن المعنى اللغوي، اختار علماء اللغة و القراءة مصطلح (التضعيف) ليدلوا به على "تشديد الحرف الذي يوقف عليه، و الغرض به الإعلام بأن هذا الحرف متحرك في الأصل، و الحرف المزيد للوقف هو الساكن الذي قبله، و هي المدغم و علامته شيء فوق الحرف، و هو الشين من الشديد"⁸.

و المعنى من الكلام المتقدم أن التضعيف عملية تتم على أواخر الكلمات المتحركة المراد الوقف عليها، ومضاعفتها بعد حذف حركته، كي يحدث الإدغام؛ و الداعي إلى التضعيف هو "بيان بيان الحركة الاعرابية والبنائية لأن الحرف المضعّف قد كان متحرّكاً في حالة الوصل، و إذن، فالحرف المثل الثاني، إنّما زيد للتنبية على

1. الأعراف/38.

2. ابن منظور، لسان العرب، مج 9، مادة (ض ع ف).

3. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (ض ع ف).

4. الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة: (ض ع ف).

5. آل عمران/130.

6. النساء/40.

7. الأحزاب/30.

8. الأشموني، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، ج3، ص: 752.

الحركة المحدودة"¹. و عليه فالتضعيف هو تطويل للحرف الموقوف عليه. و لتقريب معنى التضعيف نناقش النقاط الآتية:

1. ينطلق تحقيق التضعيف من حذف حركة الحرف الأول، بمعنى تسكينه، فإذا كان الحرف ما قبل الأخير ساكنًا لا يجوز التضعيف تجنبًا لالتقاء ساكنين. كذلك لا يوقف بالتضعيف على المشدّد لأنه يتكون من حرفين متماثلين أو لهما ساكن و الثاني متحرّك فإذا سكين الثاني و أضعف بثالث ساكن كما من الصعب على الناطق أن يجمع السواكن في النطق، و قد بيّن الصفاقسي ذلك بقوله: "اعلم أن الوقف على المشدّد فيه صعوبة على اللسان إذ فيه النطق بساكنين غير منفصلين لأن المشدّد أوله ساكن فإذا سكنت الآخر للوقف صار اللسان يلفظ بساكنين غير منفصلين دفعة واحدة و هو في غاية الصعوبة، و لهذا لا يحسنه كثير من علماء القراء فضلاً عن عوامهم"². و يبدو أن صعوبة النطق بساكنين منفصلين أسهل منه في الساكنين متّصلين أي المشدّد.
 2. يكون الوقف بالتضعيف على الحروف الصحيحة فقط، و لا يكون على المعتل لأنه مستثقل، و مبدأ الوقف التخفيف لا التثقيل. و كذلك لا يوقف بالتضعيف على الهمزة، لأن في ذلك استثقلات "استثقال ذاتي مرتبط بطريقة النطق به، و استثقال التضعيف، لأن التضعيف عبارة عن تثقيل فيه زيادة حرف"³. و ذلك كما أورد ابن الحاجب في (الشافية) من أنّ "التضعيف في المتحرك الصحيح غير الهمزة المتحرك ما قبله، نحو جعْفُر"⁴. فالهمزة صعبة النطق بعيدة المخرج تحتاج إلى عتاية في نطقها.
 3. يؤثر التضعيف في البنية المقطعية للفواصل القرآنية، ذلك أن التضعيف مبني في الأساس على حذف حركة الحرف الأخير و تعويضه بصامت يماثله، ما يعي استبدال الحركة و هي جزء خفيف بالصامت و هو جزء ثقيل، فيتغيّر بناء المقطع في هذه الحركة التعويضية، و لبيان ذلك نورد المثال الآتي:
- قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقِ﴾⁵. البنية المقطعية للفاصلة في الآية هي (باعتبار نطق حركة الآخر):
- ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح / ص ح .
- تتحول هذه البنية طبق التخفيف إلى:
- ص ح ص / ص ح ح / ص ح ص / ص ح ص .
- (حيث قمنا بالتضعيف على آخر مقطع (ص ح) بحذف حركته (ح) و تضعيف الصامت (ص))
- فتغيّر المقطع الأخير (ص ح) من قصير مفتوح إلى المقطع (ص ح ص) الطويل المغلق، مع تراجع في عدد المقاطع.

1. مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: 183.

2. الدمياطي، إنحاف فضلاء البشر، ص: 150.

3. مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: 133.

4. الاستربادي، شرح شافية ابن الحاجب، ص: 314.

5. الطارق/01.

4. يلتقي الضعيف مع الرَّوْمِ و الإِشْمامِ في مسألة تسكين الأواخر مع تعويض الحركة المحذوفة، بما يدل عليها. فالرَّوْمِ يدلّ عليها بتبعيها أي نطق جزء منها، و الإِشْمامِ يدلّ عليها (الضمة فقط) باستدارة الشفتين، والتخفيف يدلّ عليها بتضعيف الصامت الذي يحملها. و قد أشار الاستربادي إلى ذلك في قوله: "اعلم أن المقصود بالرَّوْمِ و الإِشْمامِ و التضعيف ثلاثها شيء واحد، و هو بيان أن الحرف الموقوف عليه بهيئة الحركة، والذي رام نَبّه عليه بصوت ضعيف، فهو أقوى في التنبيه على تحرك الحرف من الإِشْمامِ، و الذي ضَعَّف فهو أقوى تبيينًا لتحرك الحرف في الوصل ممّن رام، لأنه نَبّه عليه بالحرف، و ذلك ببعض الحركة"¹ و التضعيف أقوى من الرَّوْمِ و الإِشْمامِ، و الرَّوْمِ أقوى من الإِشْمامِ.

5. يكون التضعيف في جميع الحركات (الضمة و الفتحة و الكسرة) إلا أنه لا يدلّ عليها فعند التشديد يستحضر السكون و تغييب الحركات، و إذا كان الرَّوْمِ يدلّ على الكسرة و الضمة ببعضها و الإِشْمامِ يدلّ على الضمة بصورة نطقها، فإن التضعيف يدلّ على عموم وجود الحركة دون تحديدها، قال الاستربادي "التضعيف يسئل به على مطلق الحركة"². و لعلّ هذا ما جعله أقلّ شيوعًا عند القراء.

5. الوقف بالنقل:

النقل واحد من الوجوه المحوِّزة في الوقف على أواخر الكلم في العربية. و يمتد معناه من أصله اللغوي الذي يبدو واضحًا أنه يتعلّق بالتحليل و تغيير المكان. وحدّه في إصلاح القراء "تحويل الحركة إلى الساكن قبلها، والعرض إمّا بيان حركة الإعراب، أو الفرائز من التقاء الساكنين، و علامته عَدَمُ العلامة "³ و المعنى أنّ النقل يختصّ بحركة الآخر فينقلها إلى الحرف ما قبل الآخر بتركه ساكنًا. و يصف ابن الجزري الوقف بالنقل أنه "نقل حركة الهمزة إلى الساكن الذي قبلها وقفًا"⁴.

و قال السيوطي (ت 911هـ): "و أما النقل ففيما آخره همزة بعد ساكن، فإنه يوقف عليه عند حمزة بنقل حركتها إليه، فتحرك بها، ثم تحذف هي، سواء أكان الساكن صحيحًا، أم ياءً أو واوًا أصليتين، سواءً كانتا حرف مدّ أم لين"⁵.

¹ . الاستربادي، شرح شافية ابن الحاجب، ص: 315 .

² . السابق، ص: 315 .

³ . الأشموني، منهج السالك، ج3، ص: 752.

⁴ . ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص: 120.

⁵ . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص: 256.

الحَبَاءُ	25	النمل	04
دِفَاءٌ	05	النحل	05
جُزْءٌ	44	الحجر	06
الْمَرْءُ	40	النبأ	07

و قد تُسبق الهاء بالواو و الياء و هما حرفا مد نحو:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ﴾¹، و قَالَ تَعَالَى: ﴿لَتَنُوَّ﴾²

أو تُسبق الهاء بالواو و الياء و هما حرفا لين نحو:

قَالَ تَعَالَى: ﴿شَيْءٍ﴾³ قَالَ تَعَالَى: ﴿السَّوَاءِ﴾⁴

6. الوقف بالحذف:

الحذف من العمليات الصوتية المعروفة في وقف العرب، و يتضمن حذف صوت لغوي. و حصره السيوطي (ت911هـ) في حذف "الياءات الزوائد عند من يثبتها وصلًا و يحذفها وقفًا"⁵. و يقصد هنا بالياءات الزوائد التي لم ترسم، أي لم يثبت رسمها في الرسم العثماني⁶ و أشار إلى أنها مئة و إحدى و عشرون ياءًا منها ستة و ثمانون في رؤوس الآي، "فنافع و أبو عمرو و حمزة و الكسائي و أبو جعفر يثبتونها في الوصل دون الوقف، و ابن كثير، ويعقوب يُثبتان في الحالين، و ابن عامر و عاصم و خلف يحذفون في الحالين"⁷. و أورد ابن يعيش (ت643هـ) شرح لقول الزمخشري (ت538هـ): "و كل واوٍ لا تحذف تُحذف في الفواصل و القوافي"

¹. الفجر/ 23.

². القصص/ 76.

³. البقرة/ 29.

⁴. النحل/ 60.

⁵. السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ص: 256.

⁶. و للإشارة فقد أجمع العلماء على ضرورة إتباع الرسم العثماني و إثبات ما أثبت فيه و حذف ما حُذِف فيه، إلا أنّ بعض القراء اتفقوا على بعض القراءات التي كان هدفها التخفيف في النطق، منها حذفهم التنوين بالضم و الكسر، و أما تنوين الفتح فيُقلب ألفًا. و تقلب تاء التأنيث هاءً أطلق عليها هاء السكت. و خبر هذه التغييرات الصوتية متوفر بكثرة في مضامها من كتب القراءات و كأحكام التجويد. ينظر باب الوقف على مرسوم الخط، ص: 138-150. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2. باب ذكر أصولهم في الياءات المحذوفة من الرسم، التيسير في القراءات السبع، ص: 69-71، أبي عمرو الداني.

⁷. السابق، ص: 256.

بقوله: "و قد يحذف من الياءات الأصلية والواوات ما لا يحذف في الكلام، و ذلك إذا كان ما قبلها رويًا، فإنهما يحذفان كما يحذف الزائدات لإطلاق القافية إذا كان ما قبلها رويًا كما أنّ تلك كذلك، فلمّا ساوتها في ذلك جرت مجراها في جواز الحذف" ¹. يقصد في ذلك تقارب الفواصل مع القوافي، إذ سبق ذلك بقوله: " المراد بالفواصل رؤوس الآي و مقاطع، و ذلك أفهم قد يطلبون منها التماثل كما يُطلب في القوافي" ²، و لعلّه بذلك يشير إلى ظاهرة التماثل الصوتي للفواصل القرآنية من خلال ظاهرة الحذف عند الوقف. مثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ ³.

و قوله تعالى: ﴿وَالْيَلِ إِذْ أَيْسَرَ﴾ ⁴.

و قوله تعالى: ﴿وَيَلْقَوْمٍ إِلَىٰ آخَفٍ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ ⁵.

¹ . ابن يعيش، شرح المفصل، ج5، ص:229.

² . السابق، ص:228.

³ . الرعد/09.

⁴ . الفجر/04.

⁵ . غافر/32.

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة:

حاولت هذه الدراسة أن تسلط الضوء على ملمحين أساسيين ميّزا النص القرآني عن غيره من النصوص العربية، وهما: الفاصلة و الوقف. و استطاع هذا البحث على تواضعه و بساطة أدواته أن يسجّل جملة من النتائج أوجزها في النقاط الآتية:

- 1 - تناول هذا البحث الأصوات المستعملة في فواصل ريع يس و خلصنا إلى وجود علاقات صوتية قائمة بينهما أهمها التماثل (و هو تشابه أصوات الفواصل المتتالية) و النسيج النسقي (و هو تعاقب أصوات متفقة الخصائص أو متقاربة المخارج)، و النسق المقطعي (تشابه و تقارب البنية المقطعية لفواصل الآيات المتتالية)، لتكون هذه العلاقات دالة على عمق البناء الصوتي للفواصل القرآنية.
- 2 - رغم تخوفي من حساسية وسم القرآن بصفة الإيقاع ، و وقوفي على هلامية معنى الإيقاع، غير أن الجمال الصوتي في القرآن فرض عليّ الاعتراف بوجود إيقاع صوتي خاص به، باعتباره نسقًا صوتيًا يعتمد على تكرار وحدات صوتية خلال فترات زمنية معينة، بعيدة عن إيقاع الشعر و النثر، و قد حاولت من خلال هذا البحث رصد بعض الخصائص الجمالية للهندسة الصوتية في القرآن. و وجدت أنّ الفاصلة مصطلح قادر على استيعاب جمالها الصوتي، و قيمتها الدلالية و لا حاجة لاستعارة أي مصطلح آخر من شأنه التقليل من مكانة القرآن.
- 3 - سجلت من خلال دراستي للإيقاع في فواصل ريع يس، أنّ النص القرآني استثمر كل مستويات اللغة لتحصيل الدلالة و تشكيل نسق صوتي معيّن. حيث رصدنا ملامحًا للإيقاع الصربي (إيقاع الاشتقاق، و إيقاع الصيغ و الأوزان) و الإيقاع البلاغي (إيقاع الطباق و المقابلة) و إيقاع المناسبة (الحذف و الزيادة - التقدم و التأخير - الإحلال). و التي خلصنا من خلالها إلى أن الإيقاع يكون أظهر و أكثر تميزًا في السور القصار و خاصة في فواتح السور، ليكون بذلك الإيقاع أشبه بالعنوان الذي يوحي بجوّ السورة المعنوي، و يحفظ قلبها الصوتي الذي يميّزها عن باقي السور و يسهل حفظها و تذكرها.
- 4 - يعدّ التكرار أكثر الأساليب الحاضرة في إيقاع الفواصل في ريع يس، و سجلتُ خلال رسدي للظاهرة، أن أكثر الأصوات المكررة في نهاية الفواصل هي الأصوات البينية و أصوات المد، لما

تتماز به من خاصية سهولة النطق ، و عذوبة الصوت، و تمكين الترنم . و هي أصوات شاع استعمالها في لغة العرب قبل و بعد سماعهم القرآن، مما يدل على استساغة الأذن لها، و على احترام القرآن للذائقة العربية.

5 - يلتقي التنغيم مع الوقف في المستوى فوق التركيبي للغة (بجمل عملهما)، و يعملان في خط سير واحد مرتبطين بالزمن، عاملاً أساسياً في سيورة العملية الكلامية، فالوقف ضروري في تحديد الوحدات التنغيمية، و التنغيم مؤشر مهم على حدوث الوقف، و يرافق أحدهما الآخر في تمييز البنيات التركيبية من خلال إكساب الجمل الموقوف على أواخرها تنغيمات توحى بحدوث الوقف لاكتمال التركيب. كما أن الوقف يساعد التنغيم في إكساب اللغة المنطوقة صفة الإيقاعية من خلال تساوي القطع المنطوقة زمنياً.

6 - يلتقي النبر في تأدية وظيفته اللغوية بالظواهر الصوتية الأخرى، و التي منها الوقف. فاللغة العربية لا تنبر المقطع الأخير من الكلام إلا عند الوقف، ليكون النبر بذلك عنصراً مرافقاً للوقف، كما يساعد النبر الوقف، على غرار التنغيم، في تشكيل إيقاعية اللغة من خلال تقسيمها إلى أحياء إيقاعية يحكمها الزمن.

7 - يمكن الوقف على الفواصل من تقسيم العملية النطقية إلى مقاطع نفسية منسجمة، و تقسيم المنطوق إلى بناءات متوازية المقاطع متوازنة الكمية متناسبة الصوت و الوزن، و كل ذلك يدخل في البناء الصوتي و التركيبي الذي يتميز به القرآن الكريم. فيمكن بذلك الوقف الفواصل من تحقيق إيقاعها و تحصيل معانيها. فالفواصل ليس حلية صوتية فحسب بل لها من شرف المعاني ما يخدم الآية بالوجه الذي تتعلق به الفاصلة بآياتها . ولأن الوقف يكون بالإسكان فإن من شأنه أن يعطي مجالاً لوضوح الأجراس الصوتية في الفواصل القرآنية مما يجعل الوقف ذا بعد إيقاعي، خاصة إذا كانت أصوات الفواصل ترنمية كأصوات المد و أصوات الغنة.

و قد انتهيت من هذا البحث إلى أنّ الفاصلة و الوقف ملمحان صوتيان أساسيان في النص القرآني يساهمان بقوة في تشكيل هندسته صوتية، و تحصيل قيمته الدلالية، و شاهدان أساسيان على إيقاعية اللغة. و الواضح أنهما قد حظيا باهتمام الدارسين قديماً و حديثاً، و لكنني أردت الإشارة إلى نقطتين أحسبهما مهمتين:

- 1 - ضرورة التخصص، إذ من شأن تناول كل ظاهرة على حدّ بالتفصيل أن يستوعب معطياتها، و تفاصيلها و يسجّل النتائج بطريقة أفضل، و يستفيد من نتائجها على مستوى أدقّ وأعمق.
- 2 - أهمية تحديث أدوات البحث في الظاهرتين، بما توفر من وسائل العلم الحديث، حيث جندت الصوتيات الحديثة آليات و وسائل بحث دقيقة، أحسب اللجوء إليها يرتقي بالبحث في الظاهرتين، و يؤسس لهما بما يخدم الدرس اللغوي الصوتي، و يغني الباحثين و يجيبهم عن كثير من الأسئلة.

و في نهاية هذا البحث أعترف برغبي الملحة في استكمال الطريق لإنجاز أبحاث صوتية تسير على نفس الخط العلمي، و ذلك بغية التعمّق ق أكثر في عوالم الصوت القرآني، منها تحليل الفواصل و أوجه الوقف على الفواصل باستعمال نظرية البنية المقطعية قصد الوصول إلى أسرار بنيتها العميقة.

ملخص البحث

جامعة الأمير
القادر للعلوم الإسلامية

ملخص:

جاء التأسيس لظاهري الوقف و الفاصلة و تفصيلاتهما متناثرا في مؤلفات علماء النحو و البلاغة و التجويد، و تعددت فيهما التعريفات و الآراء. شكّل هذا التراث الصوتي للظاهرتين أرضية صلبة لبناء الدرس الصوتي الحديث، الذي استفاد من النتائج و طوّر الوسائل و المناهج في خطوة لتفسير النظم الصوتي المحكم في النص القرآني. و جاء الاهتمام في هذا البحث ، استمرارا لجهود السابقين، بظاهري الوقف و الفاصلة باعتبارهما من أهمّ الملامح الصوتية المميّزة للقرآن الكريم، حيث سعى البحث إلى تسليط الضوء على أهمّ مميّزات الظاهرتين في الربع الأخير من القرآن الكريم عن طريق رصد مميّزات النظم الصوتي و النظم الدلالي لهما (إحصاءً و تحليلاً)، مع التأكيد على وجود تفاعل عميق بين الظاهرتين في قضية الوقف على الفواصل، و تتجه الدراسة نحو الاستفادة من الدرس الصوتي الحديث بالتطبيق و إخراج الملحظ الصوتي في القرآن الكريم من الدرس البلاغي القدم إلى الدرس الصوتي الحديث.

Summary

The basic concepts of "The Pause and Fassila" were scattered in different books of Grammar, Rhetoric, and Tajweed scientists where the definitions and views are various. This phonological heritage of The two phenomena became a strong background to establish modern phonology that attempted to get benefits from their results and even develops The ways and curricula to explain and clarify The exceptional phonological system in The Holy Quranic passages. The interests on this research came as a continuity to The previous efforts on The field of The Fassila and Pause because they are considered to be The most important phonological criteria that made The Holy Quran vert special . The research works on shedding the light on The most signifiant and crucial characteristics of the two phenomena in the last quarter part of The Holy Quran by finding the criteria of both phonology and semantic systems(statistically and analytically) ,of course, without neglecting the great and sure relationship and interaction between the two phenomena," the Fassila and The Pause".

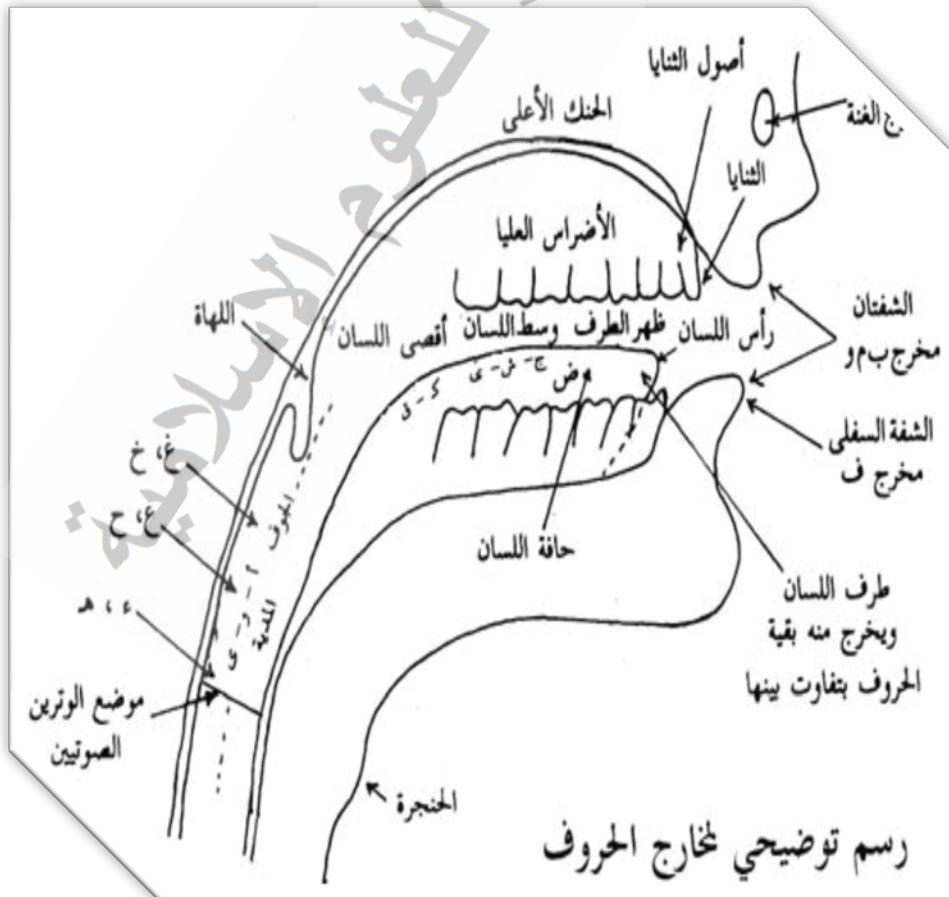
Résumé

Les concepts de base de " La Pause et Fassila " ont été dispersés dans différents livres de scientifiques Grammaire, Rhétorique et Tajweed où les définitions et les vues sont diverses. Cet héritage phonologique des deux phénomènes est devenu un solide arrière-plan pour établir la phonologie moderne qui a tenté de tirer profit de leurs résultats et même de développer les voies et les programmes pour expliquer et clarifier le système phonologique exceptionnel dans les passages du Saint Coran. Les intérêts sur cette recherche sont venus en continuité avec les efforts précédents sur le terrain de la Fassila et Pause parce qu'ils sont considérés comme les critères phonologiques les plus importants qui ont rendu le Saint Coran vert spécial. La recherche travaille à jeter la lumière sur les caractéristiques les plus significatives et les plus cruciales des deux phénomènes dans la partie du dernier quart du Saint Coran en trouvant les critères de la phonologie et des systèmes sémantiques (statistiquement et analytiquement), bien sûr, sans négliger le grand et une relation sûre et une interaction entre les deux phénomènes, "le Fassila et la Pause".

ملحق البحث

المخرج	الأصوات
الحلق	الحيز الأول (ع، ح، هـ) الحيز الثاني (خ، غ)
اللهاة	ق، ك و الكاف أرفع
شجر الفم	ج، ش، ض.
أسلة اللسان	ص، س، ز.
نطح الغار الأعلى	ط، ت، د.
اللثة	ظ، ذ، ث.
دلق اللسان	ر، ل، ن.
الشفة	ف، ب، م.

مخارج الأصوات عند الخليل بن أحمد





مخطط توزيع الحروف العربية نطقا من حيث التفخيم و الترقيق

الرقم	الصفة	التعريف	الحروف
١	الهمس	جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج	فحشه شخص سكت
٢	الجهر	الجريان جري النفس عند النطق بحروفه لقوة الاعتماد على المخرج	الباقى بعد الهمس
٣	الشدّة	الجريان جري الصوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج	أجد قط بكت
٤	التوسط	اعتدال الصوت عند النطق بالحرف لعدم كمال انجباؤه كما في الشدة، وعدم كمال جريانه كما في الرخاوة	لن عـمـر
٥	الرخاوة	جريان الصوت مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج	ما عدا حروف التوسط والشدّة
٦	الاستعلاء	ارتقاء اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف	خص ضفط قظ
٧	الاستفال	انخفاض اللسان (انحنائه عن الحنك الأعلى إلى قاع الفم)	الباقى بعد الاستعلاء
٨	الإطباق	تلاصق ما يليه اللسان من الحنك الأعلى على اللسان	ص - ض - ط - ظ
٩	الانفتاح	تجاهي كل من هاتفتي اللسان والحنك الأعلى عن الأخرى حتى يخرج النفس	ما عدا حروف الإطباق
١٠	المد واللين	امتداد الصوت وخروج الحرف في لين وعدم كلفه	ا - و - ي
١١	الصفير	حدة الصوت	ص - س - ز
١٢	التفشي	انتشار خروج الريح والتساطه	ش - (ث على خلاف)
١٣	الاستطالة	امتداد الصوت من أول إحدى حافتي اللسان إلى آخرها	ض
١٤	التكرير	تضعيف يوجب في جسم الراء لارتعاد طرف اللسان بها	ر
١٥	الانحراف	خروج من صفة إلى صفة	ل - ر
١٦	الغنة	صفة لازمة للنون والميم (وهو الصوت الزائد المنبعث عن الخيشوم)	م - ن
١٧	القلقلة	اضطراب المخرج عند النطق بالحرف ساكناً حتى يسمع له نبرة قوية	قطب جد أو بجد قط

جدول يفصل صفات أصوات اللغة العربية

Supra segmentals	الظواهر الصوتية فوق القطعية (فوق التركيبية)
Prosodic	صوتية تطريزية
Semantic	علم الدلالة
Semantic change	التطور الدلالي
Rhythm	الإيقاع
Syllabic structure	البنية المقطعية
Fricatives (Friction sounds)	الأصوات الاحتكاكية
Rolled	الحرف المكترر: الراء
Lateral	الحرف المنحرف (الجانبي): اللام.
Nazals	الأصوات الأنفية
Phoneme أو Phonetic Unit	وحدة صوتية
Sonorxity	الوضوح السمعي
Release	إطلاق الهواء في القلقلة
Glottis	فتحة المزمار
Sillabic sturcture	الأنساق المقطعية
Sound	الصوت
Monosyllabic	كلمة أحادية المقطع
Pollysyllabic word	كلمة متعدّدة المقاطع
Syllable	المقطع
Quantity	تقسيم كمّي
Closed Syllable	مقطع مغلق

Open Syllable	مقطع مفتوح
Syllable sturcture Arabic	البنية المقطعية العربية
Rythme	الإيقاع
Monotony	الرتابة (انسياب الإيقاع في استمرارية خاصة ومنتظمة)
Symmetry	السيمترية (قياس الأزمنة والأمكنة المتشابهة أي بنفس التناسب والانتظام)
Surprise	المفاجأة (عامل من عوامل الإيقاع التي تحدث نتيجة التوقع و الخيبة)
Tymological Derivation	الاشتقاق التأيلي
Vowels	الأصوات الصائتة
Intonation	التنغيم
Falling tone	النغمة الهابطة:
Rising tone	النغمة الصاعدة:
Grammatical	الوظيفة النحوية (التركيبية)
Contextual_meaning	المعنى السياقي
Social context	السياق الاجتماعي
Pause-Pitch	نغم الوقف
Accent	النبر
Accentuation	عملية أداء النبر (التنوير)
Stressed	المقطع الذي يحمل النبر (المنبور)
Prominence	بروز مقطع صوتي لبيان أهميته
Stress languages	اللغات النبرية
No stress languages	اللغات غير النبرية
Sentence stress	نبر الجملة
Expression accent	نبرة التعبير

Phonemic accent.	نبر وظيفي
Respiratory units	وحدات تنفسية
Resyllabification	إعادة التجزئء المقطعي
Labialization	التشفية
Skelton prosodic	الهيكل التطريزي
feature	ملمح صوتي
rounding	الاستدارة (صفة الشفتين عند الإثمام)
Reduplication	الوقف بالتضعيف

عبد القادر للعوم الإسلامية

أ - القراء¹:

1. نافع المدني:

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي. واختلف في كنيته ، فقيل : أبو عبد الرحمن ، وقيل : نافع المدني: أبو رويم ، وقيل : أبو الحسن ، أحد القراء السبعة الأعلام ، أصله من أصفهان. كان . رحمه الله . رجلا أسود اللون حالكا ، عالما بوجوه القراءات والعربية ، متمسكا بالآثار ، فصيحاً ورعاً ، إماماً للناس في القراءات بالمدينة ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بها وأجمع الناس عليه بعد التابعين ، أقرأ أكثر من سبعين سنة. قيل : لما حضرت نافعاً الوفاة قال له أبنائه : (أوصنا) قال : (اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) . مات سنة (169) هـ على الصحيح ومولده في حدود سنة (70) هـ .

2. ابن كثير المكي:

هو أبو معبد محمد أو عياد أو المطلب عبد الله بن كثير الداري ، نسبة إلى دارين موضع بالبحرين أو بني الدار أو إلى تميم الداري، تابعي ، مولى فارس بن علقمة الكناني ، كان إمام الناس بمكة ، لم ينازعه فيها منازع ، ولذلك نقل عنه أبو عمرو والخليل بن أحمد والشافعي . وكان فصيحاً بليغاً جسيماً أبيض اللون طويلاً أشهل يخضب بالحناء عليه السكينة والوقار ، وقيل : (من أراد التمام فليقرأ بقراءة ابن كثير). وكان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد قال ابن مجاهد ولم يزل عبد الله هو الإمام المجمع عليه في القراءة بمكة حتى مات سنة (120) هـ.

3. أبو عمرو البصري:

زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحسين بن الحارث بن جلهمة بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمر بن تميم بن مر بن أو بن طابجة بن الياس بن مضر بن معد بن عدنان الإمام السيد أبو عمرو التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة قال الحافظ أبو العلاء الهزلي هذا الصحيح الذي عليه الخذاق من النسب ولد سنة (68) هـ وقيل سنة (70) هـ وتوجه مع أبيه لما هرب من الحجاج فقرأ بمكة والمدينة وقرأ أيضاً بالكوفة والبصرة. ولقد ولد أبو عمرو بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة . مات على قول الأكثرين سنة (154) هـ.

4. ابن عامر الدمشقي:

هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبي. إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها كان إماماً كبيراً وتابعياً جليلاً أمّ المسلمين بالجامع الأموي سنين كثيرة في أيام عمر بن عبد العزيز وقبله وبعده فكان يأتهم به وهو أمير المؤمنين وجمع له بين الإمامة والقضاء و مشيخة الإقراء بدمشق ودمشق دار الخلافة ومحط رحال العلماء والتابعين فأجمع الناس على قراءته وعلى تلقيها بالقبول. ولد ابن عامر سنة (21) هـ. توفي بدمشق يوم عاشوراء سنة (118) هـ. ورواه هشام وابن ذكوان.

¹ . كل تعريفات القراء مأخوذة عن: عبد الفتاح القاضي، تاريخ القراء العشرة و رواتهم، مكتبة القاهرة، ط1، 1998م.

5. عاصم الكوفي:

هو عاصم بن بهدلة أبي النجود بفتح النون وضم الجيم ، شيخ الإقراء بالكوفة وأحد القراء السبعة ويقال أبو النجود اسم أبيه لا يعرف له اسم غير ذلك وبهدلة اسم أمه وقيل اسم أبي النجود عبد الله . وهو الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي في موضعه جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن. توفي آخر سنة (127)هـ، وقيل سنة (128)هـ فلعله في أولها بالكوفة.

6. حمزة الكوفي:

حمزة بن عمارة بن إسماعيل الإمام الجد أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم وقيل من صميم العرب الزيات أحد القراء السبعة. ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسنة. وروي عنه أنه كان يقول لمن يفرط في المد والهزمة لا تفعل أما علمت أن ما كان فوق البياض فهو برص وما كان فوق الجعودة فهو قشط وما كان فوق القراءة فليس بقراءة. قال يحيى بن معين سمعت محمد بن فضيل يقول ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة . توفي سنة (156)هـ .

7. الكسائي الكوفي:

واسمه علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم وهو من أولاد الفرس من سواد العراق كذا قال أبو بكر بن أبي داود السجستاني وكنيته أبو الحسن الكسائي الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات. مات في سنة (189)هـ.

ب. النحاة و اللغويون:

1. الخليل بن أحمد الفراهيدي:

يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي أحد أئمة اللغة والأدب، ويرجع إليه الفضل في تأسيس علم العروض ووضع أول معجم عربي وهو العين. كان مولده في العام المتم مائة من الهجرة (100هـ) في زمن الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز. عاش في البصرة كان رجلاً صالحاً عاقلاً، وقوراً كاملاً، مفرط الذكاء، وأكثر ما كان من صفاته بعد سيادته في العلم وانقطاعه له ما كان من زهده وورعه؛ إذ كان متقللاً من الدنيا جداً، متقشفاً متعبداً، صبوراً على خشونة العيش وضيقة، وكان يقول: "إني لأغلق عليّ بابي فما يجاوزه همي". توفي بالبصرة سنة سبعين ومائة من الهجرة (170هـ) على المشهور، ودُفن بها.

2. سيبويه:

هو عمرو بن عثمان بن قنبر المكنى بأبي بشر والملقب بسيبويه، وهو أول من وضع علم النحو فهو إمام النحاة. تعلّم الأدب والنحو على يد الخليل بن أحمد وأبي الخطاب الأخفش يونس بن حبيب وعيسى بن عمرو . ولد

سيويوه في مدينة البيضاء وهي مدينة تقع بالقرب من مدينة شيراز في إيران. توفي في عام 180 للهجرة و هو في ريعان شبابه. و أهم ما ترك مؤلفه المعروف بالكتاب.

3. بدر الدين الزركشي:

هو الإمام العلامة بدر الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. كان مولده في مصر سنة 745هـ الموافق لسنة 1344م. سمي بالزركشي نسبة إلى اشتغاله في صباه مع والده في الزركشة و هو تطريز القماش بالذهب. توجه الإمام الزركشي إلى معقل العلم في مصر آنذاك تاركًا وراءه صنعة أبيه، فبدأ اشتغاله بطلب العلم وتفرغ له حتى أصبح من أعلام عصره، و أهم اترك صنيعه المعروف بـ"البرهان في علوم القرآن". توفي يوم الأحد الثالث من شهر رجب سنة 794هـ، في القاهرة.

4. ابن جنّي:

هو الأديب ، النحوي ، اللغوي ، إمام العربية ، أبو الفتح ، عثمان بن جني الموصلّي. ولد بالموصل ، و طلب علوم العربية على علماء عصره ، ممن تواجد منهم في العراق آنذاك .لزم أبا علي الفارسي دهرًا، وسافر معه حتى برع و صنّف، قرأ عليه في القراءات، والأدب، واللغة، وقرأ على جماعة آخرين، منهم: ابن دريد ، وأبو العباس أحمد بن محمد الموصلّي الأحفش الثاني، وأبو الفرج الأصفهاني . من أهم مصنّفاته: الخصائص، سر صناعة الإعراب. توفي ببغداد، سنة 392هـ.

5. جلال الدين السيوطي:

ولد السيوطي مساء يوم الأحد غرة شهر رجب من سنة 849هـ، الموافق سبتمبر من عام 1445م، في القاهرة، وكان سليل أسرة أشتهرت بالعلم. وقد توفي والد السيوطي ولابنه من العمر ست سنوات، فنشأ الطفل يتيمًا، وأبّجه إلى حفظ القرآن، فأتم حفظه وهو دون الثامنة، وقام برحلات علمية عديدة شملت بلاد الحجاز والشام واليمن والهند والمغرب الإسلامي. ثم تجرد للعبادة والتأليف عندما بلغ سن الأربعين. توفي سنة 911هـ.

المصادر و المراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

المصحف المفسّر، مختصر تفسير الطبري (ت 419هـ)، طبع عالم القرآن الكريم، دمشق.

1. إبراهيم المارغيني (ت 1349هـ)، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، دار الفكر، بيروت، 1995م.
2. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، دت.
3. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، المكتبة الأنجلو مصرية، ط 6، 1991م.
4. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، المكتبة الأنجلو مصرية، ط 2، 1952.
5. ابن الأثير، المثل السائر، تح بدوي طبانة، دار النهضة المصرية، ج 1، دط، دت.
6. أحمد البايعي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2012م.
7. أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر، 2005.
8. أحمد محمد فارس، النداء في اللغة و القرآن، دار الفكر اللبناني، ط 1، 1989.
9. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1997، ص: 367.
10. الاستريادي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت 676هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن و زملائه، دار الكتب العلمية، لبنان، 1982م.
11. الأشموني، أحمد بن محمد بن عبد الكريم، منار الهدى في بيان الوقف و الابتداء، دمشق، 1983م.
12. الأشموني، أحمد بن محمد بن عبد الكريم، منهج السالك على ألفية ابن مالك، ج 3، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، لبنان، ط 1، 1955م.
13. أشواق محمد النجار، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية، أشواق محمد النجار، دار دجلة، ط 1، 2006م.
14. ابن الأصبغ المصري (ت 654هـ)، بديع القرآن، ج 2، تحقيق حفي محمد شرف، دار نهضة مصر، 1957م.
15. الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت 323هـ)، تح محي الدين عبد الرحمن رمضان، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله، ج 1، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1971م.
16. الياقلاوي، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، 1971م.
17. بدر الدين الزركشي (794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح محمد متولي منصور، دار التراث، مصر، ط 1، 2008م.
18. أبو بكر الأنباري، المعلقات السبع (رواية عنه)، تحقيق عبد العزيز محمد جمعة، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين، 2003م.

19. تاج الدين السبكي، جمع الجوامع في أصول الفقه، تحقيق عبد المنعم إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003م.
20. تمام حسّان، اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م.
21. تواتي بن التواتي، المدارس النحوية، دار الوعي، الجزائر، 2008.
22. الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (ت 250هـ)، البيان و التبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1954م.
23. الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (ت 250هـ)، الحيوان، عبد السلام محمد هارون، ج 1، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، دت.
24. الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية و فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2007م.
25. ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد الدمشقي (ت 833هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
26. ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد الدمشقي (ت 833هـ)، التمهيد في علم التجويد، تحقيق فارس بن فتحي بن إبراهيم، دار ابن الهيثم، ط1، 2006م.
27. أبي جعفر النحاس (338هـ)، شرح ديوان إمرئ القيس، تحقيق عمر الفجاوي، منشورات وزارة الثقافة، الأردن 2002م.
28. جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت 624هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1986م.
29. جمال القرش، الوقف على كلاً و بلى و نعم في القرآن، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1425هـ.
30. ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، دت.
31. ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ)، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، دت.
32. ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف و عبد الفتاح اسماعيل الشلبي، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، 1994م.
33. حازم القرطاجني (ت 684هـ)، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح محمد الحبيب ابن الخوجي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1986م.
34. حسن عبّاس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دط، 1998م.

35. خالد قاسم بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006م.
36. ابن خالويه، الحسين بن أحمد (ت 370هـ)، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط3، 1979م.
37. خلدون أبو الهيجا، فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، دت.
38. الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
39. الداني، أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي (ت 444هـ)، المكتفى في الوقف و الابتداء في كتاب الله عزوجل، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1987م.
40. الداني، أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي (ت 444هـ)، التحديد في الإتيان و التجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط1، 2000م.
41. الداني، أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي (ت 444هـ)، التيسير في القراءات السبع، تحقيق حاتم صالح الضامن، مكتبة الصحابة، الشارقة.
42. الهمداني، شهاب الدين أحمد بن محمد عبد الغني (ت 1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
43. رجب عبد الجواد إبراهيم، موسيقى اللغة، دار الآفاق العربية، دط، 2003م.
44. رسائل إخوان الصفاء و خلان الوفاء (ق 4هـ)، دار صادر، بيروت، دط، دت.
45. الروماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3-1976م.
46. الروماني، أبو الحسن علي بن عيسى (ت 384هـ)، النكت في إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.
47. زكريا الأنصاري (ت 823هـ)، إعراب القرآن العظيم، تحقيق موسى علي موسى مسعود، دار ابن حزم، القاهرة، دط، 2010م.
48. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538هـ)، المفصل في علم العربية، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. دط. دت.
49. الزوزني، أبي عبد الله الحسين بن أحمد (ت 486هـ)، شرح المعلقات السبع، لجنة التحقيق في الدار العلمية، بيروت، 1992م.
50. سامر عبد الرحمن شوافي، منهج التفسير الموضوعي للقرآن، دار الملتقى، سوريا، ط1، 2009م.

51. السجاوندي، أبي عبد الله محمد بن طيفور (ت 600هـ)، علل الوقوف، تحقيق محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 2006م.
52. السجاوندي، أبي عبد الله محمد بن طيفور (ت 600هـ)، كتاب الوقف و الابتداء، تحقيق محمد هاشم درويش، دار المناهج، الأردن، ط1، 2001م.
53. سعاد بسناسي، السمعيات العربية في الأصوات اللغوية، دار أم الكتاب للنشر، الجزائر 2012م.
54. سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع و الكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، ط1، 2000م.
55. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شرح أسماء الله في ضوء الكتاب و السنة، مؤسسة الجريسي، الرياض، دت.
56. سعيد بن محمد الأفغاني، الموجز في قواعد العربية، دار الفكر، بيروت، ج1، دط، 2003م.
57. سمير شريف أستيتية، الأصوات اللغوية رؤية عضوية و نطقية و فيزيائية، دار وائل للنشر، عمان، ط1، 2003م.
58. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1982م.
59. سيد خضر، فواصل الآيات القرآنية، دراسة بلاغية دلالية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009م.
60. سيد قطب، في ظلال القرآن، درا الشروق، مصر، دت.
61. ابن سينا، أبي علي الحسين بن عبد الله (ت 428هـ)، أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسن طيّان و يحيى مير علي، مجمذع اللغة العربية، دمشق، 1982م.
62. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (911هـ)، الإقتان في علوم القرآن، تحقيق محمد متولي منصور، دار التراث، القاهرة، ط1، 2010م.
63. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (911هـ)، المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد جاد المولى و محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، دت.
64. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (911هـ)، سبب وضع العربية، تحقيق مروان عطية، دار الهجرة، دمشق، ط1، 1988م.
65. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (911هـ)، لباب النقول في معرفة أسباب النزول، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1983م.
66. الشاطبي، القاسم بن فيّرة بن خلف الأندلسي (ت 590هـ)، تحقيق محمد تميم الزعبي، متن الشاطبية (حرز الأماني و وجه التهاني في القراءات السبع)، دار الوثقائي للدراسات القرآنية، ط5، 2010م.

67. صابر غانم المنكوت، لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 2، 1989م.
68. صالح سليم عبد القادر الفخاري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، دط، دت.
69. صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2004م.
70. الصفاقسي، أبي الحسن علي بن احمد النوري (ت 1118هـ)، تنبيه الغافلين و إرشاد الجاهلين عمّا يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1974.
71. ضياء الدين ابن الأثير (ت 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ج 1+2، دت.
72. عبد الحميد زاهيد، علم الأصوات و علم الموسيقى، دار يافا، 2009م.
73. عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، مصر، ط 2، 1968م.
74. عبد الرحمن تييرماسين، الإيقاع و عروض الشعر العربي، دار الفجر، الجزائر، دت.
75. عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.
76. عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط 2، 2007م.
77. عبد الفتاح القاضي، البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، مكتبة أنس بن مالك، مكة المكرمة، ط 1، 2002م.
78. عبد الفتاح لاشين، أسرار التعبير في القرآن الكريم، الفاصلة القرآنية، دار المريخ، الرياض، 1982م.
79. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2002م.
80. عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، دلائل الإعجاز، تح محمد رضوان الداية و فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2007م.
81. عبد الله الفاسي (ت 656 هـ)، اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة (منظومة الشاطبي)، تحقيق عبد الله عبد المجيد نمكاني، مكة، 1999م.
82. عبد الله علي الميموني، فضل علم الوقف و الإبتداء، دار القاسم، الرياض، ط 1، 2003.
83. عزّ الدين علي السيّد، التكرير بين المثير و التأثير، عالم الكتب، بيروت، ط 2، 1986م.
84. عصام نور الدين، الفونيتيكا، علم الأصوات اللغوية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 1، 1992م.
85. علاء جبر محمد، المدارس الصوتية عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دط، دت.

86. علي حلمي موسى، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1978 م.
87. عمر عبد الهادي عتيق، ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2010 م.
88. غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2003 م.
89. فاضل السمراي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، 2006 م.
90. الفرابي، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان (ت 339هـ)، الموسيقى الكبير، تحقيق عطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي، دت.
91. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار النفائس الأردن، ط7، 2009 م.
92. فضيلة مسعودي، التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية، دار الحامد، ط1، 2008 م.
93. أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995 م.
94. القاضي عياض (ت 544هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق عامر الجزائر، دار الحديث، القاهرة، 2004 م.
95. القسطلاني، شهاب الدين (ت 923هـ)، لطائف الإشارات لفنون القراءات، ج 1، تحقيق عبد الصبور شاهين و عامر السيد عثمان، مطابع الأهرام، 1972 م.
96. كمال الدين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1999 م.
97. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000 م.
98. كوليزار كااكل عزيز، القرينة في اللغة العربية، دار دجلة الأردن، ط1، 2006 م.
99. مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، نموذج الوقف، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط 1، 2010 م.
100. مبارك حنون، في الصواتة الزمنية، الوقف في اللسانيات الكلاسيكية، دار الأمان الرباط، 2003 م.
101. محمد إسحاق العناني، مدخل إلى الصوتيات، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2008 م.
102. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار الشروق، مصر، دط، دت.
103. محمد صالح الضالع، علوم الصوتيات عند ابن سينا، دارغريب للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 2002 م.
104. محمد عبد الله وراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، دت.

105. محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، 2007م.
106. محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2007م.
107. محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها و صرفها، مج 1+2، دار الشرق العربي بيروت، ط3، دت.
108. محمد بن حمزة الكرماني (ت 505هـ)، البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة و البيان، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، دت.
109. محمد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، 1988م.
110. محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، دت.
111. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث، دار الشروق. دت.
112. محمد فتح الله الصغير، الخصائص النطقية و الفيزيائية للصوامت الرنينية، عالم الكتب الحديث، إريد، ط1، 2008م.
113. محمد فريد عبد الله: الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، دار الهلال، بيروت، ط1، 2008م.
114. محمد قطب، دراسات قرآنية، دار الشروق القاهرة، ط5، 1988م.
115. محمد محمد داوود، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دار جيا، م ع س، ط1، 2011م.
116. محمد محمد داوود، الصوائت والمعنى في العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 2001م.
117. محمد محمود عبد الله، علم التجويد، رياض السالكين في أحكام تلاوة الكتاب المبين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دط، 2001م.
118. محمد مسعود علي حسن علي حسن عيسى، أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي، دار السلام للطبع، مصر، ط1، 2009م. محمد مسعود علي حين عيسى، أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي، دار السلام للطبع، مصر، ط1، 2009م.
119. محمد يحي سالم الجبوري، مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.
120. محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت، دت.
121. محمود السيد شيخون، أسرار التقديم و التأخير في لغة القرآن الكريم، دار الهداية، دت.
122. محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2005م.
123. محي الدين درويش، إعراب القرآن و بيانه، دار الإرشاد، مج 8 حمص، ط3، 1993م.

124. مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2007م.
125. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، وقوف القرآن و أثرها في التفسير، مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة، د ط 1431هـ.
126. مصطفى الغلابي، جامع الدروس العربية، ج 1، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 1997م.
127. مصطفى حركات، الصوتيات و الفونولوجيا، دار الآفاق، الأبيار الجزائر، دط، دت.
128. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، لبنان، ط9، 1973م.
129. مكّي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)، الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة، أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان، ط3، 1996م.
130. مكّي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)، الوقف على كلاً و بلى و نعم، تح حسين نصّار، الثقافة الدينية، ط1، 2003م.
131. المّلا علي القازي (ت 1014هـ)، المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تحقيق أسامة عطايا، دار الغوثاني، دمشق، ط2، 2012م.
132. منير محمود المسيري، دلالات التقديم و التأخير في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2005م.
133. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت 338هـ)، القطع و الإئتلاف، تحقيق عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، عالم الكتب، السعودية، ط1، 1992م.
134. هادي نهر، التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2008م.
135. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2007م.
136. هشام الأنصاري، مغني اللبيب، تح محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، دط، ج 1، 1991م.
137. أبو هلال العسكري (ت 1005هـ)، كتاب الصناعتين، الكتابة و الشعر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، درا إحياء الكتب العربية، ط1، 1956م.
138. المعذاني، أبو العلاء أحمد بن حسن (ت 569هـ)، التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، 2005م.

139. يحيى بن علي بن يحيى المباركى، المدخل إلى علم الصوتيات العربي، خوارزم العلمية، جدّة ، دط، 2008م.
140. ابن يعيش، موفق الدين أبي البقاء (ت643هـ)، شرح المفصل للزخشرى، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
- الكتب الأجنبية و المترجمة:
1. برتيل مالنبرج، علم الأصوات، ترجمة شاهين عبد الصبور، مكتبة الشباب، مصر، دت.
 2. جان كاتينو، علم الأصوات العربية، ترجمة صالح قرمادى، الجامعة التونسية، مركز الدراسات و البحوث، 1966م.
 3. جورج مونان، تاريخ علم اللغة، ترجمة بدر الدين القاسم، دمشق، 1972م.
 4. A dictionary of linguistics and phonetics. David Crystal. 2008. By Blackwell
 5. سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، فونولوجيا العربية، ترجمة ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جدّة، ط1، 1983م.
 6. ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1998م.
 7. يوري لوتمان ، تحليل النص الشعري (بنية القصيدة). ترجمة محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، 1995م.
- المعاجم:
1. الجرجاني، علي بن محمد الشريف، معجم التعريفات ، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، 2004م.
 2. حسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط1، 1991م.
 3. حمدي بدر الدين إبراهيم، معجم الأوزان الصرفية لكلمات القرآن الكريم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دت.
 4. الخليل بن أحمد (ت170هـ)، معجم العين، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 2003م.
 5. رشيد عبد الرحمن العبيدي، معجم الصوتيات، مركز البحوث و الدراسات الإسلامية، العراق، ط1، 2007م.

6. صاحب، اسماعيل بن عبّاد (ت 385هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ط1، 1994م.
7. الفيروزآبادي (817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، 2008م.
8. مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م.
9. محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق، ط1، 1982م.
10. ابن منظور (ت 711هـ)، لسان العرب، تح ياسر سليمان أبو شادي و مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، 2009م.

التفاسير:

1. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 427هـ)، الكشف و البيان في تفسير القرآن، تحقيق صالح باعثمان و حسن الغزالي و زيد مهارش و أمين باشه، دار التفسير، جدّة، ط1، 2015م.
2. الزجاج، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 311هـ)، معاني القرآن و إعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1988م.
3. الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجود التأويل، دار الفكر، بيروت، دت، المجلد 4.
4. أبو العباس الفاسي (ت 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، 2000.
5. القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1965م.
6. ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، ج8، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، دت.
7. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، المجلد 29+30 الدار التونسية للنشر، 1984م.
8. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، مج3، ط4، 1981م.

المقالات:

1. إياد عبد الودود الحمداني، و خيرى جبير الحميلي الفاصلة و بنية الانسجام الشكلي في سورة الإنسان، مجلة ديالي، العراق، ع 23، 2006.
2. أحمد البايعي، التنعيم عند ابن جني، مجلة آفاق الثقافة و التراث، إ ع م، س 11، ع 41، 2003.

3. أحمد البايبي، دور التنغيم في التواصل اللساني، مجلة علامات ، ع36، 2011.
4. حمدان رضوان أبو عاصي، الأداءات المصاحبة و أثرها على المعنى، مجلة الجامعة الإسلامية، فلسطين، ع2، 2009.
5. دليلة أسباع، دلالة التكرار في سورة الرحمن، مجلة الأثر، ورقة، ع14، 2012.
6. رضا زلاقي، التنغيم رؤية فيزيائية، مقال منشور بموقع جامعة بومرداس.
7. زاهد محمد حنفي، المبني للمجهول في القرآن الكريم، بحث في النحو و الدلالة، مجلة جامعة الخليل للبحوث، مج3، ع01، 2007.
8. سامي عوض، دور التنغيم في تحديد معنى الجملة، مجلة جامعة تشرين، ع1، 2006.
9. سناء طاهر محمد، مجلة التربية و العلم، الزيادة في الفاصلة القرآنية، ع3، 2010.
10. عاصم شحادة علي، المعاني الوظيفية لصيغة الكلمة في التركيب، مجلّة دراسات، عمادة البحث العلمي، الأردن، مجلد35، ع3، 2008.
11. عبد الرحمن الجمل، أثر اختلاف القراءات في الوقف و الابتداء، مقال، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، فلسطين، ع1، 2004م.
12. عبد الفتاح المصري، الصّوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية والمعاصرة، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب . دمشق، ع16، 1984.
13. عبد الفتاح محمد، الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية، مقال، مجلة جامعة دمشق، مجلد22، ع1+2، 2006.
14. عصام أبو سليم، البنية المقطعية في اللغة العربية، مجلة جامعة اليرموك الأردن.
15. علي عبد الله، التعبير الدرامي و التنغيم في ترتيل القرآن، المجلة الأردنية للفنون، ع1، 2013.
16. عمر عتيق، الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية، مجلة المنارة، جامعة آل البيت، ع3.
17. غانم قدوري الحمد، الإشمام في اللغة (حقيقته و أنواعه)، مجلة معهد الإمام الشاطبي، ع9، 1431هـ.
18. غياث بابو، دلالة العدول في صيغ الأفعال، مجلة دراسات في اللغة العربية و أديها، سوريا، ع12، 2013م.
19. فايق جليل خليل، صيغة (فعيل)، دراسة صرفية دلالية، مجلة الفتح، العدد 22، 2005م.
20. كمال أحمد غنيم، رائد الدية، جماليات الموسيقى في النص القرآني، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مج20- العدد 2 يونيو 2012م.

21. كمال بشر، جهود العرب في الدراسات الصوتية، مجلة الثقافة العربية، مجلس الثقافة العام بالجمهورية الليبية، ع 4، 1975.
22. ليلي سهل، التنعيم و أثره في اختلاف المعنى و دلالة السياق، مجلة كلية الآداب، بسكرة، ع07، 2010.
23. محمد ابن عبد الجليل روزن، وقف البيان في القرآن، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، س9، ع 13.
24. مزاحم مطر حسين، أثر التنعيم في توجيه الأغراض البلاغية، مجلة القادسية في الآداب و العلوم التربوية، ع3، 2007.
25. نعيم اليافي، ثلاث قضايا حول الموسيقى في القرآن، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع17، 1985.
26. نعيم اليافي، عودة إلى موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع25، 1986.
27. نعيم اليافي، قواعد تشكيل النغم في موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع16/15، 1984.
28. هدي الصحنائي، الإيقاع الداخلي في القصيدة المعاصرة، مقال، مجلة جامعة دمشق مج 30، العدد 2+1، 2014.
29. وليد حسن، الظواهر فوق التركيبية في العربية، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، ع3، 2009.
30. يوسف عبد الله الجوارنة، التنعيم و دلالاته في العربية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع369، 2002.
- الرسائل و أطروحات الدكتوراه:**
1. رنا طه رؤوف، الدلالة المركزية و الهامشية بين اللغويين و البلاغيين، دكتوراه، جامعة بغداد، 2002م.
2. محمد مرزا، أسماء الله الحسنى و صفاته و حكمة وجودها في الفواصل القرآنية، دكتوراه، جامعة بيشاور، إسلام آباد، 1996م.
3. هارون مجيد، جماليات الوقف و التنعيم في قراءات القرآن الكريم، دكتوراه، جامعة وهران، 2014/2013م.
4. أسامة عبد العزيز جاب الله، أثر التلوينات الصوتية في الدلالة القرآنية، دراسة تحليلية أسلوبية، ماجستير، بجامعة طنطا قسم اللغة العربية.

مقالات و كتب من الانترنت:

1. مكهمون، الصوتيات، (1996). "Phonetic Notation " MacMahon" Michael، K. C كتاب رقمي محمل من موقع www.pdfactory.com
2. محمد الأوراعي، المستقيح في وقف الهبطي، مقال منشور في موقع lissanyat-nisbya.ma.
3. جمال القرش، مسك الختام في معرفة الوقف و الابتداء، موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية Vb.Tafsir.net
4. أيمن رشدي سويد، محاضرات صوتية من موقع . ForsanHaq.com.
5. الطبري، جامع البيان لتأويل آي القرآن، تفسير سورة يس، موقع المصحف الإلكتروني: www.e-quran.com
6. جمال التلاوة في الصوت و النغم، جمعية القرآن الكريم للتوجيه و الإرشاد، بيروت، لبنان، ط1، 2001، من موقع: www.qurankarim.org

07	مدخل: دراسة مفاهيمية لمصطلحات العنوان
12	<u>I. الوقف:</u>
12	1. تعريف الوقف.
13	2. الوقف في الدرس الصوتي العربي:
15	3. أنواع الوقف:
15	أولاً. <u>الوقف الضروري:</u>
16	ثانياً: <u>الوقف الاختياري:</u>
18	<u>II. الفاصلة:</u>
18	1. تعريفها، وقيمتها في الدرس اللغوي العربي:
22	2. ضوابط تحديد الفواصل
23	<u>III. الدلالة بين النظم الصوتي و النظم التركيبي:</u>
29	<u>الفصل الأول: الوقف و أبعاده الصوتية و الدلالية في ربع يس:</u>
32	<u>المبحث الأول: الوقف و الظواهر التطريزية الأخرى:</u>
33	<u>I. الوقف و التنعيم.</u>
33	1. معنى التنعيم:
35	2. وظائف التنعيم في القرآن:
36	أ. الوظيفة النحوية (التركيبية):
42	ب. الوظيفة الدلالية السياقية:
47	3. بين الوقف و التنعيم:
52	<u>II. الوقف و النبر</u>
52	1. تعريف النبر:

54	2. أنواع النبر و وظائفه:
55	أ. نبر المقطع:
56	ب. نبر الكلمة:
57	3. بين الوقف و النبر:
62	<u>المبحث الثاني: وظائف الوقف في ربع يس.</u>
62	1. وظيفة فيسيولوجية:
68	2. وظيفة تركيبية دلالية:
76	أولاً: الوظيفة التركيبية الدلالية للوقف اللازم
81	ثانياً: الوظيفة التركيبية الدلالية للوقف الممنوع
83	3. وظيفة تفسيرية:
89	4. الوقف و القراءات:
97	5. وظيفة تحديد الفواصل:
98	<u>المبحث الثالث: الوقف على كلاً و بلى و نعم</u>
98	I. <u>الوقف على كلاً</u>
98	أ. معنى (كلاً) وحكم الوقف عليها:
99	ب. مواضع (كلاً) في القرآن الكريم:
102	ت. أقسام (كلاً) بحسب الوقف عليها
112	II. <u>الوقف على (بلى)</u>
112	أ. معنى (بلى) وموقعها في الجملة:
112	ب. مواضع بلى في القرآن:
115	ت. أقسام بلى و مواضعها في ربع يس:
123	III. <u>الوقف على نعم</u> :
123	أ. معنى نعم و موقعها في الجملة:

123	بأ. الفرق بين (بلى) و (نعم):
123	تأ. مواضع (نعم) في ربيع يس و الوقف عليها:
126	الفصل الثاني: الفاصلة و أبعادها الصوتية و الدلالية في ربيع يس
128	المبحث الأول: قضايا صوتية في فواصل ربيع يس
128	I. أنواع الفواصل في القرآن الكريم:
128	أ. الفواصل المتوازنة
129	بأ. الفواصل المتوازنة
130	تأ. الفواصل المطرّفة
132	ثأ. الفواصل المرصّعة
133	II. الخصائص النطقية لأصوات الفواصل :
133	1. الأصوات البينية
135	أ. الخصائص النطقية لصوتي الغنة
138	1 صوت النون
141	2 صوت الميم
143	بأ. الصوت المنحرف (اللام).
146	تأ. الصوت المكرّر (الراء).
148	2. الأصوات المقلقة
151	3. أصوات المد
156	III. العلاقات الصوتية القائمة بين أصوات الفواصل القرآنية:
156	أ- التماثل الصوتي:
159	ب- الأنساق الصوتية:
164	ت- الأنساق المقطعية:
173	المبحث الثاني: الإيقاع الصوتي في الفواصل.

173 مفهوم الإيقاع:	<u>I.</u>
177 الإيقاع في القرآن:	<u>II.</u>
182 أنواع الإيقاع في الفواصل القرآنية:	<u>III.</u>
182 أ- الإيقاع الصرفي:	
182 إيقاع الأوزان و الصيغ:	<u>-1</u>
182 • الإيقاع الأوزان و الصغ في سورة الغاشية.	
188 • إيقاع الأوزان و الصيغ في سورة المرسلات.	
189 • إيقاع الأوزان و الصيغ في سورة العاديات.	
192 • إيقاع الأوزان و الصيغ في سورتي الصفات و الذاريات.	
196 إيقاع الاشتقاق	<u>-2</u>
197 • الاشتقاق الصغير.	
198 • الأبعاد الدلالية للاشتقاق	
203 الإيقاع البلاغي:	ب.
203 1. إيقاع الطباق و المقابلة:	
204 • إيقاع التقابل في سورة الزمر.	
208 • إيقاع التقابل في سورة الليل.	
210 2. التصوير بالمقابلة في ربع يس.	
210 • إيقاع المقابلة لتصوير النبي.	
211 • إيقاع المقابلة لتصوير تقابل المصائر لتقابل الأعمال.	
212 • إيقاع المقابل لتصوير تقابل حال البشر في الآخرة.	
214 3 إيقاع المناسبة	
215 • التقديم و التأخير.	
216 • الحذف و الزيادة.	

218.....	• العدول
221	<u>المبحث الثالث: جمالية التكرار في الفواصل القرآنية</u>
221	<u>I. مفهوم التكرار:</u>
223	<u>II. فوائد التكرار في القرآن:</u>
225	<u>III. أنواع التكرار في الفواصل:</u>
225	<u>1. تكرار الصوت (الحرف):</u>
225	أ. تكرارية الأصوات البينية:
236	ب. تكرارية الأصوات المقلقلة:
236	ج. تكرارية أصوات المد:
241	<u>2- تكرار الكلمات و الجمل:</u>
251.....	<u>الفصل الثالث: الوقف على الفواصل</u>
253.....	<u>المبحث الأول: الوقف و الظواهر الصوتية المشابهة</u>
253.....	1. الوقف و القطع: (معنى القطع و علاقته بالوقف)
255.....	2. الوقف و السكت
255.....	أ. معنى السكت و علاقته بالوقف
257.....	ب. أنواع السكت و وظائفه
257.....	• السكت على الساكن قبل الهمز
259.....	• السكت بين السورتين
259.....	• السكت البياني
263.....	<u>المبحث الثاني: أهمية الوقف على الفواصل</u>
267.....	1. التمكين
268.....	2. التصدير
269.....	3. التوشيح

المبحث الثالث: أوجه الوقف على الفواصل.....272

1. الوقف بالإسكان.....272
2. الوقف بالرّوم277
3. الوقف بالإشمام281
4. الوقف بالتضعيف285
5. الوقف بالنقل287
6. الوقف بالحذف289
- خاتمة.....292
- ملخّص البحث باللغات العربية و الإنجليزية و الفرنسية.....295
- ملحق البحث.....298
- المصادر و المراجع.....308
- فهرس الموضوعات322